المناهل



26

المناهل

تصدرها
وزارة الشؤون الثقافية
الرباط - المغرب

العدد السادس والعشرون
السنة العاشرة

جمادى الأولى 1403
مارس 1983



تهنئة المناهل
بعيد العرش السعيد

يشرف أسرة "المناهل" ويسعدها أن ترفع بمناسبة عيد العرش السعيد أسمى آيات التهاني والتبريك إلى رائد نهضة البلاد، وراعي الأدب والأدباء، ومفخرة العلم والعرفان والبيان، حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله صانع المغرب الجديد.

و"المناهل" إذ ترفع عواطفها الجياشة الزاخرة بالمحبة إلى مقام حضرة صاحب الجلالة مقرونة بولائها وإخلاصها، تضرع إلى الله العلي القدير، أن يسعده بهذا العيد الميمون، هو وبيته الكريم وأسرته الكبيرة، وأن يقر عينه بولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه صاحب السمو الملكي الأمير المحبوب مولاي رشيد وبأخواتهما الأميرات الجليلات، كما تضرع إليه سبحانه أن يمتعه بدوام العافية والسعادة، وأن يحقق على يده الكريمة ما يطمح اليه شعبه من تقدم ورفاهية وازدهار.

المناهل



فهرس

محاولة في الاقتصاد المغربي

في عهد الملك يوبا الثاني وابنه بطليموس

25 ق.م - 40 ق.م

د. محمد التازي سعود

ما هي المشاغل الإقتصادية للمغاربة في الفترة التي تعنينا ؟ وهل يمكن أن نقدم عن الأحوال الاقتصادية صورة فيها بعض الجلاء ؟ إننا نأسف كثيرا على اهمال الكتاب الكلاسكيين لهذا الجانب الذي لم يتحدثوا عنه إلا بصفة عرضية، وفي جمل منثورة هنا وهناك. ومع ذلك اعتقد أن محاولة في تصوير الاقتصاد المغربي على عهد يوبا الثاني وابنه أمر ممكن - ولو مع عسر - بالاعتماد على هذه المراجع القديمة، وبالاعتماد أيضا على بحوث المتأخرين وتقارير التنقيبات الأثرية. وفي رأيي يمكن عرض الصورة حسب الجدول الآتي :

1) الصيد البري، لا للرياضة فحسب، وإنما للاستفادة الاقتصادية الممكنة منه أيضا.

2) الصيد البحري : الطون، الأسقمري، السردين، النون...

3) الفلاحة : القمح، الشمير، القطاني، كالفول والعدس والحمص، والزيتون، الدوالي، النخيل، البقليات، الماشية، الخيول والحمير.

4) الصناعة : الخزف، البرنز، الزجاج، الأخشاب، النسيج، صبغة الأرجوان، الزرابي، تمليح السمك، تنقيع السمك، الزيت الخمر، الخبازة.

5) التجارة : خليج المتاجر، طرق المواصلات البحرية، الطرق البرية الشمالية، طرق القوافل الجنوبية. حوانيت لكسوس، المعاملات مع رومة، مع اسبانيا... لا بدع إذا قلنا إن المنطقة كانت معروفة منذ القدم بكثافة الغطاء النباتي وتوفر الكلأ والماء. ولعل أقدم من أشار لذلك هو هيردوت بقوله : «... نبدأ غربي نهر تريتون في العثور على الليبيين الفلاحين الذين اعتادوا أن تكون لهم بيوت واسمهم المكسي... كما أن أرضهم وبقية ليبيا في اتجاه الغرب أكثر حيوانات وأكثر أشجارا من أرض الرحل... بينما القسم الغربي منها وهو أرض الفلاحين فإنه ابتداء من هذا النهر كثير الجبال والأشجار وغني بالحيوانات...» (1) إن هذه الثروة الحيوانية هي التي جعلت المغربي يهوى الصيد البري ويتعاطاه للرياضة، ومن خلالها كان يغني مائدة طعامه بلحومها الطرية، كما يتعاطاه للمنفعة الاقتصادية بالتأكيد. ومن بين الكتاب المعاصرين لعهد يوبا الثاني وابنه نجد بلين يذكر وجود الفيلة في النواحي القريبة من سلا فيقول : «... وعلى بعد... توجد مدينة سلا الواقعة على نهر يحمل نفس الإسم. وتقع هذه البلدة على حافة الصحراء، ويعيش حولها قطعان من الفيلة... (2) » فهو إذن يعني أن الفيلة لم تكن في أيامه تتعدى ضواحي هذه المدينة، الأمر الذي يشير إلى أن منطقة سهول الغرب قد اصبحت خالية منها تماما. بينما نلاحظ في نص رحلة حنون القرطاجي

1) Heradote : IV, 191.
2) Pline : H.N ; V, 1,5.

أن الفيلة كانت تعيش في نواحي طنجة. ولما تحدث بلين عن جبال الأطلس اكتفى بالإشارة إلى القصص الشيقة أو الخرافية التي تحكى عن هذه الجبال وذكر مع ذلك :

«إن المنحدرات التي تواجه افريقية تظللها الغابات وترويها المياه المترقرقة من العيون الفياضة... (3)» ولم يشر إلى وجود الفيلة بها. بينما نجد الآن صورها على صخور الأطلس مما يعد دليلا قاطعا على كثرتها - أو على الأقل على وجودها - في منطقة الأطلسين المتوسط والكبير (4). ومما لا شك فيه أن المعلومات الغزيرة - أو المبالغ فيها - التي دونها يوبا الثاني في كتابه الليبيات Libyia عن الفيلة وأحوالها وعاداتها. ترجع إلى علمه الواسع بهذه الحيوانات، لأنها كانت تعيش بالمغرب في عهده. والفيلة كانت تصاد لجلودها التي كانت تصنع منها التروس والدرق الحربية (5) وتصاد لنيوبها العاجية التي كانت تصنع منها أرجل موائد العرعار الرفيعة، وأخيرا كانت تصاد لتدرب على الاستعمال في القتال، إذ كان المحاربون يرابطون في هوادج حصينة تشد على ظهور الفيلة التي يسبب مرآها الذعر في صفوف الأعداء، ولا سيما بين الخيول.

وبجانب الفيل كان وجود الأسد أمرا مألوفا بالمغرب. ونجد الكثير من الصور التي تمثله وتمثل صيده في الكثير من لوحات الفسيفساء التي عثر عليها بجميع جهات الشمال الافريقي. ومثل ذلك يقال عن النمور والفهود التي كانت توجد بكثرة في مناطق الأطلس. وكلها حيوانات

---

3) Pline : H.N ; V, 6,7.

4) Simoneau, A : Gravures d'éléphants du Haut-Atlas B.A.M, VIII, 1967 p. 569-578.

5) Strabon : XVII, 3,7.

كانت تصاد وتبعث بمقابل للعرض في حلبات المتصارعين أو المجالدين في رومة. كما تصاد للاستفادة من جلودها التي كانت تستعمل وطاء وغطاء (6). ولا يستبعد أن تكون جلود الذئاب والضباع والثعالب قد استعملت لنفس الغرض. مثلما استعمل الجيتوليون جلود الماعز في لباسهم (7). أما الحيات والأفاعي فكانت هي أيضا - ولا تزال - متعددة الأنواع والأحجام، وكانت تصاد لجلودها أو لاستخراج سمومها. وهناك بعض الإشارات التي لا يعرف مدى صحتها عن وجود التمساح في بعض أنهار المغرب (8).

وبجانب ذلك كان الصيد المائي، النهري والبحري، يكون دعامة كبيرة للاقتصاد المغربي. وذلك لغنى المياه المغربية بالأنواع المتعددة للأسماك ذات الأحجام المختلفة الأمر الذي أوحى إلى موفرس Movers أن يعطي أصلا ساميا لاسم نهر ملوشا، هو نهر ملاش أو ملاخ أي نهر الملح. ويرى أن التسمية أتت من كون هذا النهر كانت تقوم به معامل لتمليح السمك (9) ومع أن هذه المعامل لم يثبت وجودها على نهر ملوية. فإن الفنان المغربي قد خلد هذه الأنواع والأشكال من الأسماك على لوحات الفسيفساء الباقية. فما هي إذن هذه الأنواع التي كانت تصاد ويتاجر فيها ؟ لا شك أن الطون يأتي في المقدمة. فقد كان يزاول صيده كل من المغاربة أهل لكسوس الذين نجد صورته على نقود

---

6) Strabon : XVII, 3,7.

7) Besnier : Géographie économique du Maroc dans l'antiquité, Archives marocaines, T. 7. 1906, p. 280.

8) Strabon : XVII, 4.

9) Movers, F.C : Die Phönizier, II, 2, p. 629 cité par Besnier in geographie...

مدينتهم. وأهل مدينة قادس الذين كانوا ينزلون حتى المياه المغربية لصيده. ونجد صورة هذه السمكة على عملة مدينتهم أيضا (10). ويذكر إثنان على الأقل من الكتاب الكلاسيكيين أن أجود أنواع الطون هو ما كان يصاد خلف أعمدة هرقل (11). وفي نفس المياه كان يعيش ولا يزال، نوعان آخران هما سمكة الاسقمري والسردين. لكن إذا كان الاسقمري قد ذكر باسمه في جملة ما كان يصاد، فإن السردين لم يذكره - فيما نعلم - أي نص. غير أن هذا لا يمنع من القول بأنه كان معروفا ومستطابا، وأنه قد كان له موسمه وسوقه النافقة. وكذلك الشأن في عقارب البحر التي كانت غذاء شهيا لعامة الناس وخاصتهم من أهل السواحل المغربية. بحيث أنه لما أريد تشخيص إله البحر، فإنه صور بوجه تحيط به شعور رأسه ولحيته التي تتدلى على شكل عقارب البحر (12). أما الرخويات المعروفة باسم Murrex وهو الأرجوان فقد كان يصاد لغاية صناعية أي اقتصادية محضة كما سنرى.

ونتساءل عن مكانة السمك النهري في هذا الاقتصاد. الواقع أن المراجع القديمة والحديثة التي بين أيدينا قد سكتت جميعا عن هذا الجانب. ولكننا نعلم غنى الأنهار المغربية بأنواع عديدة من الأسماك التي لا يعقل أن يكون قدماء المغاربة قد جهلوها. وحتى إذا طرحنا جانبا ما أشار له سترابون متشككا بقوله (13) : (... ويقال أن بعض

10) Besnier : Géographie... p. 282.

11) Pseudo-Aristote : De Mir. Auxul... 136, et Athenée : VII, p. 315. cités par Besnier.

12) Ponsich, M : Une mosaique du bien océan à Lixus, B.A.M. VI, 1966, pp. 323-328.

13) Strabon XVII, 4.

الأنهار يعيش فيها علق ـ (سمكة النون ؟) ـ طوله سبع أذرع...) فيبقى نوع آخر. هو سمكة الشابل الذي لا بد أنه عرف قديما بلحمه المستطاب وأنه كان له موسم خاص به وسوق رائجة. بل لا أكون مبالغا إذا قلت أنه كان يجفف ويملح ويحمل على البغال في أكياس إلى أسواق الداخل.

أما الفلاحة. فلا مجال للشك في أن القدماء اعتبروا الأرض المغربية ذات خصب كبير. باستثناء صحراء صغيرة. كما يقول سترابون الذي يؤكد أن جميع الناس متفقون على أن مورسيا بلاد غنية. زودت عن سعة بالأنهار والبحيرات... وأن كل شيء ينبت فيها (14)». وبالطبع كان المغاربة ـ كما لا يزالون ـ يولون القمح والشعير أكبر العناية. الأمر الذي جعل رومة تنظر إلى موريتانيا على أنها خزين طعامها (15) ومع جهلنا بمواقع زراعة القمح والشعير. فإننا نتصور أنها كانت تقع حيثما ساعدت الظروف المناخية على قيامها. ولكن المتأكد أنها كانت تعم ـ أو تكاد ـ المنطقة الغربية كلها من البلاد. من الأطلس إلى البحر. ولا بد أن السهول الغربية هي التي كان يقصدها سترابون في وصفه المبالغ فيه حين قال (16) :

«لا داعي لرمي البذور في الربيع. لأن الحبوب التي سقطت عن السنابل أثناء الحصاد كافية لتكون بذورا جديدة. أما تبن القمح فيبلغ خمسة أذرع طولا. وهو في غلظ الأصبع الصغير. وان المحاصيل تعطي نسبة 240 لواحد». أما ميلا فيكتفي بالتعميم ولا يذكر رقما إذ يقول : إن

14) Ibid. XVII , 4.
15) Josephus : Guerre des Juifs, II, 16,4.
16) Strabon et Mela, in Besnier, geographie... p. 276.

الأرض تعيد بالربا جميع ما أعطيت(17).أما القطاني وعلى الخصوص منها الفول الكبير والصغير المعروف اليوم عند المغاربة باسم (القنيبعة) والعدس والحمص فكل ذلك كان كثير الوجود وموضوع معاملات واسعة بين الناس. وقد عثرت شخصيا في الاستبارات التي أجريتها في لكسوس على كميات من القنيبعة المحروقة. كما أن لوكي Luquet -عثر عليها وعلى الفول أثناء حفرياته في كل من وليلي و بناسا (18).

ويكون من نافلة القول التأكيد على وجود الزيتون والنخيل والكرم بالمغرب، وعلى قيمتها الاقتصادية. ان الإشارات لها ليست متعددة في المراجع القديمة التي تخص العصر الذي يعنينا. ومع ذلك فإن بلين يذكر وجودها بوضوح بين الأطلس ونهر الفوت Fut (التنسيفت)، ويقول (19) ، «هنا نلقى بعض الآثار الدالة على أن هذه الأرض سبق أن كانت مسكونة، وعلى بقايا لمغارس الدوالي والنخيل».

إن صيغة كلام بلين توحي بأن الأرض المتحدث عنها كانت مهجورة، ولكن الذي يعنينا نحن هي إشارته إلى وجودها.

ومرة أخرى يقدم لنا سترابون باحتراز كلمة موجزة عن الدوالي فيقول (20) ، «وعن هذه البلاد يحكون أيضا ما يلي ، تنبت فيها دالية تبلغ من الغلظ إلى حد أن رجلين لا يمكن أن تحيط أذرعهما بجذعها. وانها تعطي عناقيد طولها ذراع تقريبا». أما ميلا فيسمى رأس كوتيس

17) Strabon et Mela, in Besnier, geographie... p. 276.

18) Luquet, A : Blé et Meunerie à Volubilis, B.A.M. VI, 1966 p. 302, note n° 2.

19) Pline : H. N, V, 13.

20) Strabon : XVII, 4.

رأس هو المعنى هذا في الدلالة واضح إغريقي باسم Cap Cottès
امبلوسيا Cap Ampélousia وبهذا فرأس سبرتل الذي هو رأس كوتيس
يعني حسب تسمية ميلا رأس الدوالي (21). وبقي أن أشير إلى أن رأس
أدلاو Cap Adelaw هو الذي يسميه بطليموس الجغرافي رأس الزيتون
البري. كما أن مغارس أخرى للزيتون كانت بجزيرة مصب نهر لكسوس
(22).

ومن ناحية أخرى، إذا كنا نعرف أن Arum هو هذا النوع من القرع المعروف في العربية باسم اللوف. فإن سترابون بعدما ذكره أورد أسماء أربعة من الخضر أو البقليات التي لم اهتد إلى أسمائها العربية برغم جميع جهودي، وهي الداركنتيوم Dracontium وستفيلنوس Staphylinus وهيبومراتوس Hippomaratus وسكوليموس Scolymus التي يقول عنها جميعا أن سيقانها تبلغ عشرة أذرع في علوها (23). وأيا ما كان الأمر، فلا بد أن هذه الأنواع، هي مما كانت الأرض تغله وكانت توكل، أي يتعامل فيها بالبيع والشراء في الأسواق.

ولقد كان الاعتماد آنذاك في الزراعة على مجرى الأنهار، بعد الاعتماد على المطر الذي يبقى دائما بالمغرب العنصر الأساسي في الري. وطبعا فإن ضفاف الأنهار قامت عليها أيضا مزارع حولها الرومان إلى مستعمرات لهم. ولم يكن هناك من نظام ثابت للري والصرف، فكانت بعض الأراضي تعاني فعلا سوء تصريف المياه.

21) Mela, Pomponius : III, 10.
22) Besnier : Geographie... p. 275.
23) Strabon : XVII, 3,4.

ونظرا لاتساع الأرض وقلة السكان على ما يظهر، فإن القدماء من المغاربة لم يكونوا، على أغلب الظن، بحاجة إلى تجفيف المستنقعات لزيادة المساحة المزروعة والأغلب على الظن أنهم كانوا يفضلون النزوح عن الأرض القديمة إذا ارتفعت فيها نسبة المياه التي لم تنصرف، ثم يبحثون عن أرض أخرى أصلح. وكان حفر الآبار من العمليات التي اهتم بها الأقدمون كثيرا وأولوها عناية خاصة. ولم تكن السدود على الأنهر معروفة بالمغرب، بينما عرفت الصهاريج لحفظ المياه في المدن. وقد عثر على أمثلة من ذلك في لكسوس ووليلي. وتعتبر بلدة الأقواس الواقعة إلىالشمال من مدينة أصيلا،غرب الطريق الرئيسية لطنجة من أمثلة الريف المغربي الذي تمتع بالتقدم في عصر يوبا الثاني. وان بقايا المزارع القديمة وقنوات المياه، التي كانت تمتد على جسور عالية Aqueduc لا زالت بقاياها ممتدة حتى منطقة الميناء القديمة لتزويد السفن بحاجتها من المياه (24).

إذن فالغلات الزراعية كانت متنوعة، ومنها ما كان للتصدير وأهمه القمح. وكان يزرع في مجاورات طنجة وفي سهول الغرب والمعمورة. ونجد بكثرة سنابل القمح منقوشة على نقود يوبا الثاني. وتدل كثرة وجود الطواحين بوليلي على وفرة القمح بها. ومما لا شك فيه أن القمح كان يمثل أحد الصادرات الرئيسية للمغرب في عهد الملك وابنه (25). ويلي القمح في الأهمية الزيتون. وتعتبر منطقة طنجة ولكسوس من أهم

---

24) Ponsich, M : Komas Port Antique et carrefour des voies de la Tingitane, B.A.M. 1967, pp. 365-405.

25) Luquet, A : Blé et Meumerie à Volubilis, B.A.M, VI, 1966, p. 301-316.

المناطق التي كانت تنتج الزيوت، وهذه بدورها كانت من أهم الصادرات (26). وربما كانت الكروم تعتبر ثانوية في الاقتصاد المغربي لذلك العهد، إذ لم نسمع أن كرم المغرب كان له شهرة كرم اليونان أو آسيا الصغرى مثلا، برغم ما ذكره سترابون عن ضخامة بعض الدوالي وعناقيدها. أما الخضر والفواكه، فمن المؤكد أنها كانت كثيرة ومتنوعة، ونرى صور الكثير منها على الفسيفساء مثل البصل وبعض أنواع البقول. وكذلك يقال عن الفواكه كالتين والموالح التي اشتهر بها المغرب، ويرى كسيل في قصة حدائق الهسبريد وتفاحاتها الذهبية التي قدم البطل الإغريقي هرقل لقطفها، إشارة إلى معرفة الإغريق الأقدمين لشجرة الليمون أو البرتقال من المغرب (27).

ومع الفلاحة نذكر الماشية من أبقار وأكباش وماعز، ونذكر الخيول والبغال والحمير. فهناك العديد من الأدلة على وجود هذه الحيوانات التي لا شك أنها كانت كثيرة العدد، ونشاهد صورها تزين لوحات الفسيفساء، أو نجدها منقوشة على أوجه العملات المضروبة في هذا العهد. وقد كانت المراعي هامة جدا بالنسبة للمور، بحيث نشبت أغلب الحروب القبلية بينهم نزاعا على تلك المراعي، ويصور كثير من المؤرخين المحدثين تاريخ المغرب على أنه صراع بين أرض المراعي وأرض الزراعة، أي بين الرعاة والمستقرين. وبخصوص الكباش نشير إلى أن أصوافها كانت تستعمل في نسج الملابس وصنع الزرابي (28). كما أن سترابون (يؤكد

---

26) Ponsich, M : Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc Région de Lixus, B.A.M., VI, 1966, pp. 337-378.

27) Gsell, St : H.A.A.N : VIII, p. 264.

28) C.I.L. VIII, 21848.

سعة تربية الخيول عند الجيتوليين إلى حد أنهم يكون لهم مائة ألف مهر في السنة (29)» ولا شك أن هذه العناية بالخيول كانت كما هي دائما لركوبها أو للتجارة فيها. فالرسوم الموجودة على صخور الأطلس ترينا الحصان وراكبه في حالتي السلم أو الحرب. والخيول كانت تعد أسرع وأفضل وسائل النقل بشمال افريقيا. كما أن فرسان البربر اشتهروا بقوتهم وتفوقهم في الهجوم الحربي.

وكان هذا النشاط الفلاحي يصاحبه نشاط صناعي لقد اشرت من قبل إلى عمليات الصيد البحري. وذكرت أن محار الأرجوان كان من جملة ما يبحث عنه. ويصاد بكثرة. وقد اصبح اليوم متأكدا أن يوبا الثاني قام بإحياء مصبغات الأرجوان في لكسوس كما أحيى جزيرة الصويرة. حيث كشف التنقيب الأثري مباني ومستوطنات ترجع لعصر هذا الملك. ودلت تلك الحفائر على وجود نشاط صناعي أساسه صيد هذا المحار واعتصاره لاستخراج صبغته.

وجزيرة الصويرة جزيرة صغيرة صخرية قريبة من شاطئ مدينة الصويرة. قامت عدة بعثات تنقيبية بها برئاسة سنتاس Cintas (30) وجودان Jodin وغيرهما (31) وظهر بأن الفنيقيين أقاموا أول متجر لهم بهذه المنطقة منذ القرن الرابع قبل الميلاد (32) أو قبله بقليل. وما

---

29) Strabon d'après H. Lhote : Problemes sahariens, B.A.M., VII, 1967, p. 63.

30) Cintas, P : Contribution à l'étude de l'expansion Carthaginoise au Maroc, Rabat 1954.

31) Jodin, A : Mogador comptoire Phénicien du Maroc Atlantique, Rabat, 1966.

32) Jodin. A : Mogador... p. 191.

لبث هذا الموقع أن هجر أو ركدت أحواله بعد اضمحلال قرطاجة. ثم أعاد له الحياة يوبا الثاني (33). ذلك ما يؤكده بلين قائلا : «لا توجد لدينا سوى معلومات ضئيلة عن الجزر الموريتانية. ولا يعرف على وجه اليقين منها سوى القليل. إذ قام باكتشافه يوبا بالقرب من سواحل الأطلوليين Autololes حيث أحيى صناعة كانت قد اندثرت. وهي صناعة استخراج صبغة الأرجوان (34) ومن المحتمل أن يوبا نفسه كان يحتكر هذه الصناعة. أو على الأقل كان يساهم فيها. ولا يمكننا أن نفسر ثراءه الكبير وثراء ابنه من بعده إلا بأن التجارة في هذه الصبغة النادرة قد درت عليه أرباحا وفيرة (35). وربما كانت البعثة الاكتشافية البحرية التي أرسلها إلى جزر كناريا سببها رغبته في توسيع نطاق مصايده (36).

وأيا ما كان الأمر. فإن هذه الصناعة كانت تبتديء أولا بخروج سفن الصيد إلى الشواطىء حيث يقوم الغطاسون بجمع المحار والعودة به إلى اليابسة حيث يعصر. وتعبأ الصبغة في أحواض. ثم ترسل إلى المصانع التي كانت تعالج النسيج الفاخر. الذي كان أردية يختص بها الملوك والأمراء ومن في منزلتهم. وقد عرفت تلك الأصباغ باسم الأصباغ الجيتولية نسبة للسواحل الجيتولية. أو نسبة للصيادين الجيتوليين أنفسهم الذين كانوا يجمعون المحار ويعصرونه. ويظهر أن كمية كبيرة جدا من

---

33) Vidal de la Blache : Les purpurariae du Roi Juba, dans mélanges Perrot, 1903, pp. 325-329.
34) Pline : H.N, VI, 202.
35) Herber. D.H : La pourpre de Gétulie, Hesperis, XXV, 1938, p.73.
36) Sagazan, L. de : L'exploration par Juba II des Iles Purpuraires et Fortunées, Rev. Maritimes, 1956, pp. 1112-1121.

القواقع كانت تعطي كمية صغيرة من صبغة الأرجوان. ونظرا لندرتها فإنها كانت غالية الثمن.

ولعل ثمنها المرتفع هو سبب ثروة يوبا الثاني وابنه. تلك الثروة التي كانت سبب مصرع الملك الشاب بطلمي على يد كاليكولا. ومن المحتمل أن هذه المصانع كانت كبيرة، تشمل عدة من المباني، وتشغل العديد من البحارة والعمال. بدليل وجود حي كبير لهذه الصناعة في كل من لكسوس وجزيرة الصويرة (37). ولا شك أن إدارة تلك المصانع بما يلتحق بها من سفن للصيد ومعدات كانت تتطلب إدارة قوية محكمة وحازمة. علاوة على الأسطول المعد لمواجهة أنواء المحيط. وأخيرا نفهم هذا التجهيز وما يتطلبه من أموال ونفقات إذا اصغينا إلى كرنيليوس نيبوس Cornelius - Nepos في كلمته التي نقلها عنه بلين (38) ، «أن صبغة الأرجوان المغربية قد بيع الرطل منها بمائة دينار (Centum Dinarii)

وبجوار صناعة الأصباغ كانت توجد صناعة الكيماويات والأدوية. ذلك أن يوبا نفسه كان على اطلاع واسع في الكيمياء. وقد استقدم إليه من بلاد اليونان عالما بحاثة هو الطبيب أوفرب Euphorbe والذي كان يخرج إلى جبال الأطلس حيث يتبقل . وهناك عثر على نبات لم يسبق لعلماء الإغريق أن عرفوه من قبل. فأطلق عليه اسم أوفربيا Euphorbia نسبة إليه (39). وكان هذا النبات إذا عصر

37) Jodin, A : Les établissements du Roi Juba II aux Iles purpuraires, p. 28.

38) Pline : H.N, IX, 137.

39) Pline : H.N, 16 – XXV, 77.

أعطى سائلا عزيت له عدة من الخاصيات الطبية. فطارت شهرته في العالم القديم وكثر الطلب عليه. إذ قيل عنه أنه دواء ومصل ضد السموم ولذغ الأفاعي. كما قيل إنه يقوي البصر (40).

وكانت صناعة المعادن من الصناعات الرائجة بالمغرب آنذاك. فقد عثر على الكثير من المخلفات المعدنية. منها أدوات الحقل المصنوعة من الحديد والبرنز. ومنها أجزاء الأبواب والمسامير. ومنها الأثاث التي وجدت أجزاء كثيرة منها في مواقع مختلفة. وتقدم لنا كرستيان بوب Christiane Boube-Piccot إحدى هذه المصنوعات. وهي مائدة ذات أرجل معدنية تشبه قوائم الأسود وتعزو الكاتبة وصول هذا الطراز من الموائد الهلنستية للمغرب إلى يوبا الثاني إذ تقول (41) : «إننا نؤرخ هذه المائدة بالعهد الهلنستي. وربما بأواخر هذا العهد. أي بالحقبة التي يتأكد وصولها إلى موريتانيا. بتأثير يوبا الثاني لا شك». وكذلك فقد عثر على العديد من التماثيل البرنزية في وليلي وغيرها. وكانت هذه التماثيل مثالا للمدرسة الهلنستية التي ابتدأت صناعاتها في الازدهار بالمغرب خلال هذه الفترة. وقد دللت الحفائر الأثرية على أن يوبا الثاني كان له الفضل الكبير في تأسيس مصانع للبرنز بالمغرب (42). ولنا أن نتساءل عن خامات هذه المعادن. ومن أين كان يؤتى بها ؟ إننا لا نعرف شيئا عن وجود مناجم للنحاس أو القصدير

---

40) Gsell, St : H. A.A.N, VIII, 268.

41) Boube-Piccot, Chr : Table Hellenistique en bronze de Lixus, B.A.M, VIII, 1968-72, p. 50.

42) Boube-Piccot, Chr : L'existance d'ateliers de bronziers à Volubilis, B.A.M, V, 1964, p. 195...

هنا في ذلك العهد. ومع ذلك يجوز أن نفرض أن اسبانيا كانت تزود هذه المعامل بما تحتاج إليه من هذه الخامات (43). وأيا ما كان الأمر. فإن النماذج الكثيرة لقطع الأثاث والمصابيح والقناديل وأيدي الأبواب وغير ذلك. مما عثر عليه في التنقيبات. وكان محل دراسة الكثير من رجال الآثار. ونشرت فيه المقالات الطويلة بحولية الآثار المغربية. لهو خير دليل على أن الصناعة اليدوية التي نراها اليوم بالمغرب. تستمد أصولها من صناعة ذلك العهد. ولقد استبعدت بوب بيكو أن تكون هذه النماذج مستوردة على ما هي عليه من العالم اليوناني. وترى الكاتبة أن هذه القطع تظهر عليها آثار الشخصية المغربية وتقاليدها الراسخة الأصلية. ولو أنها عبارة عن نسخ مقلدة لنماذج يونانية الأصل.

ونعود للمنسوجات التي ازدهرت بلا شك صناعاتها في العهد الذي يعنينا. بحيث نرى الملابس والسراويل ذات الطراز المغربي واضحة في قطع التماثيل البرنزية التي حافظت لنا على أشكالها. والتي لولا تلك التماثيل لما عرفنا عنها شيئا. ومنها ذلك التمثال الذي ربما كان يمثل أحد الأسرى من ثوار حركة إيمدمون (44).

أما النماذج الفخارية فكثيرة جدا. ورغما عن كون أغلبها مستجلبا من مختلف أنحاء العالم الروماني (45). فإن هناك أيضا العديد من

43) Besnier : Geographie... p. 294.
44) B.A.M : VIII, 1968-1972, Planche VI, p. 64.
45) Boube J. : La terre Sigillata Hispanique en Mauretanie Tingitane, p. 73-96.

الأواني التي كانت تصنع في المغرب، وكانت تحمل أختاما لمصانع من عصر يوبا (46).

ومن ناحية أخرى، نرى أثر نشاط الصناعات الزجاجية التي قدمت لنا الحفائر منها نماذج متنوعة، من بينها أكواب وصحاف ومصابيح. وكذلك، فإن الصناعات الصغرى نالت اهتماما خاصا. وإذا كان الملك يعنى عناية فائقة باختيار أدوات زينته ويجلبها من الخارج، فقد بقي لنا من الشمب نماذج من مقابض المذبات المصنوعة من العاج المنحوت بأشكال آدمية وحيوانية، ومن بعض قطع الخشب المنحوت ما يعطينا فكرة لا بأس بها عن وجود فن صناعة العاج والخشب أثناء تلك الفترة.

والخشب بصفة خاصة كانت له مكانته في الحركة الاقتصادية في مملكة يوبا الثاني وابنه. فقد كانت الغابات الطبيعية تكسو جبال الأطلس وكثيرا من سفوحها فكانت تمد البلاد بمختلف أنواع الأخشاب بكمية وفيرة. وقد روى الكتاب القدماء من أمثال بلين أن بطليموس ابن يوبا الثاني كان يباهي بأنه يملك مائدة ذات حجم كبير، تتكون من قطعة واحدة من الخشب. وقد كانت هذه المادة إحدى صادرات البلاد (47)، وتدر أرباحا كبيرة على تجارها. وربما كان ثراء وليلي وأصحاب دورها الجميلة مرجعه تجارة الأخشاب.

46) Ponsich, M. : Nouvelles observations sur la Céramique estampée au Maroc Romain, B.A.M., VIII, 1967, p. 499...

47) Strabon : XVII, 3, 4.

وإذا كانت غابات الأرز والصنوبر تكسو جبال الأطلس والريف، فإن غابات البلوط كانت بدورها تكسو مساحات شاسعة من سهول الغرب. وكلها كانت محلا لمعاملات رابحة (48).

ونظرا لأن مملكة يوبا الثاني كانت تصل حتى قاصية الشمال الغربي لشمال افريقيا، فقد بذلت جهود كبيرة لعمل شبكة من الطرق التي تربط الأجزاء الشرقية من المملكة (غرب الجزائر) بالجزء الرئيسي منها. ومن المحتمل أنه كانت هناك طريق برية داخلية تربط وليلي بيول مارة ببسيط سايس بين فاس ومكناس الحاليتين، ومخترقة ممر تازة في اتجاه الشرق إلى نهر ملوية الذي كان يشطر المملكة إلى قسمين شرقي وغربي. وإذا كان هذا مجرد افتراض، فإنه مع ذلك قوي، إذ لا يعقل أن لا تكون هذه الطريق الطبيعية قد استعملت، خصوصا وأنها تخترق داخل البلاد لتربط بين قسميها، ولأنها من ناحيتها الغربية تمر بأخصب مناطق المملكة. على أن الطريق المألوفة هي الطريق البحرية التي تصل بين يول وطنجة وزيليس، ولكسوس وسلا. ولكن في العهد الروماني استعمل طريقان آخران ينزلان بريا داخل الولاية، هما طريق طنجة - سلا على الساحل، وطريق طنجة وليلي التي كانت تبعد عن الطريق الأولى قليلا نحو الشرق (49).

ولكن الملاحظ هو أن الرومان في سيرهم على هاتين الطريقين إنما تتبعوا طبيعة التضاريس الأرضية التي لا شك أن المغاربة كانوا

48) Jodin, A. : L'exploitation forestière du Maroc antique, (communication au 93ème congrès national des sociétés savantes) Tours 1968, p. 413-422.

49) Besnier : Géographie ..., p. 2 91.

أعرف بها منهم وأسبق إلى استعمالها. فهما إذن مسلكان قديمان، عرفا قبل عهد يوبا الثاني واستعملا في عهده بالتأكيد. ولا يصح أن يقال أنهما من إنشاء الرومانيين. وكذلك الشأن في طريقين آخرين كانت القوافل تخترقهما نازلة إلى الجنوب أو صاعدة منه. فإحداهما كانت تربط وليلي بالجنوب حتى الصحراء مسايرة للساحل. والثانية كانت تربط النواحي الغربية من أطلس التل في الجزائر بالصحراء عبر وادي زسفانة. فالطريقان معا يؤديان من ناحية الجنوب إلى أرض الفاروسيين Pharusii والنكريتيين Nigrétès الذين يستعملون عربات لها مناجل مثبتة في عجلاتها (50) كما أنهم يربطون جلود الحيوانات المملوءة بالماء تحت بطون خيولهم، وربما يصلون هكذا حتى إلى سرتا Cirta عبر أرض بها مستنقعات وبرك مائية (51). وعلى كل فالذي لا شك فيه هو أن هذه الطرق كانت تستعمل للتجارة في حالة السلم، كما تستعمل للأغراض الحربية. ولا نعلم بالضبط هل كانت هناك جسور لعبور الأنهار، أو كان العبور يتم على رمث أعد لهذا الغرض، ويبقى أن الطريق البحرية كانت تفرض وجود سفن للنقل. ولا شك أن تلك السفن كانت معدة للسفريات الطويلة المدى، كما أنها كانت تسير بعيدة عن الشاطئ ومسترشدة بالملاحة الفلكية. وقد حفظ لنا بلين أنباء البعثة الاستكشافية التي أرسلها يوبا الثاني إلى جزر كناريا. وفيها يقول بأن تلك السفن قد سارت من جزيرة الارجوان (الصويرة) إلى جزر كناريا، متتبعة للتيارات البحرية.

50) Pigaudau, O., d., : Utique, Lixus et l'or du Soudan (Archéologie, N° 9 Mars-Avril 1966).

51) Strabon : XVII, 3,7.

وعلى ذلك فإن هذه السفن كانت معدة لمثل هذه الرحلات الطويلة في أعالي البحار. كما أنها كانت مشحونة أو مزودة على الأقل بما يلزمها من البحارة المهرة المدربين. ومن المحتمل أن تلك الرحلات قد تكررت عدة مرات. ولا يستبعد أن يكون يوبا الذي وجد الجزر خالية من السكان كما يقول بلين (52) قد ارسل إليها من يعمرها. وهكذا وجدها المستكشفون الإسبان بعد سبعة عشر قرنا.

ولا بد من الإشارة إلى القاعدة الرئيسية في التجارة كانت هي المبادلة لا سيما في الأسواق القروية. غير أن عملة يوبا الثاني البرونزية كانت شهيرة (53). كما أنها اليوم من الكثرة والتنوع إلى حد أن كسيل قد اعتمد عليها كثيرا في تحقيق بعض القضايا المتعلقة بتاريخ هذا الملك. وأوضح بهذه المناسبة أن العدد الكبير من قطع هذه العملة الموجودة يكفي لتغطية كل الفترة التي قضاها الملك في الحكم (54) وفيها نرى شكل الملك في مختلف أدوار حياته (55). وإذا كانت المعاملة تجري في الأسواق بطريق المبادلة غالبا. فإن العكس هو الذي كان يحدث في المدن التي نستطيع تصور حركتها التجارية إذا تذكرنا أن مملكة يوبا الثاني بجناحيها كانت تنتظم سواحلها بسلسلة من المدن التجارية التي ورثها الملوك المغاربة عن الفنيقيين والقرطاجيين والتي تبتدئ بصلداي Saldae (بجاية) على البحر الأبيض المتوسط

52) Pline : H. N, XXXVII, 202.

53) Baradez, J. : Un grand bronze de Juba II, B.A.M. IV, 1960, p. 117-132.

54) Gsell. St. : VIII, p. 278...

55) Marion, J. : Notes sur quelques monnaies Mauretaniennes inédites. B.A.M., IV, 1960, p. 93-105.

وتنتهي بسلا على النهر الذي يحمل اسمها ويصب في المحيط الأطلسي مرورا بمرتفع الميتاكونتيس Cap Métagonitis وخليج المتاجر Golf des emporia (56). فليس من المعقول أن يشك في الطبيعة التجارية لهذه المواقع، ولا في الدور الذي كانت تقوم به في الميدان الاقتصادي.

وهذا طبعا بالإضافة إلى المواقع الداخلية مثل بناسا وليلي (57) اللتين كانتا آهلتين بالمعمرين والفلاحين الرومانيين والإيطاليين من قدماء المحاربين والفرسان أصحاب الصفقات التجارية الذين ذكرهم بلين وعجب من جهلهم لخيرات الأطلس (58). وقد سبق بمناسبة حديثي عن كشوف تارديل وبونسيك في لكسوس، أن تعرضت بالإشارة إلى حوانيتها التجارية الباقية آثارها حتى الآن.

وكما أن العمليات التجارية لم يختص بها المغاربة فتقصر عليهم، فإنها كذلك لم تكن خاصة بتراب المملكة ولا تتعداه إلى الخارج. والأمثلة على ذلك كثيرة. منها هذه الحالة العجيبة التي إن تكن الآن منفردة فإن لها دلالتها الواضحة في هذا المجال. ولعل الكشوف الأثرية المقبلة ستعززها بمثيلات لها. ففي كارنثيا Carinthie بجنوب النامسا الحالية، والتي كانت تحمل في العهد الروماني اسم نوريك Norique ، وقع العثور في معمل لصنع الادوات الحديدية على جدران تحمل كتابات، هي عبارة عن أسماء زبائن المعمل وأنواع البضاعة

---

56) Strabon : XVII, 3,2 et 3.

57) Thouvenot, R : Deux Commerçants de Volubilis dans la Norique. B.A.M, VIII, 1968-1972, p. 216.

58) Pline : V, 12.

التي كانوا يشترونها وكميات ما يشترون في بداية القرن الميلادي الأول. ومن بين هذه الأسماء ذكر شخصان كل منهما موصوف بأنه Volubilitanus أي من مدينة وليلي. والإسمان هما سولوس Surulus وأروسيوس Orosius اشتريا جفانا وأقراصا وحلقات. وقد أرخ روداي كير Rud. Egger هذه الكتابات - وبالتالي العمليات التجارية - بالمدة المتراوحة بين نهاية الجمهورية الرومانية وحكم كلوديوس. وهكذا نجد التجار الرومانيين في وليلي بموريتانيا في عهد يوبا الثاني، ونعرف بعضا مما كانوا يتعاطونه من الأعمال. كما نعرف إلى أي مدى وصل مجال عملهم (59).

وطبعا فإن عمل هؤلاء لم يقتصر على مقاطعة نوريك. أما مع إيطاليا فالمعاملات كانت تسير في الإتجاهين ، من إيطاليا إلى موريطانيا، ومن هذه إلى أخرى. وإذا كنا لا ندري على وجه التحقيق ما هي المواد المستجلبة من إيطاليا. فإننا نفرض أنها الكماليات وما يحتاج إليه المترفون عادة (60).

وعلى النقيض من ذلك كانت الموانئ الموريتانية تصدر إلى إيطاليا القمح والزيت والعسل وأنواعا من طيور المائدة والسمك والأوفرب وخشب الستروس والجلود والعاج والحيوانات المتوحشة والخيول

59) Thouvenot, R : Deux commerçants de Volubilis dans la Norique. B.A.M, VIII, 1968-1972, p. 216.

60) Jodin, A : Le commerce Mauretanien au temps de Juba II (Actes du 91ème Congrès des S.S.). Paris 1968, pp. 55-59. Jodin, A : Un vase aretin de Publius Cornelius à Mogador, dans mélanges Piganiol, t II, Paris 1966, pp. 519-528.

والأرجوان واللؤلؤ والعبيد، ويصلها النقود والزجاجيات والخزف. أما اسبانيا فكانت تبعث بالأدوات المعدنية وبخامات المعادن ويصلها أغلب المواد المذكورة آنفا وعلى الخصوص منها السمك والحيوانات المتوحشة (61).

وختاما، ما هي الصورة التي اتضحت لنا من هذه المحاولة ؟ إننا مع عجزنا عن الاستيعاب نعتقد أنها صورة براقة. ولكن ألا يشينها ما تنطق به من تسلط الأجانب على قسم مهم من الحياة الاقتصادية الوطنية حتى قبل الاستعمار الفعلي المباشر ؟ ألم يكن يوبا الثاني رخي العنان مع هؤلاء الأجانب ؟ ولكن أكان بمستطاعه أن يفعل غير ما فعل ؟ إني حتى إذا كان يسوغ لي أن احكم فلست أحب أن اصدر الآن حكمي. وقبل ذلك أحب أن أسمع رأي واحد من الكتاب الذين تعودوا التمدح بكل ما يصدر عن رومة وصنائعها وأتباعها.

فبونسيك يرى أن التقدم الكبير الذي أحرزته منطقة طنجة في الزراعة، واستعادتها لمكانتها التجارية والصناعية، إنما حدث بفضل الملك يوبا وعقيلته كيلوبترا. وقبل ذلك وبعده لقد حدث ما حدث بفضل خضوعه لروما ويضيف قائلا (62).

61) Besnier : Geographie... p. 294.
62) Ponsich, M : Recherches archéologiques à Tanger... p. 184.

Juba II est avant tout un roi indigène, et sa femme est la fille de la grande cléopâtre et Marc-Antoine. Ce co uple apporte la culture romaine, grecque et égyptienne à la fois, mais il est regardé comme un des siens par le peuple maure ; c'est pourquoi son règne s'écoule dans la paix et une profonde entente entre un roi intelligent, cultivés, entreprenant et ses sujets, qui le suivent dans la voie du progrès, réalisé grâce à sa soumission à Rome.
Leur fils ptolémée semble continuer l'œuvre de son père...

ولنا عودة إلى هذا الموضوع لمناقشة بونسيك في دعواه هذه.

فـاس   د. محمد التازي سعـود

مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة
تاريخ الغزو البرتغالي
لسواحل المغرب، والبحر الأحمر، والخليج العربي وما تولد عنه من ردود فعل (•)

أحمد بوشرب

بعد أن تعرض العالم العربي لهجمة صليبية استهدفت خلال العصور الوسطى شطريه الشرقي والغربي (الأندلس، تونس)، تعرض من جديد، وقبل بداية العصور الحديثة، (سبتة والقسم الشمالي من المغرب) لمد إيبيري أولا، وعثماني ثانيا، انتهى باكتساح أراضيه وفقدان استقلال بعض مناطقه لمدة تقرب من أربعة قرون. وتعتبر هذه الحقبة من أخطر الحقب التي مر منها العالم العربي إذ كانت لها مخلفات جد خطيرة شملت كل الميادين، وأثرت كثيرا على تطوره اللاحق وبقي بعضها قائما إلى يومنا هذا.

فهل تسمح وثائقنا ومصادرنا العربية بالتأريخ لهذه الفترة ؟

(•) كان من المقرر ان تلقى مادة هذا البحث على طلبة السلك الثالث (قسم التاريخ) بجامعة البصرة إلا ان الاحداث التي تعرفها المنطقة حالت دون ذلك.

لقد كان الجناح الغربي من العالم العربي يعيش أوضاعا اقتصادية وسياسية واجتماعية لم تكن تساعد على التأليف. ولذلك لم تصلنا عن الغزو الإيبيري أولا، والعثماني ثانيا، إلا إشارات طفيفة حالت إلى يومنا هذا دون اهتمام مؤرخينا بهذه الحقبة رغم خطورتها. فبالمغرب الأقصى مثلا، لم تصلنا ولو وثيقة واحدة عن أحداث كبرى وعن معارك كانت حاسمة كمعركة وادي المخازن الكبرى (1578). وأكثر من هذا، لا تسمح المصادر المتوفرة لدينا بكتابة تاريخ هذه الحقبة لكونها تفتقر إلى الدقة افتقارا يبعث على الاستغراب. فهي لا تحدد التواريخ، ولا تذكر الأسماء، ولا تميز بين جنسيات النصارى في فترة تنافست فيها الدول الأوربية حول المغرب. فصاحب عروسة المسائل مثلا، لم يذكر حين تعرضه لتصدي السلطان الوطاسي محمد الشيخ لمحاولة البرتغاليين تحصين جزيرة المليحة (1489) قصد التحكم في سهل اللكوس ومدينة القصر الكبير لا اسم السلطان ولا تاريخ الحدث ولا جنسية الغزاة.

أما ابن القاضي، فإنه اكتفى بالإشارة التالية : «وفي هذه السنة (894 هـ)، حرك الشيخ الوطاسي للجزيرة التي أسفل من قصر كتامة في شعبان منها بجميع أهل المغرب، واحتال في قطع الوادي الذي دخلت منه سفن الكفرة، فطلبوا منه العفو عن أنفسهم. وقيل كانت في التي تليها...» (1)

ومما له دلالة أن لا تستعمل كلمة برتغال من طرف مؤرخ مغربي إلا في نهاية القرن التاسع عشر على يد الناصري الذي نقل ذلك عن

(1) محمد الكراسي : عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل، تحقيق ونشر عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1963.

مصدر اسباني اعتمد عليه للتأريخ للغزو الإيبيري لسواحل المغرب، وأن يكون الوحيد الذي أشار إلى أكبر عميل، يحيى أو تعفوفت، الذي لعب دورا كبيرا في تحقيق البرتغاليين لمكتسبات مهمة بالجنوب، وأن يورد اسمه محرفا لنقله عن المصدر الإسباني السابق الذكر (2). وما ذكرته عن المغرب ينطبق كذلك على جارتيه، الجزائر وتونس. فالأستاذ أحمد توفيق المدني لم يستطع التأريخ للغزو الإسباني للجزائر إلا بعد اللجوء إلى أرشيف سيمنكاس الإسباني (3).

وبهذا يصبح الالتجاء إلى الوثائق والمصادر الأوروبية ضروريا لكونها توفر المادة الأساسية، ولكونها تمثل بالنسبة إلينا أهمية مزدوجة إذ تمكن من دراسة المد الإيبيري واكتساحه للأراضي الإسلامية من الزاوية الداخلية والخارجية (ربط الغزو بأوضاع إيبيريا، وبالتالي دراسة الأسباب والعوامل والوسائل المسخرة...) ولكن هذا لا يعني أبدا الاستغناء الكلي عما يتوفر لدينا من وثائق ومصادر عربية مهما كانت قليلة.

وتوفر الأرشيفات الأوروبية للباحث العربي كميات هائلة من الوثائق النفيسة. ولعل المغرب اليوم أكثر الدول العربية حظا في هذا الباب إذ توفر مجموعة «المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب» Sources Inédites de l'Histoire du Maroc. أكبر عدد منشور من

(2) ابن القاضي أحمد : لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد. تحقيق محمد حجي، الرباط، 1976.

(3) الناصري، أحمد بن خالد : كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. ج 5، ط. البيضاء 1955، ص 10. وذكر الشخص المذكور : يحيى ابن تافوت عوضا عن أوتاعفوفت.

الوثائـق الأوربيـة. لكونهـا تضـم 27 مجلـدا ضخمـا يحتـوي علـى مئات الوثائق التي تم التنقيب عليها بأرشيفات اسبانيا والبرتغال وفرنسا وأنجلترا وهولندا. وهذه المجموعة قسمان : الأول خاص بالدولة السعدية وسمي السلسلة الأولى. والثاني خاص بالدولة العلوية. وسمي السلسلة الفلالية (6 مجلدات نسخت من الأرشيف الفرنسـي). وجاءت السلسلة الأولى موزعة بين الدول الأوروبية الخمس كالتالي :

- فرنسا : 4 مجلدات.
- هولندا : 6 أجزاء.
- إنجلترا : 3 أجزاء.
- اسبانيا : 3 أجزاء.
- البرتغال : 5 أجزاء.

ومما يجعل من وثائق السلسلتين أداة عمل مهمة جدا هو أن صاحب الفكرة والمشرف على النشر (H. De Castries) وحد خطة العمل إذ أن كل وثيقة تقدم بملخص موسع في بعض الأحيان بالفرنسية وترفق بحواشي وتعاليق تساعد كثيرا على فهمها. وكلما تم العثور على ملف متعلق بحدث ما. حرر المنقبون على الوثائق مقالا يدرج قبل تلك الوثائق يسلطون بواسطته الأضواء على ذلك الحدث ويبينون إضافات تلك الوثائق الدفينة.

ولا تخفى أهمية هذه السلسلة على أحد لكونها توفر للباحث العربي مادة خام مهمة. لا تلزمه بالتنقل والتنقيب الصعب خصوصا وأنه يستحيل على كل من ليس له إلمام بعلم البليوغرافيا قراءة الوثائق لكونها مكتوبة بخط يجعل عين القارئ غير المتعودة عليها عاجزة حتى عن

معرفة اتجاه الحروف الصحيح. هذا فضلا عما تحتوي عليه من رموز واختصارات تجعل بعض كلماتها لا تحتوي إلا على حرف أو حرفين من الأ بجد ية اللاتينية.

ورغم ما يمكن أن يوجه للمشرفين على نشر تلك الوثائق من لوم بشأن المعايير التي كانت وراء نشر وثائق دون أخرى، فإن الباحث العربي لا يمكنه اليوم إلا أن يغتبط لتوفر هذه المادة العلمية الهائلة المتعلقة بأخطر فترات تاريخ العالم العربي الإسلامي. وسأقتصر في المرحلة الأولى من هذا العرض على المجموعة البرتغالية التي دام تعاملي معها خمس سنوات. ولن أتعرض لكل الوثائق التي اشتملت عليها، بل سأخص بالذكر العربية منها التي يمكن للباحث العربي الذي لا يستطيع استغلال النصوص البرتغالية الاعتماد عليها في دراسة مراحل اعتداء البرتغال على السواحل العربية الإسلامية ودوافعه ومختلف ردود الفعل التي تولدت عنه. وسأنتقل بعد ذلك للتعريف بوثائق أخرى محفوظة بالأرشيف الوطني البرتغالي.

وتم العثور على وثائق السلسلة البرتغالية بالأرشيف الوطني بلشبونة Arquivo Nacional da Torre do Tombo وبمكتبة مدينة يابرة ((Evora)). ونشرت الأجزاء الخمسة بباريز ما بين 1934 و 1953.

نشر المؤرخ الفرنسي ((P. Cenival)) الجزء الأول سنة 1934 في 782 ص احتوت على 158 وثيقة تتعلق بأحداث الفترة ما بين يوليوز 1486 وأبريل 1516. وأغلبية هذه الوثائق عبارة عن تقارير بعث بها المسؤولون البرتغاليون على الثغور ومساعدوهم البرتغاليون واليهود والمسلمون. وتتعلق هذه التقارير بمراحل الغزو البرتغالي للجنوب

المغربي. ورغم كثرة الوثائق السياسية، فإن هذا الجزء ضم عددا مهما من الوثائق التي تسلط الأضواء على الجوانب التجارية والاجتماعية والدينية... ومن بين الوثائق المذكورة توجد الوثائق العربية الإثنى عشرة التالية :

1) ـ نص معاهدة الحماية البرتغالية على مدينة أزمور بعث بها الملك البرتغالي إلى أعيان المدينة للتصديق عليها. وهي مؤرخة في 16 غشت 1486 ومرفقة بنص التصديق وأسماء الموقعين عليها. (ص ص 9 ـ 16).

2) ـ رسالة من الملك البرتغالي (جوا الثاني) إلى قائد مدينة آسفي مؤرخة في 16 ـ 10 ـ 1488 يخبره بقبوله بقاء المدينة المذكورة تحت الحماية البرتغالية مع التأكيد على حقوق وواجبات الطرفين (ص ص 25 ـ 30).

3) ـ رسالة أعيان قبائل الشرقية (نواحي آسفي بالجنوب المغربي) إلى الملك البرتغالي مؤرخة في دجنبر 1502. يشتكون فيها من تصرفات ممثله التجاري بميناء مزغان (قرب أزمور) التي تضر كثيرا بالسكان مما قد يؤدي إلى إلحاق الضرر بمصالح الملك (ص ص 83 ـ 84).

4) ـ رسالة من الملك البرتغالي إمنويل الأول إلى أعيان أزمور مؤرخة في 22 ـ 4 ـ 1504 ردا على طلب العفو الذي طلبوه إثر عصيانهم ونهبهم للسفن البرتغالية مع التأكيد على شروط الملك من أجل الحصول على العفو (ص ص 95 ـ 98).

5) ـ رسالة من أعيان آسفي إلى الملك البرتغالي إمنويل مؤرخة في 2 ـ 7 ـ 1509 يشتكون فيها من النهب والتعسفات التي عانت منها المدينة بعيد دخول الجيش البرتغالي إليها. ويفضحون فيها طيش سياسة

القبطان الذي سبب خراب المدينة وفرار سكانها. (صص 178 ـ 189. وهي وثيقة مهمة جدا).

6) ـ رسالة من أعيان ميناء ماسة بالجنوب المغربي إلى نفس الملك البرتغالي مؤرخة في 28 ربيع الأول 916 موافق 6 ـ 7 ـ 1510 يشتكون فيها من تصرفات ممثله التجاري بميناء (سنتا كروش. أكدير حاليا) ويعبرون فيها عن خيبة أملهم في الحماية البرتغالية (صص 234 ـ 239. وهي وثيقة مهمة جدا).

7) ـ رسالة علي بن سعيد. أحد أعيان أزمور. إلى الملك إمنويل مؤرخة في بداية شعبان 916 هـ (ما بين 3 ـ 12 يونيو 1510) يعرض فيها خدماته وخدمات سيده. المولى زيدان. حاكم أزمور (صص 249 ـ 251).

8) ـ وثيقة مؤرخة في أوائل ربيع الثاني 918 (16 ـ 25 نونبر 1513) عين بواسطتها يحيى أوتعفوفت. قائد المناطق الداخلية الخاضعة للبرتغاليين. ممثلا عنه في قبيلة الحارث. وفوض له سلطة قضائية وحدد مختلف أنواع الجرائم والعقوبات المناسبة (صص 316 ـ 320).

9) ـ وثيقة مشابهة تعود إلى يونيو 1512 عين بمقتضاها يحيى أوتعفوفت المذكور. نائبا عنه بإحدى قبائل الجنوب المغربي (صص 326 ـ 327).

10) ـ رسالة من لحسن أمجوط. تعود إلى أكتوبر 1512 بعث بها إلى قبطان وعامل آسفي يفضح فيها بعض المواقف المعادية للبرتغاليين. وإعداد يحيى أوتعفوفت للخيانة (صص 362 ـ 363).

11) ـ رسالة من نفس الشخص إلى نفس المسؤول البرتغالي (دجنبر 1512) يخبره فيها بعصيان سكان المدينة الغربية وبتواطؤ يحيى أوتعفوفت معهم (370 ـ 371).

12) ـ رسالة من يحيى أوتعفوفت إلى عمه بعث بها من منطقة الحوز (مارس 1514) يخبره فيها بقرب وصوله إلى مقر إقامته (سرنو) وباستعداده لمواجهة الأمير الوطاسي ناصر الذي دخل المنطقة لنسف المكتسبات البرتغالية ولمعاقبة المتعاملين مع البرتغاليين (ص ص 514 ـ 515).

وبالإضافة إلى الوثائق البرتغالية والعربية، يحتوي هذا الجزء على عدد من المقالات أشير هنا إلى أهمها :

- بداية التوسع البرتغالي بالمغرب (ص ص 7 ـ 16 من المقدمة)
- فرض نظام الحماية على أزمور سنة 1486 (ص ص 1 ـ 3).
- احتلال آسفي من طرف البرتغال سنة 1508 (ص ص 120 ـ 127).
- تقسيم مناطق النفوذ بين البرتغال واسبانيا بالمغرب (203 ـ 212).
- احتلال البرتغاليين لمدينة أزمور، 3 شتنبر 1513 (ص ص 394 ـ 402).
- الهجوم على مراكش يوم 23 أبريل 1515، (ص ص 687 ـ 692).
- الهجوم على المعمورة، يونيو ـ غشت 1515، (ص ص 695 ـ 702).

وتم جمع وتحقيق وتقديم وثائق الجزء الثاني على يد الباحث الفرنسي سنيفال، ولكنه لم ينشر إلا بعد وفاته سنة 1937، وتم ذلك على يد المؤرخ البرتغالي لوبش (David Lopes) والفرنسي ريكار

(R. Ricard) وقسم هذا الجزء إلى قسمين، نشر أولهما بباريس سنة 1939 في 388 صفحة ضمت 96 وثيقة تتعلق بالفترة ما بين ماي 1516 ودجنبر 1526، وتوجد ضمن هذه الوثائق أربع عشرة وثيقة عربية :

1) - رسالة بعث بها أحد الدكاليين (يوليوز 1516) إلى قبطان آسفي الجديد يعرض عليه فيها خدماته ويقدم بعض النصائح لإرجاع الاستقرار إلى المنطقة (ص ص 16 - 17).

2) - رسالة بعث بها إلى نفس القبطان شخص يطلب فيها منه حماية قبيلته من مضايقات قبائل مشنزاية القوية - والرسالة مؤرخة في غشت 1516 (ص ص 19 - 20).

3) - رسالة من أعيان قبيلة أولاد عمران الدكالية إلى قبطان أزمور قدر تاريخها بما بعد 29 - 8 - 1516 (ص ص 30 - 31).

4) - رسالة من أعيان قبائل الشرقية إلى الملك إمنويل (بعيد 3 - 10 - 1516، حسب تقرير الناشر) يخبرونه بعودتهم إلى أراضيهم وإلى الولاء بعد فترة من العصيان وبداية تفاوضهم مع قبطان أزمور الذي نوهوا بخصاله (ص ص 41 - 42).

5) - رسالة من شخص يسمى حمو أمركش إلى الملك البرتغالي يخبره برفض قبائل الشاوية التعاون مع سلطان فاس ضد البرتغاليين (ص ص 50 - 51).

6) - رسالة من يحيى بن بولصباع إلى الملك البرتغالي بدون تاريخ (قدره الناشر في ماي 1517) يطلب منه فيها مساعدة مالية وألبسة شرفية ويعرض عليه وساطته بين البرتغال وقبائل الشاوية قصد إخضاعها (ص ص 89 - 90).

7) ـ رسالة من سليمان بن محمد إلى أشياخ عبدة يخبرهم بقرب دخول السلطان إلى المنطقة وينصحهم بالفرار. وقدر الناشر التاريخ في بداية يونيو 1515. (ص 95).

8) ـ رسالة من يحيى أوتعفوفت إلى إمنويل (فاتح غشت 1517) يشتكي فيها من تآمر القبطان وبعض المسؤولين البرتغاليين وأعيان الجالية اليهودية بآسفي ضده. الشيء الذي عاق كثيرا صموده في وجه جيوش السلطان الوطاسي (ص ص 133 ـ 136).

9) ـ رسالة من نفس العميل إلى الملك البرتغالي بدون تاريخ (حسب الناشر، 5 ـ 8 ـ 1517) يطلعه فيها على أوضاع المنطقة السياسية بعد الحملة العسكرية التي نظمها السلطان ويفضح فيها طيش سياسة القبطان ومساعديه التي أضرت كثيرا بمصالح الملك بالمنطقة (ص ص 154 ـ 156).

10) رسالة من عبد الرحمان بن حدو قائد أنماي سابقا. إلى الملك امنويل بدون تاريخ (بعد ماي 1521) يعبر فيها عن خيبة أمله في البرتغاليين الذين غادر منطقته صحبة أتباعه لخدمتهم. ويشتكي فيها من أعداء المسؤولين البرتغاليين بأزمور له. (ص ص 282 ـ 284).

11) ـ رسالة من أحمد الأعرج، السلطان السعدي، إلى الملك البرتغالي جوان الثالث مؤرخة في 24 صفر 932 هـ (موافق 10 ـ 12 ـ 1525) يحتج فيها ضد عدم احترام قبطاني آسفي وأزمور للهدنة الممضاة معهما في سنة 1524 ويطلب من الملك البرتغالي إنصافه وإرسال قاض للتحقيق في الموضوع (ص ص 348 ـ 350).

12) ـ رسالة من السلطان السعدي أحمد الأعرج إلى قبطان أسفي «غرسيا دو ميلو» بتاريخ 3 ذي الحجة 932 موافق 10 ـ 9 ـ 1526 يخبره بتوقيعه على هدنة مع سابقه ويطلب منه إخباره بموقفه منها (ص 356).

13) ـ رسالة من كاتب السلطان السعدي المذكور إلى القبطان المذكور حول نفس الموضوع حررها بعد أسبوع من تحرير الرسالة السلطانية السابقة (صص 59 ـ 60).

14) ـ نص معاهدة هدنة موقعة من طرف السلطان السعدي والملك البرتغالي في 22 ذي الحجة 932 هـ (29 ـ 9 ـ 1526) وهي بالصفحتين 367 ـ 368.

والملاحظ أن وثائق الجزء الأول وهذا القسم الأول من الجزء الثاني تسمح بدراسة نوع خاص من التحكم انتهجه البرتغاليون بجنوب المغرب امتاز بالاعتماد على الدبلوماسية والرشاوي وخلق عملاء وفرض نوع من الحماية على المدن أولا. ثم على المناطق الداخلية بعد ذلك. ويمكن للباحث العربي أن يعتمد في دراسة خصائص هذه السياسة على الرسائل العربية السابقة الذكر وأن يقارنها بما اتبع مع عدد من الثغور بالمشرق كهرمز وبعض مدن الساحل الهندي الإسلامية. وذلك اعتمادا على وثائق عربية محفوظة بالأرشيف الوطني البرتغالي. سأعود للحديث عنها بعد قليل.

ونشر القسم الثاني من الجزء الثاني بباريز سنة 1946 على يد ناشري القسم السابق واحتوت صفحاته (323) على 85 وثيقة تغطي الحقبة ما بين 15 ـ 1 ـ 1527 و 23 ـ 12 ـ 1534. ومن هذه الوثائق سبعة بالعربية ،

1) ـ رسالة بعث بها السلطان الأعرج إلى الملك البرتغالي في 22 جمادى الثانية 933 موافق 26 ـ 3 ـ 1527 جوابا على خطاب بعث به هذا الأخير إلى أخ السلطان حول شروط الهدنة. وفي هذه الرسالة يحتج ضد عدم احترام قبطان آسفي للهدنة ويبعث بإحدى رسائل هذا الأخير لإثبات ذلك (صص 399 ـ 400).

2) رسالة من الأمير الوطاسي مسعود بن الناصر إلى الكونت دو لنيارش يعبر له فيها عن صداقته ويلومه عن عدم الكتابة إليه ويخبره أنه أجاب الملك جوا الثالث بواسطة الحاخام ابرهم بن زميرو. والرسالة مؤرخة في أواخر ذي الحجة من سنة 933 هـ (= 17 ـ 26 / 9 / 1527) ـ صص 412 ـ 413.

3) ـ رسالة من الكونت السابق إلى قائد تادلة. أحمد العطار. مؤرخة في 4 / 3 / 1528 يخبره فيها أنه توصل بخطابه وبهديته وبتمسك الملك البرتغالي بشروط سنة 1527. حول السلم. وبأنه إذا ما قبلها السلطان فما عليه إلا إرسال مفاوضين (صص 434 ـ 435).

4) ـ رسالة من أعراب ظهير أزمور إلى الملك البرتغالي بدون تاريخ (يونيو 1529) يحملونه فيها مسؤولية المآسي التي يعانون منها بسبب الغارات التي ينظمها ضدهم كل من البرتغاليين والمغاربة ويطلبون فيها من الملك المذكور الالتزام بما تعهد لهم به من حماية إذا كان يود أن يبقوا تحت طاعته. (صص 459 ـ 461).

5) ـ رسالة من القائد أحمد العطار السابق الذكر إلى أحد أبناء عم السلطان بدون تاريخ يطلب فيها منه العودة إلى مملكة فاس نظرا لقلق السلطان بسبب تفكيره في الالتحاق بالبرتغال. (صص 468 ـ 469).

6) ـ رسالة من السلطان أحمد الأعرج إلى الملك البرتغالي جوا الثالث مؤرخة في 23 ربيع الأول 936 هـ (1529) يعرض فيها حالة مغربي التحق بآسفي وتنصر هناك،ويطلب منه السماح له بالعودة إلى ذويه ليختار بعد ذلك الدين الذي يريده. وأشاد السلطان في هذه الرسالة برغبة قبطان آسفي الجديد في الحفاظ على السلم. (صص 495 ـ 496).

7) ـ رسالة من قائد مدينة سلا إلى قبطان أزمور (بدون تاريخ، قبل 6 / 4 / 1530 ؟) يخبره باتفاقه مع كبير يهود أزمور الذي أرسله للتفاوض معه حول هدنة لمدة ثلاثة أشهر (ص ص 500 ـ 501).

ويلاحظ أن وثائق الجزء الأول والقسم الأول من الجزء الثاني تتعلق بمرحلة سطوة البرتغاليين بالجنوب المغربي وتسلط الأضواء على مراحل تحكمهم فيه والوسائل التي سخروها لذلك وردود الفعل التي تولدت عن ذلك. أما وثائق القسم الثاني من الجزء الثاني فتسلط الأضواء على تراجع النفوذ البرتغالي بالمنطقة منذ بداية العشرينات من القرن السادس عشر خصوصا بعد تقوية نفوذ الشرفاء السعديين ودخولهم مراكش (1524). ولهذا تغلب على هذا المجلد الرسائل المتبادلة ما بين الملك البرتغالي والسلطان السعدي والتقارير التي تؤكد دخول برتغاليي الجنوب في مرحلة جديدة امتازت بفقدان المبادرة. الشيء الذي جعل الملك البرتغالي يفكر في إخلاء بعض تلك الثغور خصوصا بعد الحصار الكبير الذي ضربه السلطان السعدي على آسفي سنة 1534. وتوجد ضمن هذا المجلد عدة وثائق تتعلق بالحصار المذكور وبالمساعدات العسكرية التي توصلت بها آسفي كما توجد به الرسالة التي بعث بها الملك البرتغالي

إلى بعض الشخصيات السياسية والدينية حول مشروع إخلاء آسفي وأزمور وردود بعض تلك الشخصيات.

ونشر الباحث الفرنسي ريكار الجزء الثالث سنة 1948، وتضم صفحاته (572) 149 وثيقة برتغالية تتعلق بأحداث عرفها المغرب ما بين فاتح يناير 1535 و 22 دجنبر 1542. ويغلب على هذه الوثائق نوعان :

- نوع ذو طابع دبلوماسي تم تبادله ما بين الملك البرتغالي وملكي المغرب، أحمد الأعرج بمراكش، وأحمد الوطاسي بفاس حول هدن تمت بين البرتغال وإحدى الإمارتين المغربيتين. أو تم تبادلها ما بين لشبونة وفاس لتحضير حلف عسكري ضد الشرفاء السعديين، ومن هذه الوثائق الدبلوماسية رسائل بعث بها الملك البرتغالي إلى كل من الإمبراطور شارل الخامس والبابا يخبرهما فيها باندحار جيوشه بالمغرب وهزيمتها على يد الشرفاء السعديين الذين استطاعوا تحرير ميناء أكدير (1541) وبدأوا يزحفون نحو ثغور أخرى. وطلب منهما إمداده بمساعدة حتى يتمكن من كسر شوكتهم قبل أن يستطيعوا إعادة توحيد المغرب وتهديد اسبانيا والبرتغال.

- نوع يسلط الأضواء على الظروف الصعبة التي أصبح البرتغاليون يعانون منها داخل الثغور المحاصرة وما أصبحت تتحمله الخزينة البرتغالية من مصاريف للدفاع عنها.

ويحتوي هذا الجزء بالإضافة إلى الوثائق، على ثلاث دراسات قيمة. أولاها تتعلق بأسقفية آسفي ما بين 1487 و 1542 (ص ص 75 - 82)، وثانيهما عن قائد الشاون، المولى ابراهيم بن علي بن راشد الذي كان ينسق ويقود عمليات الجهاد ضد البرتغاليين بشمال المغرب (ص ص 146

ـ 157) وكان موضوع الدراسة الثالثة يتعلق بسفير الملك البرتغالي وممثله التجاري بفاس. وبمساعيه لعقد حلف عسكري وطاسي ـ برتغالي وتنظيم حملة عسكرية مشتركة ضد الشرفاء السعديين (ص ص 176 ـ 192).

ونشر نفس الباحث الجزء الرابع سنة 1951. وكان من 431 ص احتوت على 110 وثيقة تتعلق بأحداث السنوات 1542 ـ دجنبر 1550. وعلى عدد من الدراسات. وتغلب على هذه الوثائق ما يتعلق بمملكة فاس التي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة والتي حاولت أن تحول دون اكتساحها من طرف جيوش الشرفاء السعديين بعقد حلف عسكري مع البرتغال. ويضم هذا الجزء عددا من التقارير التي بعث بها قبطان مزغان، آخر ثغر بقي بأيدي البرتغاليين بالجنوب المغربي، حول الحروب التي خاضها هناك ضد المغاربة.

ومن مقالات ودراسات هذا الجزء أشير إلى أهمها :

ـ أحداث تطوان سنة 1542 (ص ص 105 ـ 106).

ـ المفاوضات ما بين البرتغال ومملكة فاس (ص ص 167 ـ 169).

ـ التخلي عن المدن المغربية المحتلة من طرف البرتغال (ص ص 335 ـ 349).

ـ علاقات الجزر الخالدات مع الثغور المغربية المحتلة خلال القرن السادس عشر (ص ص 413 ـ 419).

ونشر الجزء الخامس والأخير على يد ريكار سنة 1953 وضم 38 وثيقة اعتبرت إضافية لكونها خارجة عن الإطار الزمني للسلسلة (15 / 2 / 1552 ـ 1578). وتكمن أهمية هذا الجزء في دراسة قيمة بوبه

بها الناشر حول أسباب فشل الغزو البرتغالي بالمغرب. وخصوصا في بيليوغرافية وفهارس جد مفصلة احتوت على كل أسماء الأعلام والقبائل والأماكن والأوزان والمكاييل والسلع والعملات وغيرها التي وردت في الأجزاء الخمسة مما يجعل منها أداة بحث قيمة جدا (صص 147 ـ 253).

وتجدر الإشارة إلى أن نشر هذه الأعداد المهمة من الوثائق لم يكن سهلا لأنه تطلب فرزها من بين آلاف الوثائق المحفوظة بالأرشيف الوطني البرتغالي.

وتغلب على هذه الوثائق ما تم نسخه من المجموعة المسماة Corpo Cronológico التي تضم 82902 وثيقة أو من المسماة As Gavetas da Torre do Tombo أي «أدراج أرشيف حصن القبر» التي تضم حوالي 7 آلاف وثيقة. أما الوثائق العربية. فتم نسخها من بين الوثائق المرتبة تحت اسم «دار المعاهدات. الوثائق العربية» Casa dos tratados, documentos Arabes › و بالإضافة إلى سلسلة «المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب». اعتمدت منشورات أخرى على وثائق المجموعات الثلاث السابقة الذكر.

ففيما يخص مجموعة (Corpo Cronológico). نشر الباحث البرتغالي A. Baião المدير السابق للأرشيف الوطني. نشر سنة 1925. و بأمر من أكاديمية العلوم البرتغالية. الوثائق المتعلقة بالغزو البرتغالي لسواحل المغرب. وضم مؤلفه الذي عنونه كالتالي Documentos do Corpo Cronológico relativos a Marrocos 69 وثيقة تغطي أحداثا تتعلق بالفترة الممتدة ما بين1488و1541.وإذا كان الناشر قد اعطى النص الكامل للوثائق التي اعتبرها مهمة. فإنه لم يرفقها مع الأسف

بمقدمات أو بهوامش. ولم يورد إلا ملخصات وأرقام 87 وثيقة اعتبرها ثانوية. كما أن الوقوف عند وثائق 1514 ليس له من مبرر سوى الاكتفاء بتسليط الأضواء على فترة سطوة البرتغاليين بالجنوب والسكوت عما عانوه من مشاكل بعد التاريخ المذكور. ومن الوثائق المنشورة بهذا الكتاب 23 أعيد نشرها على يد الباحث الفرنسي (سنفال) في الجزء الأول من سلسلة «المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب» (S.I.H.M.)

وتتعلق مواضيع وثائق مؤلف (بياو A. Baião) بمراسلات تبادلها الملوك البرتغاليون مع وكلائهم التجاريين والماليين ومع قباطنتهم بالثغور حول مراحل التحكم في الجنوب وظروفه. وحول الأوضاع الاقتصادية التي كان يعرفها كما تتعلق بالمعاشات والرواتب المؤداة لمن ساهموا في المجهود العسكري. وبالتحصينات المستحدثة بالثغور المحتلة. وببعض السلع وأثمانها.

أما الوثائق العربية. فلم يصلنا منها إلا ملف واحد سبق لي استغلاله بلشبونة منذ ثلاث سنوات. وكان الراهب لويش دو سوزا (F. Luis de Sousa) أول من اهتم بهذه الوثائق العربية، إذ نشر بعضها بلشبونة سنة 1790 في مؤلف سماه «وثائق عربية تساهم في كتابة التاريخ البرتغالي». « Documentos Arábicos para história Portuguesa ». والوثائق العربية التي وصلتنا (منها ما هو فارسي. ومنها ماحروفها عربية ومحتواها برتغالي أي ما يعرف بالرسائل الأعجمية) - عبارة عن رسائل توصل بها الملوك البرتغاليون من سلاطين

المغرب وأمراء الثغور التي كانت تحت حمايتهم. ومن بعض الأعيان الذين كانوا في خدمتهم.

وتسمح هذه الوثائق للباحث العربي الذي لا يفهم البرتغالية بتتبع خصائص ما سمي بالحماية البرتغالية على عدد من الثغور بالمغرب وبالساحل الهندي وبهرمز. كما تمكن من أخذ فكرة عن معاناة حكام وسكان تلك الثغور من تعسفات القباطنة البرتغاليين ومساعديهم.

وإذا كان مؤلف الراهب المذكور يوفر عددا من هذه الوثائق العربية. فإنه يحتوي مع ذلك على عيب كبير يتمثل في كون المؤلف أعطى للوثائق التي لم يؤرخها محرروها تواريخ بعيدة عن الصواب.

أما الأدراج السابقة الذكر فتتكون من 23 درجا رتبت فيها بطريقة عشوائية آلاف الوثائق التي تغطي الفترة الممتدة ما بين القرون الوسطى وسنة 1924. ومن حسن حظ الباحث أن وثائق هذه الأدراج نشرت على يد مجموعة من الباحثات البرتغاليات التابعات لـ «مركز الدراسات المتعلقة بما وراء البحار» (Centro de Estudos Históricos Ultramarinos) اللواتي نشرن. تلك الوثائق في 12 مجلدا ما بين 1960 و 1977. وبما أن مهمة هذا المركز تهتم أساسا بالمناطق التي كانت تابعة للإمبراطورية البرتغالية فإن المشرفات على النشر اكتفين بإعطاء عناوين وأرقام الوثائق المتعلقة بالتاريخ الداخلي للبرتغال. ونشرن النصوص الكاملة للوثائق المتعلقة بالإمبراطورية البرتغالية وبعلاقة البرتغال مع الدول الأوروبية ومع البابوية.

وهكذا. ومن مجموع حوالي 7 آلاف وثيقة نشرت. أصبح بإمكان الباحث استغلال الوثائق الموزعة جغرافيا كالتالي :

- المغرب : 174 وثيقة.

- تونس : وثيقتان تتعلقان بالهجوم الإسباني البرتغالي ضد هذه المدينة سنة 1535.

- الخليج العربي والبحر الأحمر : 27. أغلبها ممحور حول هرمز.

- الهند والشرق الأقصى : 252 وثيقة منها عدد كبير من الوثائق المتعلقة بالنزاع الإسباني البرتغالي حول (Moluques).

- شرق افريقيا : 6 وثائق.

ورغم الخدمة التي يقدمها نشر هذا العدد الهائل من الوثائق. فإن الشكل الذي تم به قلل كثيرا من فوائدها ذلك أنها نشرت بدون هوامش وتعاليق وفهارس. كما أن أكبر عيب يلاحظ على المشرفات على النشر هو سقوطهن في عدد كبير من الأخطاء عند تقديرهن لتواريخ الوثائق التي لا تحمل تاريخا. وكانت بعض الأخطاء فادحة. والغريب أنه كان بإمكانهن تفادي الكثير منها بالرجوع إلى عدد مهم من الدراسات والوثائق المنشورة ! (أعطي لوثيقة تتعلق بحصار آسفي سنة 1534 تاريخ 1501 ! (ج 1 ص 51) وأرجع تاريخ وثيقة بعث بها قبطان أزمور إلى الملك البرتغالي إلى سنة 1505 في حين أن المدينة لم تكن آنذاك محتلة !) ولهذا يتحتم على الباحث أن يحترس كثيرا من التواريخ المقترحة من طرف الناشرات. وأن يعود إلى سلسلة المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب (S.I.H.M.) كلما تعلق الأمر بوثائق تهم هذا البلد.

واحتوت الأجزاء الإثنى عشر على وثائق جد مختلفة. وبالنسبة للمخططات السياسية البرتغالية بالخليج العربي والبحر الأحمر. يستفيد الباحث من استغلال الوثائق التالية :

1) ـ رسالة بعث بها من مدينة (كوا) الهندية Bernandin de Sousa إلى الملك البرتغالي (2 ـ 11 ـ 1545) يخبره فيها بوصول إشاعات حول تنظيم العثمانيين لهجوم ضد هرمز انطلاقا من السويس. وباسترجاعه لحصن القطيف Catifa الذي استولى عليه شيخ Mana التابع لملك الإحساء لكونه كان دوما تابعا لملك هرمز. وذلك نزولا عند رغبة هذا الأخير (ج 1 صص 915 ـ 918).

2) ـ تعيين الملك البرتغالي جوا الثالث للشاه محمد ابن الملك صفاء الدين أبندار خلفا لأبيه كملك على هرمز. والوثيقة مؤرخة في 23 ـ 8 ـ 1519. (ص ص ج 1 923 ـ 925)

3) ـ قسم الولاء للملك فليب الأول (الثاني بالنسبة لاسبانيا) الذي أداه شاه هرمز فرح (؟) (Farracoxa) ووزيره شرف. وذلك في 15 ـ 11 ـ 1581 (ج 3 ص ص 103 ـ 106).

4) ـ رسالة من João de Arrais إلى الملك البرتغالي جوا الثالث حول مداخيل جمارك هرمز مؤرخة في 10 ـ 7 ـ 1528 (ج 4 ص ص 80 ـ 84). والتقرير يسلط الأضواء على الشهور التي تعرف أكبر رواج تجاري (أبريل ماي. يونيو) وعلى ما توفره المدينة من مداخيل. ذكر منها ضريبة الولاء المؤداة من طرف هرمز ومداخيل الجمارك التي قدرها بحوالي 70 ألف شرفي (Xarafins) تؤديها عن سلعها السفن المقبلة من الهند وكنباي والقوافل التي يرسلها سنويا الشيخ اسماعيل (فارس) أو تأتي من البصرة؛ وكذا الضرائب المؤداة عن تجارة الخيول. وكذا الغنائم البحرية التي يحصل عليها من مطاردة السفن الإسلامية اعتمادا على أسطول خاص بمراقبة الخليج مكون من 22 مركبا تحمل

على ظهرها ما بين 1100 و 1200 جندي. وكانت قيمة تلك الغنائم البحرية خلال السنة التي يغطيها التقرير المذكور تبلغ 20 ألف أو 25 ألف شرفي أي ما يمثل 25 في المائة من قيمة ضرائب هرمز. مما يؤكد أن التجارة العربية لم تتوقف رغم المضايقات البرتغالية. وبعد أن اشار محرر التقرير إلى تعسفات المسؤولين البرتغاليين وطغيانهم الذي عبر عنه بما أجابه به وزير ملك هرمز إذ ذكر أنه ليس وزيرا ولكن صبيا ينفذ ما يؤمر به... أكد على الاستفادة الكبرى التي يضمنها البرتغال من تحكمه في هرمز (ج 4 ص ص 80 ـ 84).

5) ـ رسالة برتغالية غير مؤرخة من الوزير ركن الدين. وزير هرمز. إلى الملك شرف اطلعه فيها على الحرب التي أعلنها ابن راشد (Mening ben Rasid) ملك الإحساء على والي البحرين. وذلك رغم معارضة أعيان عاصمته. وذكر صاحب الرسالة أن بالتحاق أولئك الأعيان بالبحرين تعذر على ملك الإحساء الهجوم عليها وأغار على البصرة حيث هزمت جيوشه ولم يتمكن من الفرار والنجاة إلا بصعوبة. ولما علم بوفاة والي البصرة ـ وهو أحد أقاربه ـ الذي كان يدين بالولاء للعثمانيين. ومبايعة ابنه الذي لم يبلغ بعد سن الرشد. هيأ حملة جديدة ضد البصرة التي فتح له أعيانها الأبواب وبايعوه سلطانا. واستغل والي البحرين انشغال ملك الإحساء وأغار على ميناء القطيف Catifa وأحرق له 150 مركبا استولى عليها من بين مراكب ملك هرمز. ولما علم ملك الإحساء باحراق سفنه. أمر بالاستيلاء على سفن وسلع تجار البحرين المتواجدين بالبصرة. وسبب هذا غضب البصريين الذين طردوه من مدينتهم وعينوا شخصا آخر.

وأشار صاحب الرسالة إلى استعداد برتغاليي هرمز لمد والي البحريين بمساعدة عسكرية وتفكيرهم في احتلال القطيف Catifa.) وذكر محرر الرسالة تفكيره الجاد في إرسال جواسيس إلى السويس وعدن وإلى أماكن أخرى للحصول على معلومات عن العثمانيين (ج 4 صص 357 ـ 359).

6) ـ رسالة من أفونصو دو البكيررك Afonso de Albuquerque نائب الملك بالهند إلى الملك البرتغالى أمنويل مؤرخة في 30 / 10 / 1517، يخبره فيها برواج إشاعات حول تجهيز الأتراك لأسطول لتحصين مدخل البحر الأحمر وعدن. وأكد على خطورة ذلك إذا ما تم فعلا. ولهذا أخبره أنه سيكرس كل مجهوداته خلال السنة للحيلولة دون تحكم الأتراك في الموقعين المذكورين. واحتوت الرسالة كذلك على أخبار تتعلق بالهند والشرق الأقصى (ج 4. صص 482 ـ 485).

7) ـ رسالة من نائب الملك بالهند السابق إلى الملك امنويل مؤرخة في 16 ـ 12 ـ 1512 يطلعه فيها على أوضاع الهند ويخبره بوصول مبعوث امبراطور الحبشة لعقد حلف ضد المسلمين. ذلك الوصول الذي اعتبره صاحب الرسالة بداية تخريب «بيت مكة» الذي يبدو له سهل المنال لأنها منطقة ضعيفة وقليلة المحاربين (ج 5 صص 299 ـ 302).

8) ـ رسالة من قبطان هرمز Cristovão de Mendoça مؤرخة في 11 ـ 7 ـ 1528 بعث بها إلى الملك البرتغالي جوا الثالث لفضح طغيان وتعسفات القبطان السابق التي شملت ملك الحصن ووزيره اللذين ابتز أموالهما بالإضافة إلى أموال ومصالح التجار مما سبب خراب المدينة

وركودها التجاري. وتحتوي الرسالة على أخبار تتعلق بالأوضاع داخل الخليج العربي ، الحروب التي دارت بين الأمراء والولاة. محاولات والي البصرة إنشاء أسطول خاص به. وخطر ذلك على هرمز ـ وذلك رغم أن الوالي كان يدعي ولاءه للبرتغاليين وألح على ضرورة الحيلولة دون تقوية نفوذ الوالي المذكور وخروج البصرة من فلك هرمز نظرا للأهمية الاقتصادية التي تكتسيها بالنسبة إليها. (تزودها بالمواد الغذائية وخصوصا بالقمح والمواد الذهنية وتوزع سلع الشرق الأقصى على الجزيرة العربية والشام) راجع ج 5 صص 108 ـ 116.

9) ـ رسالة من ملك هرمز. محمد شاه (Mamaxa) إلى جوا الثالث (13 ـ 7 ـ 1528) يفضح فيها طغيان القبطان السابق ويشيد بخصال خلفه. وطلب الملك من العاهل البرتغالي اعتبار تراجع مداخيل هرمز وتخفيض ضريبة الولاء المؤداة سنويا (ج 5 صص 116 ـ 118).

10) ـ رسالة من قاضي هرمز إلى الملك البرتغالي مؤرخة في 24 ـ 11 ـ 1550 يخبره فيها أن نائب الملك بالهند منع على جميع التجار. ومهما كانت جنسيتهم، أن يلتحقوا بالبصرة. وهدد من فعل ذلك بعقاب، شديد. وبالأسر... الشيء الذي جدد العمل به القبطان الحالي الذي أعلن حالة الحصار ضد البصرة ومقاطعتها تجاريا. ولكن هذه المقاطعة لم تعط نتائجها لاستمرار التجار في الإقبال على البصرة من البحرين. وذكر صاحب التقرير أن إشاعات تروج بهرمز عن تفكير البصريين في احتلال القطيف Catifa بالبحرين. الشيء الذي تؤكده الوثيقة التالية (ج5 صص 38 ـ 40).

11) ـ خطاب من ألفونصو دو الكيرك (نائب الملك بالهند، وابن الشخصية التي كانت تحمل نفس الإسم وكلفت بنفس المهمة والتي سبقت الإشارة إليها مرتين. رقم 6 و 7) إلى جوا الثالث (27 ـ 1 1552) يخبره فيها باسترجاع حصن القطيف Catifa الذي سبق أن استولى عليه الأتراك وبتحطيم الحصن الذي شيدوه بجزيرة Moizy ورد محرر الرسالة المد العثماني بالخليج إلى التعسفات التي فرضها القباطنة على ملوك المنطقة الشيء الذي حدا بأشرافها إلى تسليمها للأتراك كما فعلوا ويريدون فعله بالبحرين... (ج 5 ص 325 ـ 328).

12) ـ تقرير مهم جدا أرسله إلى الملك البرتغالي جوا الثالث (11 ـ 12 ـ 1563) برتغالي كلف بمرافقة مبعوث باشا البصرة خلال تنقلاته بين هرمز والهند والبصرة قصد التفاوض. والتقرير يتعلق بأوضاع مدينة البصرة الطبغرافية (موقعها مصب النهر، جزيرة Morzique) وبأسوارها ومواقع أبوابها. وبالقوة العسكرية المتوفرة لديها (الأسلحة، الحامية،الأسطول) وبأوضاعها الاقتصادية (رفاهية سكانها ورواج تجارتها). وأهم ما يثير انتباه قارئ التقرير هو أن محرره أرسل خصيصا لهذه الغاية وأن المعلومات التي عمل على الحصول عليها كانت تتعلق بمشروع هجوم برتغالي على المدينة. ذلك أنه أولى اهتماما خاصا لأماكن إنزال الجنود ونقط الضعف في التحصينات، ووسائل الدفاع المتوفرة (ج 5 137 ـ 143).

13) ـ تقرير بعث به قبطان هرمز إلى الملك البرتغالي جوا الثالث (13 ـ 9 ـ 1529) يتعلق بالأوضاع داخل الخليج العربي وساحل عدن. ففيما يخص المنطقة الأولى أشار إلى فشل هجوم برتغالي ضد

البحرين التي أعلن واليها ثورته على ملك هرمز. وأعطى صاحب التقرير معلومات عن محاولات الأتراك الاستيلاء على عدن،وأخبر الملك بإعلانه الحرب على البصريين لرفض حكامهم إعادة المراكب التابعة لهرمز التي استولوا عليها. وفي نهاية التقرير أكد القبطان كثيرا على الفوائد الكبرى التي يحصل عليها البرتغال من تحكمه في هرمز وذلك لسببين : تجاري (يفد عليها التجار الإيطاليون، الأرمينيون، اليهود... فضلا عن العرب والفرس) واستراتيجي يجعلها في مرتبة جزيرة رودس بالأبيض المتوسط (ج 10 ص ص 254 ـ 258).

14) ـ رسالة توصل بها الملك البرتغالي جوا الثالث من برتغالي كان مقيما بالبندقية، (مؤرخة في 24 ـ 11 ـ 1531) أخبره فيها بمحاولات العثمانيين الجادة إنشاء أسطول بالسويس وبالمشاكل التي يواجهونها في ذلك (الأشرعة والمدافع ترسل من القسطنطينية، الأخشاب من لبنان اعتمادا على أسطول خاص ينزلها بمينائي الأسكندرية ورشيد حيث تحمل على 4000 جمل إلى السويس !!) وتشير الرسالة كذلك إلى الحراسة البحرية البرتغالية المشددة عند مدخل البحر الأحمر وإلى استيلاء البرتغاليين على مركبين بميناء (Outor) وجاء في هذه الرسالة أن «أحد تجار مكة» وصل مؤخرا إلى البندقية ! (ج 10 ص ص 617 ـ 620).

15) ـ رسالة من فرنسيسكو طفريس إلى الملك البرتغالي المذكور (14 ـ 1 ـ 1535) هي عبارة عن نسخة من الرسالة التي بعث بها إلى نائب الملك بالهند يخبره فيها بوفاة ملك هرمز. ووردت في هذه الرسالة

إشارة مهمة تتعلق باستمرار السفن العربية في الزود بالتوابل رغم مجهودات البرتغاليين للحيلولة دون ذلك (ج 10 ص ص 573 ـ 89)

16) رسالة بعث بها الملك امنويل البرتغالي إلى أسقف براغا (16 ـ 8 ـ 1508) يبشره فيها بالانتصارات والمكتسبات التي حققها البرتغاليون بشرق افريقيا والشرق العربي وحرمان التجار العرب من أرباح تجارة الهند والشرق الأقصى. وهذه الرسالة مهمة جدا بالنسبة لمتتبع أسباب ودوافع المد البرتغالي على حساب العالم العربي، ذلك أنها تغطي الأسباب الحقيقية (الربح واحتكار التجارة) وتؤكد على أولوية العامل الديني، وتعطي للتوسع بالمشرق صبغة صليبية محضة. (ج 12 صص 237 ـ 242).

ومن الوثائق التي يمكن للباحث الاستفادة منها وثائق التشريفات الملكية البرتغالية Livros das Chancelarias Reais لتوفر عشرات الكتب الضخمة المتعلقة بالملوك الذين عاصروا التوسع البرتغالي من انطلاقته الناجحة إلى بداية تراجعه، أي من عهد الملك جوا الأول إلى دون سبستيان (4). وهذه الكتب مرتبة حسب أسماء الملوك، وأحيانا حسب المناطق (الجزر، غواديانا...) ولاستغلالها بسهولة، أعدت فهارس مرتبة حسب أسماء الأعلام، وأخرى حسب أسماء الأماكن. ونظرا لصعوبة قراءة وثائق هذه الكتب، أعيدت كتابة بعضها خلال القرن الماضي وألحقت بكتب تسمى «القراءة الجديدة» (Leitura Nova).

4) المدني، أحمد توفيق : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492 ـ 1792)، الجزائر، بدون تاريخ.

وتتعلق وثائق هذه الكتب بالقوانين والتعيينات والعطاءات التي خص بها الملوك بعض الأفراد.

ونشر من هذه الوثائق قسم مما يتعلق بالغزو البرتغالي لسواحل المغرب الأقصى. ففي سنة 1915، نشر الباحث البرتغالي أزفيدو بأمر من أكاديمية العلوم البرتغالية (التي برمجت نشر عدد كبير من المصادر والوثائق المتعلقة بالغزو البرتغالي للمغرب، وذلك بمناسبة الذكرى المئوية الخامسة لاحتلال سبتة (1415)) نشر في مجلدين ضخمين وثائق تشريفات الملوك (جوا الأول، ودون إدوارد، وألفونص الخامس) (5). وفي سنة 1943، وبأمر من نفس الأكاديمية، نشر الباحثان البرتغاليان (كويليو ولوبش) وثائق كتب تشريفات الملك (جوا الثاني) (6).

وتسمح هذه الوثائق المنشورة، أو التي لم تعرف النشر لحد الساعة، بدراسة الغزو البرتغالي لسواحل العالم العربي بتسليطها الأضواء على الجوانب التالية :

(5 حكم الملوك الذين نحن بصدد الحديث عنهم البرتغال في الفترات التالية :
- جوا الأول : 1383 ـ 1433.
- ادواردو : 1433 ـ 1438.
- الفنصو الخامس الملقب بالإفريقي : 1438 ـ 1481.
- جوا الثاني : 1481 ـ 1495.
- امنويل الملقب بالسعيد : 1494 ـ 1521.
- جوا الثالث : 1521 1557.
- دون سبستيان : 1557 ـ 1578. (وهو الذي قتل بمعركة وادي المخازن).

(6 Documentos das Chancelarias Reais Anteriores a 1531 relativos a Marrocos. T.I (1415-1450), Lisboa 1915, T II (1450-1456) Lisboa Pedro de Azevedo والمؤلف هو بيدرو دو أزفيدو

- تعيينات المسؤولين العسكريين والإداريين والماليين والدينيين العاملين بالثغور المحتلة. وتساهم هذه الوثائق في تتبع خصائص النظام المتبع بثغر ما (حماية، احتلال عسكري وتسيير مباشر)، وفي تحديد الفئات الاجتماعية المستفيدة من التوسع البرتغالي. كما تساهم في تحديد مدي استفادة البرتغال من ثغر ما. وذلك بالوقوف على تلك المناصب المذكورة.

- مختلف العطاءات والإقطاعات التي أغدقت بها الدولة على النبلاء لدفعهم إلى المساهمة في المجهود العسكري. فاستغلال وثيقة تتعلق باقطاع منطقة أو مدينة أو تنازل الملك للمستفيد عن ضرائب ثغر أو منطقة يسمح بأخذ فكرة عن معطياتها الاقتصادية أو عن مدى انتظام الأداءات بها. (مما يسمح بدوره بأخذ فكرة عن مدى تحكم البرتغاليين في تلك المنطقة).

- تنازلات قضائية لفائدة مجرمين مقابل الخدمة العسكرية بالثغور أو المساهمة في حملة من الحملات المنظمة ضد المغرب. وتغلب هذه الوثائق على ما نشره أزفيدو.

- ولعل أهم مساهمة تقدمها كتب التشريفات الملكية تكمن في احتوائها على وثائق جد مهمة تعرف Cartas de Quitaçao أي الإيصالات أو رسائل ابراء الذمة التي كانت تسلم لثلاثة أنواع من الموظفين ، لوكيل الملك التجاري (الفيطور Feitor)، للمسؤول عن التموين بالمدينة (المشرف Almoxarife) وأخيرا للمحاسب (الكنتدور). ولهذا تختلف هذه الوثائق من ناحية نوعية الأشياء المذكورة فيها. فإذا كان الإيصال يبرئ

ذمة مشرف طفت عليه المواد الغذائية والاسلحة والذخيرة. وإذا سلم لوكيل تجاري طفت عليه السلع المستوردة والمصدرة...

ورغم أن هذه الإيصالات تختلف من ناحية الطول، ومن ناحية غزارة المادة. فإنها تخضع مع ذلك لتصميم موحد. فهي تبدأ بذكر الأمر الملكي بمراجعة حسابات المعني بالأمر. واسم الشخص الذي كلف بذلك. ثم تذكر نوع المهمة التي كانت منوطة به وتاريخ بدايتها ونهايتها والمكان الذي عمل به. يلي هذا سرد كل السلع والأموال والأشياء الأخرى التي توصل بها خلال قيامه بمهمته. وأسماء الأشخاص والمؤسسات التي سلمته شيئا ما. وينتهي الإيصال بتبرئة ذمة المعني بالأمر وبذكر تاريخ ومكان تحرير الوثيقة. واسم الذي قام بذلك.

وتسمح هذه الوثائق بأخذ فكرة عن المبادلات التجارية التي كانت تعرفها الثغور المحتلة. وعن السلع المتبادلة وتطور العرض والطلب عليها وتتبع أثمانها وبالتالي تحديد ما إذا استفاد البرتغال من احتلال ثغر ما. ولكن هذه الإيصالات لا تهتم مع الأسف إلا بتجارة الملك ولا تشير قط إلى أنشطة التجار الأحرار. كما أن نوعا آخر من هذه الوثائق يسلط الأضواء على المصاريف التي يتحملها البرتغال بسبب تحصين بعض الثغور أو الدفاع عنها.

وقام الباحث البرتغالي Braamcap de Freire بنشر كل إيصالات فترة حكم الملك إمنويل (1494 ـ 1521) وذلك بمجلة Arquivo Histórico Portugues في أعدادها العشرة (1903 ـ 1910) وكان منها 72 إيصالا متعلقا بالمغرب و14 عن الهند. و 19 عن غرب افريقيا المصدرة للتبر والعبيد (مركزي أرغين بالساحل الموريطاني ولامينا

بساحل الذهب) و 6 عن افريقيا الشرقية 23 عن مصلحتي دار غينيا ودار الهند المركزيتين. وكان من هذه الإيصالات المنشورة واحد يتعلق بمصارف الأسطول الذي وجه سنة 1520 لمراقبة مدخل البحر الأحمر.

ونشر الباحث أزفيدو في مؤلفه السابق الذكر 19 إيصالا في حين أدرج (كويليو ولوبش) في مؤلفهما إيصالين متعلقين بالمغرب.

واستطعت بعد الاطلاع على كل كتب تشريفات الملك جوا الثالث (حوالي سبعين كتابا) الوقوف على 31 إيصالا متعلقا بالثغور المغربية.

وبما أن هذه الوثائق تسلط الأضواء على الأنشطة التجارية والمصاريف فإن وثائق أخرى تكملها كمحاضر محاكم التفتيش المتعلقة بالتهريب التي سأعود إليها وكتقارير ومراسلات الوكلاء التجاريين والماليين بالثغور المرتبة بالأرشيف الوطني مع مجموعة وثائق Corpo Cronológico أو بالأدراج التي سبق الحديث عنها.

وهناك وثائق أخرى مرتبة بالأرشيف الوطني تحت اسم Núcleo Antigo «المجموعة القديمة» لم تعرف لحد الساعة النشر.

ومن حسن حظ الباحث توفر فهارس تسهل معرفة نوعية مواضيع تلك الوثائق. هذا وسبق لي استغلال عدد مهم من وثائق هذه المجموعة التي تغلب عليها الوثائق ذات الطابع المالي (الرواتب والمعاشات المؤداة للجنود العاملين بالثغور المحتلة) والجبائي. كما توجد من بينها سجلات قضاة الثغور سجلت فيها المنازعات والخلافات التي وقعت بين أفراد الجالية البرتغالية.

ومن أهم هذه الوثائق تلك التي تتعلق بالضرائب. ففيما يخص الجمركية منها استطعت الوقوف على سجل للضرائب المؤداة عن صيد

سمك الشابل بأزمور (1526) (7) وقائمة الأعشار التي دخلت ميناء أصيلا بشمال المغرب ما بين 7 ـ 11 ـ 1510 و 19 ـ 12 ـ 1511 مما يعطي فكرة دقيقة عن أنواع السلع المروجة هناك (8). وكتب لي منذ أربع سنوات أن اكون أول مستغل لسجل مهم جدا يتعلق بالضرائب التي كانت قبائل دكالة والشياظمة تؤديها للملك البرتغالي ما بين 1510 و 1512. وهو سجل من 44 ورقة يحمل العنوان التالي : «سجل الضرائب الملكية المتعلقة بأعراب وبرابرة المدينة الغربية وكل دكالة وبلاد الشياظمة مع حصونها التي كانوا يؤدونها لملوك هذه المملكة. ابتداء من سنة 1510 إلى 1512 (9)». ومن مزايا هذا السجل أنه يسد عددا من الثغرات التي تركتها الوثائق المتوفرة لدينا خصوصا فيما يخص مراحل التوسع البرتغالي داخل دكالة. هذا بالإضافة إلى تزويدنا بأسماء القبائل وفروعها. وبمعلومات قيمة عن بعض المكاييل التي لم تكن الوثائق الأخرى تسمح بتحديدها بدقة.

ورتبت وثائق أخرى بالأرشيف الوطني تحت العنوان التالي : «رسائل قباطنة افريقيا (Cartas dos Governadores da Africa) ولم تنشر منها لحد الساعة إلا رسائل قليلة ضمن مجموعة «المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب (S.I.H.M.) »

وفيما يخص رسائل نواب الملك بالهند. نشرت بمبادرة من الأكاديمية الملكية للعلوم بلشبونة في نهاية القرن الماضي رسائل ثاني

(7) P.M. Laranjo Coelho : Documentos Inéditos de Marrocos. Chancelaria de João II. Volume I. Lisboa 1943.

(8) Núcledo Antigo, n° 575.

(9) Núcleo Antigo n° 556.

وال على الهند وأشهرهم (أفنصو البكيرك) مع وثائق أخرى تساعد على فهمها. وتم ذلك في سبعة أجزاء أعطي لها العنوان التالي : «رسائل أفنصو دو البكيرك تليها وثائق تساعد على فهمها».
Cartas de Affonso de Albuquerque seguidas de documentos que as elucidam.
وصدر الجزء الأول سنة 1884.

وتتعلق مواضيع هذه الرسائل التي بعث بجلها إلى الملك امنويل بمجهوداته لتحقيق المخططات البرتغالية التي كانت تهدف قبل كل شيء إلى الحيلولة دون استمرار تعامل العرب مع شرق افريقيا والهند وللإحلال محلهم كمزود لأوربا بالتوابل والعقاقير وغيرها من سلع الشرق الأقصى. وهكذا كان إغلاق الخليج العربي وخصوصا البحر الأحمر في وجه الملاحة العربية من أهم التعليمات التي أعطيت له وأهم ما حاول صاحب هذه الرسائل إنجازه.

وفيما يلي مثال لبعض الوثائق الواردة في الجزء الأول :

- رسالة مؤرخة في 2 - 2 - 1508 بعث بها البكيررك إلى الملك من هرمز يشتكي فيها من فرار عدد من قباطنة السفن حينما كان محاصرا هرمز الشيء الذي حال دون إتمام التحصينات التي شرع فيها بالجزيرة المذكورة (ص 6) وتجدر الإشارة إلى أن (البكيررك) لم يكن أنذاك إلا مجرد رئيس لأحد الأساطيل الموجهة للشرق.

- رسالة حررها على ظهر سفينته في 6 - 2 - 1508 أخبر فيها الملك بظروف احتلال هرمز وبقبول ملكها الدخول تحت الحماية البرتغالية وأداء ضريبة سنوية.

- رسالة إلى الملك مؤرخة في 15 ـ 2 ـ 1508 يطلعه فيها على فرار بعض المسيحيين إلى هرمز وعلى استمرار هذه الأخيرة في أداء الضرائب. وعلى ما تعرفه من رواج تجاري (ص 17).

- رسالة مؤرخة في 17 ـ 10 ـ 1510 بعث بها إلى الملك يخبره بعزمه على احتلال جزيرة (كوا) نظرا لأهميتها بالنسبة للمكتسبات البرتغالية بالهند. وعلى عزمه على الالتحاق فور ذلك بالبحر الأحمر (ص 21).

- رسالة بعث بها إلى الملك من (كشين) بتاريخ 20 ـ 8 ـ 1512 يخبره فيها أنه أرسل ثلاث سفن لتحطيم حصن (سقطري (؟) Socotora وللتوصل بضرائب هرمز. وأنها التحقت بعد ذلك بالبحر الأحمر كما كان مقررا لإيقاف التجارة بزيلغ Zeila وبربرة Barbora (ص 75).

- رسالة حررها خلال رحلة إلى (كوا) في 30 ـ 10 ـ 1512 وبعث بها إلى الملك يطلعه فيها على أخبار عدن وعلى الإشاعات المتعلقة بقرب تحرك أسطول المماليك نحو مدخل البحر الأحمر (ص 95).

- رسالة محررة في كننور بالهند يوم 30 ـ 11 ـ 1513 أرسلها إلى الملك يخبره بعزمه على الالتحاق بالبحر الأحمر والهجوم على السويس لإحراق السفن الراسية هناك. وذلك فور الانتهاء من تشييد حصني (ديو) و (كلكوتا). ص 135.

- رسالة بعث بها من نفس المكان إلى الملك (1 ـ 2 ـ 1513) يطلعه على نوع السفن الواجب استعمالها بالبحر الأحمر في حالة

السيطرة عليه. وجاءت في الرسالة معلومات عن مناطق ساحلي البحر الأحمر. (167).

- رسالة من نفس الحصن بتاريخ 2 - 12 - 1513 أخبر بواسطتها الملك عن الغنائم التي حصل عليها البرتغاليون بعد إغارتهم على السفن بالبحر الأحمر (ص 180).

- رسالة إلى الملك (4 - 12 - 1513 يطلعه فيها على الهجوم على عدن مرتين وعلى دخول الأسطول البرتغالي إلى «مضيق مكة» (ص 199).

- رسالة إلى الملك مؤرخة في 15 - 12 - 1513 يطلب فيها منه إرسال السلع ليتمكن من اداء الرواتب ويذكره فيها أنه لا يتوفر على موارد استثنائية غير ما يحصل عليه من غنائم نتيجة الحروب بعدن والبحر الأحمر (ص 243).

- رسالة مؤرخة في 20 - 10 - 1514 يعلق فيها الملك على التعليمات التي أعطيت له لاحتلال البحرين (ص 264).

- رسالة مؤرخة في 20 - 10 - 1514 إلى الملك تتعلق بمشاريع عسكرية بالبحر الأحمر. وتعرض في هذه الرسالة للطريقة التي يمكن بها احتلال عدن وأوصى بعدم تحصين مدخل البحر الأحمر وأشار إلى مينائي «زيلغ» و «بربرة» وأعطى أخبارا عن جزر القمر. وفي الأخير أوصى بالاعتماد على ميناء مصوع بأثيوبيا للتمكن من مراقبة جدة ومكة (ص 278 وما بعدها).

- رسالة مؤرخة في 23 - 10 - 1514 بعث بها إلى الملك يخبره فيها بأنه أمر بصنع سفن تتلاءم وظروف الملاحة بالبحر الأحمر لاستعمالها هناك في حالة التحكم فيه (ص 295).

ـ رسالة أخرى مؤرخة في 25 ـ 10 ـ 1514 يطلع فيها الملك على مشاريع تتعلق بالبحر الأحمر (325).

ـ رسالة مؤرخة في 22 ـ 9 ـ 1515 بعث بها إلى الملك البرتغالي من هرمز يعرض فيها الأسباب التي كانت وراء إعطائه الأولوية لهرمز. منها ما توفره من مداخيل وحمايتها للمصالح البرتغالية بالهند. ووعد بالاهتمام بمشكل البحر الأحمر فور إحكام السيطرة على هرمز. وأشار إلى الوفود التي أرسلها ملك الإحساء وأحد ولاة الشيخ اسماعيل (فارس) لتحيته ولتسليمه هدايا. واعتذر عن عدم تمكنه من اعطاء معلومات عن القطيف وعن البصرة، وأكد كثيرا على الأهمية الاستراتيجية للبحرين. وفي الختام ذكر أن هرمز تمكن من التحكم في تجارة الخيول ببلاد فارس وبالجزيرة العربية. وذلك قبل أن ينتقل إلى وصف الحصن الذي شيد بهرمز (ص 369 وما بعدها).

ـ وفي رسالة غير مؤرخة أخبر الملك باستيلاء البرتغاليين على عدد من «مراكب القاهرة» كانت تقوم بتهريب السلع بالسواحل الهندية (ص 386). ..الخ.

ومن الوثائق التي يمكن للباحث أن يعتمد عليها. محاضر محاكم التفتيش الدينية. ورغم فقدان عدد كبير من تلك المحاضر. ووصلنا ما يقرب من 40 ألف محضر تغطي محاكمات تمت ما بين 1536، سنة بداية العمل بتلك المحاكم، و 1821، سنة إغلاقها نهائيا. وهذه المحاضر موزعة بين 3 محاكم على الشكل التالي :

ـ محكمة لشبونة : 17.977 محضر.

ـ محكمة يابرة : 11.743 محضر.

- محكمة كوينبرا : 10.258 محضر.

وبالإضافة إلى هذه المحاضر، وصلتنا عشرات الكتب التي حررت فيها الاعترافات أو التبليغات التي توصلت بها المحكمة. وهي مرتبة كالتالي :

- سجلات التبليغات (Livros das denúncias) التي تتعلق بالمحاكم الثلاث.

- سجلات الاعترافات (Livros das confessões)

- سجلات المحامي المراقب (وكيل النيابة) Cadernos do Promotor fiscal

- سجلات الزيارات (livros das visitações) وهي دفاتر يسجل فيها القضاة التبليغات والاعترافات التي توصلوا بها خلال زيارتهم لمنطقة معينة.

- سجلات خاصة بجريمة اللواط Livros do pecado nefando (10)

ولكن الباحث المهتم بالعالم العربي لا يستفيد إلا من نسبة ضئيلة من وثائق ومصادر هذه المحاكم لأن البرتغال لم يعرف، كجارته اسبانيا، جالية موركسية مهمة بقيت مدة طويلة متمسكة بأرضها، وفي نفس الوقت، بثقافتها وعقيدتها التي استمرت - ولو سريا - في اتباعها رغم تنصرها السطحي. ومن جهة أخرى يمتاز المشكل الموركسي بالبرتغال بخصائص تميزه عما كان موجودا باسبانيا.

(10 Núcleo Antigo nº 8 69.

فبعد بحث بالأرشيف الوطني دام ما يقرب من السنتين. لم اعثر. ولم اعلم أن أحدا عثر على محضر محاكمة موريسكي برتغالي الأصل منحدر من الجالية المسلمة التي أرغمها قرار الملك امنويل على التنصر أو مغادرة البلاد (1497). وهنا يكمن حظ المؤرخ للغزو البرتغالي للسواحل العربية الإسلامية. ذلك أن محاضر محاكمة موريسكيي البرتغال تتعلق بأفراد تم ادخالهم إلى البرتغال كأسرى وعبيد إما من دول المغرب العربي أو من غرب افريقيا أو من الهند أو من الخليج العربي أو كانوا أسرى أتراكا. وكانت المحاضر التي استطعت اكتشافها من بين تلك الأعداد الهائلة من المحاضر التي لا تتوفر على فهارس (11) موزعة كالتالي :

- المغاربة 244.
- الجزائريون : 6.
- التونسيون : 5.
- الأتراك : 23 منهم 3 مصريين وبصريَّيْن وهرمزي.
- الهنود المسلمون : 24.
- موريسكيون لم تحدد مناطقهم الأصلية : 15.

وتقدم دراسة واستغلال وثائق محاكم التفتيش خدمة كبرى لمؤرخ الغزو البرتغالي لسواحل العالم العربي والإسلامي وردود الفعل التي

(11) يعتبر العمل التالي احسن عمل للتعريف بمصادر محاكمة التفتيش البرتغالية :
Charles Amiel : les archives de l'Inquisition portugaise : regards et réflexions. Paris 1979.

تولدت عنه خصوصا بالنسبة لمؤرخ نتائجه الفكرية والدينية. ذلك أن هؤلاء المسلمين الذين ادخلوا إلى البرتغال وارغموا على التنصر حوكموا ليس فقط لتمسكهم بدينهم الأصلي، ولكن كذلك لاستمرارهم في العيش حسب عادات وتقاليد بلدانهم الشيء الذي يسمح بتحديد العقليات وخصائص الثقافة - بمفهومها الواسع - داخل تلك البلدان. والمحاضر المتعلقة بالعالم الإسلامي تتكون من ثلاثة أنواع متميزة :

1) - محاضر تسلط الأضواء على محاكمة مورسكيين لتمسكهم بعقيدتهم وثقافتهم.

2) محاضر محاكمة مهربين برتغاليين تم القاء القبض عليهم لاستمرارهم في التبادل التجاري مع المغاربة رغم تحريم الملك البرتغالي لذلك اثر اضطراره إلى التخلي على عدد من الثغور المغربية أو لتسهيلهم فرار المورسكيين بجعل مراكبهم رهن إشارتهم مقابل مبالغ مالية مهمة.

3) - محاضر محاكمة بعض المجاهدين البحريين الذين تم أسرهم خلال غاراتهم على السفن والسواحل البرتغالية والذين تبين للمحكمة أنهم منحدرون من أصل مسيحي (الانكشارية العثمانية) أو استمروا في تمسكهم بدينهم رغم تنصرهم أو تأكد للمحكمة إعدادهم للفرار للالتحاق بالبلاد الإسلامية وخصوصا بالمغرب (12).

---

12) لا تتوفر الا محاضر محكمة يابرة على فهارس في حين بقيت محاضر محكمتي كوينبرا ولشبونة بدون ذلك.

وهذا النوع الثالث من المحاضر يسمح للمؤرخ بتتبع تصدي العالم الإسلامي للمخططات البرتغالية الرامية إلى تطويقه والتقليل من موارده وذلك تحضيرا للاستيلاء عليه. ولقد سبق لي خلال مؤتمر نظم ببغداد حول تاريخ العرب العسكري (22 ـ 26 شتنبر 1981) التعريف ببعض مساهمات هذه المحاضر في تحديد خصائص رد الفعل الإسلامي على تلك المخططات (13).

● ● ●

وهكذا تتجلى بوضوح أهمية هذه الوثائق البرتغالية. ذلك أنها توفر للباحث فرصة دراسة مرحلة من أخطر مراحل تاريخ عالمنا العربي التي لا تسمح وثائقنا ومصادرنا بدراستها كما يتجلى ذلك من خلال الوثائق الكثيرة والمهمة التي وصلتنا عن معركة وادي المخازن مثلا. أو عن المخططات البرتغالية بالخليج العربي والبحر الأحمر.

وتوفر هذه الوثائق للباحث فرصة القيام بدراسة شاملة لأي موضوع يتعلق بالتوسع البرتغالي إذ تسمح في نفس الوقت بتتبع امكانات وأوضاع كل من البرتغال والعالم العربي. وفي نفس الوقت تمكن من ربط تلك المخططات. ليس فقط بالظرفيتين السياسية والاقتصادية للطرفين. ولكن كذلك الدولتين كالنزاع الاسباني ـ البرتغالي حول

---

(13) تغلب المحاضر المتعلقة بمحاكمة الموريسكيين الذين القي القبض عليهم في حالة فرار او لتحضيرهم لذلك ضمن محاضر محكمة لشبونة الشيء الذي يسمح للمؤرخ بتتبع أسباب عدم اندماج تلك الجالية في المجتمع البرتغالي. ولاخذ فكرة عن هذه الانواع وعن ظروف المحاكمات. راجع مقالتنا : محضر محاكمة مغربية من لدن محكمة التفتيش الدينية البرتغالية. مجلة المناهل. (الرباط) عدد 21. يوليوز 1981. صص 224 ـ 278 ـ وكذا عدد 24.

مناطق النفوذ بالمغرب العربي والشرق الأقصى مثلا. ودور البابوية في خلق الوفاق بينهما. أو محاولات الدول الأوربية الأخرى كفرنسا. وهولندا وانجلترا إفشال نظام الاحتكار الذي فرضه البرتغاليون... الخ.

ولكن كثرة ما وصلنا من وثائق برتغالية لا تمنع الباحث من الأسف على ضياع عدد كبير من المراسلات والتقارير مما جعل معلوماتنا عن بعض الأحداث تبقى ناقصة كما هو الشأن مثلا بالنسبة لسنتي احتلال وإخلاء أسفي المغربية. وهذا الضياع يحتم أحيانا اللجوء إلى بعض المصادر التي عاين مؤلفوها الأحداث أو استغلوا بعض تلك الوثائق الضائعة. ويستفيد الباحث كثيرا من استغلال ثلاثة مصادر برتغالية متعلقة بالمغرب الأقصى ومصدرين متعلقين بالشرق العربي (14). هذا.وتلزم هذه الوثائق الباحث. فضلا عما هو ملزم به ازاء أية وثيقة أو مصدر. تلزمه بالتسلح بحيطة خاصة تفاديا لما وقع فيه بعض المؤرخين الأجانب من أخطاء وذلك للأسباب التالية ، احتواؤها على عيوب كل ما يكتبه الأجانب عن بلاد غير بلادهم خصوصا إذا كانوا يكنون لها العداء. فبالإضافة إلى ما تزخر به الوثائق البرتغالية من أحكام القيمة التي استهدفت عقيدة ونظم البلاد الإسلامية. لا تسجل هذه الوثائق إلا ما يثير استغراب محرريها أو ما يعبر عن اهتماماتهم أو ما كانوا يعتبرونه فخرا لبلادهم كالإطناب في الحديث عن الانتصارات والسكوت عن الهزائم. وللوصول إلى هذا الهدف الأخير لم يتردد بعض محرري تلك الوثائق في

---

14) مساهمة محاضر محاكم التفتيش الدينية في تسليط الأضواء على ردود الفعل العربية الاسلامية ضد المخططات البرتغالية بالمغرب والخليج العربي.

الكذب وتزييف الحقائق. ويمكننا المثالان التاليان من أخذ فكرة عن بعض عيوب تلك الوثائق.

1) ـ إذا كانت مساهمة الإيصالات السابقة الذكر مهمة في التعريف بالتجارة الملكية البرتغالية في بعض الثغور، فإنها تسكت عن نشاطات التجار الأحرار المهمة الشيء الذي يحرمنا من معلومات وإشارات قد تساهم في التعريف باهتمامات مخالفة لاهتمامات الملك وبالتالي، الإلمام بكل جوانب التجارة البرتغالية بالثغور المغربية. كما أن هذه الوثائق، وكذا تقارير الوكلاء التجاريين والماليين.... لا تهتم إلا بالمناطق الساحلية وبأنواع معينة من المنتوجات الشيء الذي لا يسمح بتاتا بتسليط الأضواء على أوضاع البلاد الاقتصادية كلها.

2) ـ أوقعت هذه الوثائق عددا من المؤرخين الأجانب في أخطاء فادحة. فمنهم من أخذ ما تزخر به تلك الوثائق من مشاريع ومخططات وكذب كحقيقة ونسب للتوسع البرتغالي مخططات وأحيانا مكتسبات لم تكن إمكانات البرتغال المالية والبشرية تسمح بها. ويمكن اعطاء مقالة للباحث (سنفال) السابق الذكر كمثال على هذا (15).

---

(15) بالنسبة للمغرب.
Damião de Góis : Grónica do Felicíssimo Rei dom Manuel,
Traduction de Robert Ricard : Les Portugais au Maroc, Rabat, 1937
- F. Luis de Sousa : Anães del Rei dom João Terceiro. Traduction de R. Ricard, les Portugais et l'Afrique du Nord, 1940.
- Bernardo Rodrigues : Anais de Arzila, édit. David Lopes, Lisboa 1915 (2 Vol.)
وبالنسبة للشرق :
- João de Barros : Asia, primeira década, IIa decada, IIIa, IVa decada. Lisboa 1932.
- Fernão Lopes de Castanheda : História do Descobrimento e Conquista dasíndias.

كما أن عددا من المؤرخين الأجانب كرروا بدون تمحيص التبريرات الواردة بالوثائق البرتغالية عن أسباب تراجع النفوذ البرتغالي بالمغرب، ولم يأخذوا قط بعين الاعتبار رفض المغاربة الرضوخ لمشيئة البرتغاليين وضرب حصار شبه مستمر على قلاعهم. وهكذا برروا ذلك التراجع بتفضيل البرتغاليين الهند والبرازيل على المغرب الذي لم يكن - في رأيهم - يسمح بأرباح، ولم يكن يتوفر على موانئ جيدة..(16)

ورغم كل هذه العيوب، يمكن لهذه الوثائق، إذا ما استعملت مع الحيطة اللازمة، أن تسد الكثير من الثغرات التي تركتها مصادرنا العربية، وأن توفر المادة الضرورية لدراسة جوانب مهمة من تاريخ الغزو البرتغالي ومخططاته على حساب العالم الإسلامي. ويمكن إعطاء الأمثلة التالية عن مساهمات تلك الوثائق في دراسة بعض المواضيع المهمة :

1 - الدوافع التي حدت بالبرتغاليين إلى اكتساح مناطق النفوذ الإسلامي وتحديد مكانة كل واحد من تلك الدوافع لفهم أسباب اصرار البرتغاليين على تنفيذ مخططاتهم.

- **العوامل الدينية** : هل كان اكتساح البرتغاليين للأراضي الإسلامية استمرارية للحروب الصليبية ضد الإسلام بإيبيريا ؟ وفيما يلي أنواع الوثائق التي يمكن استغلالها لدراسة هذا الموضوع.

القرارات البابوية (Les Bulles pontificales) التي كانت تمنح للملوك البرتغاليين امتيازات مالية وجبائية مهمة جدا قصد تشجيعهم على الاستمرار في محاربة الإسلام والمسلمين وغزو أراضيهم. ويمكن للباحث

16 - P. Cenvial, in Sources Inédites... I p. 396.

الرجوع إلى آخر عمل أنجز حول هذه القرارات على يد الراهب البلجيكي Ch. Witle الذي جمع ودرس 67 قرارا بابويا متعلقا بالحروب البرتغالية التي دارت بالمغرب ودور البابوية في توفير شروط النجاح لها (17).

ويمكن الرجوع كذلك إلى بعض المراسلات التي تبودلت ما بين الملك وبعض المسؤولين السياسيين والدينيين. ويمكن أخذ فكرة عن مدى طغيان الروح الدينية على تلك المراسلات ومدى صدق محرريها بالرجوع إلى رسالة الملك البرتغالي امنويل إلى أسقف (براغا) السابقة الذكر (ص 18 من هذا العمل) أو إلى الرسائل التي بعث بها الملك البرتغالي إلى بعض كبار المسؤولين السياسيين والدينيين سنة 1534 حول مشروع اخلاء آسفي وأزمور وأجوبة بعضهم (18).

الدوافع الاقتصادية : إن الوقوف على وثائق برتغالية جديدة، وإخضاع الوثائق ذات الطابع الديني للنقد والتحليل جعل عددا من المؤرخين يتخلون عن اعطاء الأولوية للعامل الديني. فإذا اعترفوا بوجود هذا الدافع، فإنهم أكدوا مع ذلك على طغيان العوامل الاقتصادية خصوصا

---

17) – R. Ricard, In Le problème de l'occupation restreinte dans l'Afrique du Nord. Annales d'histoire économique et sociale. Septembre, 1936 pp. 426-34.
– Durval Pires de Lima : História da dominação portuguesa em çafim. Lisboa 1930. p. 107.

18) – Witte (Ch. M.) : Les Bulles pontificales et l'Expansion portugaise au XV° siècle. Revue d'Histoire éclesiastique, n° XLVIII (1953), XLIX (1954), LI (1956), LIII (1958), revue éditée à Louvain, en Belgique.

بعد الوصول إلى المراكز التجارية بغرب افريقيا ونجاح (دو غاما V. de Gama.) في ربط لشبونة بالهند اعتمادا على طريق رأس الرجاء الصالح البحرية. وذلك رغم احتفاظ الملوك البرتغاليين بشمار الحرب الصليبية لدفع البرتغاليين إلى المساهمة في المجهود العسكري وتحمل تكاليفه وتضحياته. وللحصول على مساعدة البابوية المهمة.

وبالإضافة إلى تسليطها الأضواء على دوافع الغزو. تمكن هذه الوثائق كذلك من تتبع مدى استفادة البرتغال من تحكمه في كل منطقة ودور تلك الاستفادة في تحديد السياسة المتبعة ازاءها. وبذلك يمكن تفادي تعميمات خاطئة سقطت فيها دراسات لم تعتمد على هذه الوثائق (19). وسأعطي على دور العوامل الاقتصادية والبحث عن الربح في توجيه السياسة البرتغالية مثالين. واحد من المغرب الأقصى. وآخر من الخليج العربي.

لقد اعتمد البرتغاليون بشمال المغرب على عدد كبير من الأساطيل والرجال للاستيلاء على المدن. وكانت سياسة المخططين للغزو واضحة : التخريب ومطاردة المغاربة وانتهاج سياسة الأرض المحروقة الشيء الذي يتناسب وعقلية الفرسان والنبلاء الذين عاثوا لذلك في الأرض فسادا. أما في الجنوب المغربي. فلقد كانت المخططات للاستيلاء عليه مخالفة وذلك لأسباب تجارية. فإذا كان المسؤولون البرتغاليون على علم بما كانت تعاني منه مدن تلك المناطق من فتن واضطرابات. وإذا كانوا قد زادوا تنافس الأعيان حول السلطة حدة بتدخلاتهم ورشاويهم ومختلف

---

(19) – Sources Inédites... II pp. 640-44, 652, 665, 690, 692... III p. I... _

الضغوط التي مارسوها، فإنهم تفادوا مع ذلك التدخل العسكري لاحتلال أهم تلك المدن وذلك رغم الفرص التي أتيحت لهم. لقد كانوا يكتفون كلما تبين لهم أن مجرى الأحداث أصبح يهدد مصالحهم بتنظيم انقلابات وبتسليم السلطة لمن كانوا يتوقعون منه حماية مصالحهم وتنميتها. ولم يقرر الملك البرتغالي احتلال أسفي سنة 1508 إلا وهو شبه مرغم. وتحت ضغط التجار المحليين، الذين كانوا ينتظرون من ذلك الاحتلال ارجاع الأمن إلى المدينة وجعل حد للفتن التي قضت على الرواج التجاري الذي كانت تعرفه.

وبعد احتلال المدينة، عمل الملك كل ما في وسعه للحيلولة دون دخول البرتغاليين في حروب ضد القبائل المجاورة ودون انتهاج سياسة الأرض المحروقة المتبعة بالشمال. وأوصى بالاعتماد على الرشاوي وخلق عملاء والاعتماد على الدبلوماسية أكثر من الاعتماد على الأسلحة. وقام الملك بعدة تنازلات سياسية وجبائية لضمان ولاء القبائل واستمرار إقبالها على الموانئ ولضمان طاقات المنطقة الإنتاجية والاستهلاكية لصالح البرتغال. وتساهم الوثائق ذات الطابع التجاري المحض في فهم هذه السياسة وتحديد أسبابها. فمناطق الجنوب، وخصوصا دكالة، أصبحت منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر، تمثل أهمية قصوى داخل الإمبراطورية التجارية البرتغالية. إذ أصبحت ضرورية لاستمرار استفادة البرتغال من تعامله التجاري مع غرب افريقيا لتوفرها على المواد الضرورية للحصول هناك على التبر والعبيد (أنسجة صوفية، نحاس، حبوب، خيول...) ولترويج توابل وعقاقير الهند... ونظرا لهذه الأهمية، عمل البرتغاليون على الاحتفاظ بدكالة وساحل غرب افريقيا داخل كتلة

جغرافية لا يمكن أن تجزء أو أن يتخلى عن قسم منها لاسبانيا التي عبرت في عدة مناسبات عن مطامعها في المنطقة (20).

أما بالمشرق العربي فلقد كانت السياسة البرتغالية مرتبطة بهدف واضح : القضاء على الوساطة العربية ما بين أوروبا والمناطق الأسيوية المنتجة للتوابل والعقاقير والعطور كشرط أساسي لتعويض الإيطاليين كمزود ضروري لأوروبا بتلك السلع التي كانوا يحصلون عليها من مصر أو سواحل الشام. ولهذا كان اغلاق البحر الأحمر في وجه الملاحة العربية أهم ما كلف به الأسطول البرتغالي الذي أرسل إلى المنطقة سنة 1505 وهكذا ألح قائد الأسطول المذكور على الموانئ العربية بالغارات وخرب عددا منها توجد على ساحل عدن ومدخل البحر الأحمر والخليج وقام باحتلال هرمز. ولكن هذا القائد سرعان ما أدخل تعديلا مهما على سياسته وذلك بعد أن عاين معطيات التجارة بالمنطقة. لقد لاحظ أن العلاقات بين آسيا والعالم العربي عريقة وأن اغلاق البحر في وجه التجارة العربية لن يؤدي في نهاية الأمر إلا إلى تنشيط الطرق البرية التي لا يمكن للبرتغاليين مراقبتها. كما أن الهند لا يمكنها الاستغناء عن مواد تعودت على التوصل بها من العالم العربي كالخيول والفضة. ولهذا لم يعد المسؤولون البرتغاليون ينظرون إلى التحكم في هرمز نظرتهم إلى احتلال عدن أو جزر القمر مثلا.

(20) راجع دراستنا : دكالة والاستعمار البرتغالي الى سنة اخلاء اسفي وازمور. مكتبة كلية الاداب بالرباط وفاس. الفصل الرابع من الباب الاول والاول من الباب الثاني وخصوصا الفصل الثاني من الباب الثالث (تحت الطبع).

وهكذا تقرر عدم اغلاق تلك المبادلات في وجه العرب وفرض الوساطة البرتغالية عليهم تفاديا لاتصالهم بالمناطق المنتجة. وكلفت هرمز بامتصاص سلع الجزيرة العربية والعراق والشام وتوزيع مواد الشرق الأقصى اعتمادا على البصرة على الخصوص. وتمكن رسائل «البكيررك» السابقة الذكر من تتبع مراحل انتهاج هذه السياسة. ففي رسالة موجهة إلى الملك مؤرخة في 4 ـ 10 ـ 1510 (ص 423) وأخرى تعود إلى 27 ـ 12 ـ 1514 (ص 346 ـ 349)، تتجلى خلفيات هذا المخطط بكل وضوح. لقد أدى فتح هرمز في وجه التجار العرب إلى امتصاص نسبة مهمة مما كان يرسل إلى الهند من فضة وخيول. وفي رسالة أخرى، (هرمز. 22 ـ 9 ـ 1415. صص 371) أخبر الملك أنه يعلم جيدا أن العالم العربي والتركي والفارسي يتزود بالتوابل من البصرة وأنه لا يرى في ذلك أي خطر على مصالح البرتغال ما دامت تلك المناطق خارجة عن النفوذ العثماني (21). وما دامت الكميات المحصل عليها لا تسمح قط بمنافسة البرتغال بأروبا. وأكد للملك حقيقة أخرى قد تبعث على الاستغراب : لقد سمح للعرب بركوب البحر بالخليج، ولكن شريطة الحصول من

(21 – R. Ricard : Le commerce de Berberie et l'organisation économique de l'Empire portugais aux XV^e et XVI^e siècles. In études sur l'Histoire des Portugais au Maroc. p. 103.
« Pareceres sobre os Turcos que estão em Bassorá.
« Bibliothèque de Ajuda (Lisboa) códice 51-VIII-42 folios 293-331. cité par Vitorino M. Godinho : Os Descobrimentos e a economia mundial. T2. p. 161 n° 186.

البرتغاليين على تسريح « Cartaz » وشريطة الاتجار مع هرمز ومع هرمز وحدها ! (22).

وللمزيد من الإيضاح حول مساهمة هذه الوثائق ذات الطابع التجاري في التعريف بالأنشطة التجارية التي كان العالم العربي يعرفها. وبمدى اهتمام البرتغاليين بالمنتجات والأثمان وأهم المراكز التجارية وأنشط الطرق والمسالك أشير إلى أن إيصالا متعلقا بالمتجر الملكي (فيطورية) بفلندرا (بلجيكا الحالية) مؤرخ في 1 ـ 4 ـ 1547 أشار إلى أهم الطرق التجارية بين البصرة ودمشق وباقي المدن التركية وأكد أن المدينة الثانية استطاعت بفضل البصرة تعويض القاهرة كأكبر خزان وموزع للتوابل والعقاقير وذلك نتيجة تضييق البرتغاليين الخناق على الملاحة بالبحر الأحمر (23).

2) ـ بالإضافة إلى تسليط هذه الوثائق الأضواء على الدوافع، تسمح كذلك بدراسة الوسائل المسخرة من طرف البرتغاليين لغزو البلاد الإسلامية ذلك أنها توفر معلومات وأرقام عن أعداد الجنود والأساطيل ونوعية الأسلحة المستعملة من طرف البرتغاليين للهجوم على ثغر معين أو للدفاع عنه أو لخوض معركة بحرية...الخ. كما تعرف هذه الوثائق بأنواع وأشكال التحصينات المستحدثة وأحيانا بمصدر موادها الخام والمصاريف التي تطلبها بناؤها أو ترميمها... واعتمادا على

(22) ما ان احتل العثمانيون البصرة في دجنبر من سنة 1546 بعد 10 سنوات من الولاء حتى قدم للإدارة المركزية تقرير حول الاوضاع الجديدة التي اصبحت عليها المدينة (1547) : «وجهات نظر حول الاتراك الموجودين بالبصرة».

(23) Vitorino M. Godinho : op cité p. 160.

هذه الوثائق تمكن دراسة سياسة التوغل السلمي وفرض نظام الحماية على مجموعة من الثغور لأسباب سبقت الإشارة إليها.

3 ـ المراحل والمكتسبات المحققة.

بما أن مصادرنا ـ لا أتحدث عن الوثائق لانعدامها ـ تحتوي على مجموعة من العيوب سبقت الإشارة إليها وأهمها افتقارها للتواريخ الدقيقة ـ وهي أهم عنصر للتأريخ لحدث ما ـ فإن مساهمة هذه الوثائق الأوروبية في كتابة تاريخ اعتداء الإيبيريين على البلاد الإسلامية أساسية لتوفيرها إمكانية تتبع مراحل ذلك الاعتداء بدقة كبيرة أحيانا.

ومن جهة أخرى تسمح هذه الوثائق بإدخال بعض الفوارق على تلك المراحل كما يتجلى ذلك مثلا من خلال مرحلتي الشمال والجنوب المغربين اللتين سبقت الإشارة إلى وجودهما لأسباب استراتيجية (الشمال) وتجارية (الجنوب).

كما تسمح بتتبع مدى متانة تلك المكتسبات. وعلى ضوء ما تزودنا به من معلومات. ـ وبالرغم من سكوت المصادر البرتغالية عن الكثير من الهزائم البرتغالية ـ تسمح للمؤرخ بالخروج بنتائج مدهشة. فإذا كانت تلك المكتسبات التي استطاع البرتغال تحقيقها بالمغرب والمشرق العربيين سريعة ومهمة وسهلة نسبيا. فإن نسفها بسبب مختلف ردود الفعل التي تولدت عن ذلك الغزو لم يكن أقل منها سرعة. وهكذا وبخلاف ما حاول بعض المؤرخين الأجانب اخفاءه. لم تدم سطوة البرتغاليين بجنوب المغرب ـ حيث كان نجاحهم أكبر ـ اكثر من ثلاث سنوات (1511 ـ 1514) لتصبح أوضاعهم بعد ذلك شبيهة بما كانوا

يعانون منه بباقي الثغور، أي العيش في حالة حصار مستمر (24). واعتمادا على هذه الوثائق يمكن للباحث أن يتتبع مختلف التنظيمات المستحدثة من طرف البرتغاليين داخل الثغور ، الإدارية، العسكرية، المالية، التجارية، والدينية (25).

4 ـ **ردود الفعل العربية الإسلامية** يجد الباحث بالوثائق البرتغالية مادة غزيرة لدراسة هذا الموضوع، ولقد بينت في محل آخر (26) كيف أن محاضر محاكم التفتيش التي قد تبدو جد بعيدة عن موضوع كهذا تساهم في دراسة ردود الفعل العربية الإسلامية التي تولدت عن محاولات البرتغاليين الحيلولة دون ركوب المسلمين البحر. وفضلا عن هذه المحاضر تسلط تقارير ومراسلات كثيرة الأضواء على الحروب البرية والبحرية، الشعبية والرسمية التي أعلنها العرب والعثمانيون على البرتغاليين بالبحر الأحمر والخليج والمحيط الهندي والسواحل المغربية والهندية. وهكذا يمكننا استغلال هذه الأعداد المهمة من الوثائق من مجموعة من النتائج أشير إلى أهمها :

ا) إن ردود الفعل العربية الإسلامية كانت فورية وعنيفة واكتست طابعا شعبيا واضحا لتنبه شعوب المنطقة المعرضة للغزو لخطورة المخططات البرتغالية. وكان هذا وراء تراجع نفوذ البرتغاليين ونسف مكتسباتهم بسرعة كبيرة ووراء تقلبات سياسية مهمة عرفها العالم

24) نقله المؤلف السابق بالمرجع السابق ص 163 هـ 190.

25) راجع دراستنا السابقة الذكر، الفصل الثالث من الباب الرابع.

26) خصصنا لهذا الموضوع فصلا كان هو الأول من الباب الثالث الخاص بالتنظيمات المستحدثة من طرف البرتغاليين.

العربي كتنحية الوطاسيين العاجزين عن مواجهة البرتغاليين، ومبايعة الشرفاء السعديين بالمغرب واستنجاد الجزائريين بالأتراك بعد يأسهم من دولة بني عبد الواد.

2) **تشهد هذه الوثائق نفسها على الفشال ردود الفعل العربية الإسلامية للمخططات البرتغالية السابقة الذكر.** فإذا كان الغزو البرتغالي يهدف أولا وقبل كل شيء إلى حرمان العرب من دور الوساطة ما بين أوروبا والسودان الغربي من جهة، والشرق الأقصى من جهة أخرى، فإن تعامل العرب مع هذه المناطق لم يتوقف أبدا وإن تضرر من الحصار البرتغالي. فلقد استمر المغاربة في عرض التبر ببعض الموانئ التي بقيت حرة وازداد العرض مع السنوات رغم كل المحاولات البرتغالية لقطع الطريق على القوافل إلى حد جعل المؤرخ البرتغالي الكبير (غودينيو) يعتبر ما عبر عنه بانتقام القوافل من الكرفيلات البرتغالية أهم أسباب انتصار المغاربة السياسي والعسكري على البرتغاليين (27). ولم يستطع البرتغاليون اغلاق البحر الأحمر أو الحيلولة دون وصول التجار العرب إلى السواحل المنتجة للتوابل كما تشهد على ذلك اعترافات المسؤولين البرتغاليين أو الغنائم التي كان البرتغاليون يحصلون عليها من مطاردة السفن العربية بساحل عدن والبحر الأحمر والخليج.

3) ـ إن ردود الفعل العربية الإسلامية لم تعط نتائج فورية وسريعة نظرا لتفوق البرتغاليين في ميدان الأسلحة النارية وخصوصا لافتقار المناطق المعرضة للغزو لقوة سياسية قادرة على الرد على التحدي البرتغالي. وأخر التحرير كذلك تناحر أمراء وملوك المناطق المعرضة

27) راجع ما جاء بالهامش 13.

للغزو أو القريبة من مناطق النفوذ البرتغالي. ذلك التناحر الذي زاده البرتغاليون حدة.

كما تمكن هذه الوثائق من الوقوف على سبب رئيسي حال دون احراز انتصار نهائي وسريع ضد البرتغاليين والمتمثل في عجز الدول العربية والإسلامية على مجابهة البرتغاليين بأسطول في مستوى ماكان بأيديهم. لقد حال افتقار المغاربة لأسطول قادر على منع توصل البرتغاليين بالرجال والعتاد والأقوات من البرتغال دون حصولهم على نتائج مهمة من اعلانهم حروبا برية على برتغاليي الثغور المحتلة.

وتؤكد نفس الوثائق حقيقة أخرى مهمة ، لقد أدى استعمال المصريين أولا، والعثمانيين بعد ذلك لأساطيل خاصة بالأبيض المتوسط في حروبهم ضد البرتغاليين بالمحيط الهندي إلى حصول هؤلاء على انتصارات هائلة رغم قلة أعداد مراكبهم.

وتسمح بعض التقارير والمراسلات بأخذ فكرة عن محاولات المصريين والعثمانيين انشاء أسطول بحري بالسويس لإفشال المخططات البرتغالية، وتطلعنا على المشاكل التي واجهتهم في ذلك ، التأخر التكنلوجي، إذ كانت الأشرعة والمدفعية وغير ذلك ترسل من اسطنبول، وعدم توفر المواد الخام وعلى الخصوص الأخشاب التي كانت تجلب من لبنان إلى مصر حيث كانت السفن تنزلها بمينائي الأسكندرية ورشيد لتجد في انتظارها 4000 جمل لنقلها إلى السويس (28).

فاس أحمد بوشرب

(28 – Vitorino M. Godinho : l'Économie de l'Empire portugais aux XV° et XVI° siècles. Paris 1969 pp. 223-225.
– V.M. Godinho ; Os Descobrimentos... op. cité p. 154.

فاس
قبالة الضيف

محمد الفاسي

إن هذه العبارة المغربية «قبال الضيف» هي أحسن ما توصف به هذه المدينة الفذة في كل أوصافها وذلك أنها كمدن قلائل في العالم تستقطب الرجال الممتازين من كل أقطار العالم وتفتح لهم قلبها وإمكاناتها وتحدب عليهم وترعاهم فيبادلونها حبا بحب ويصيرون من أبنائها المعتزين بالانتساب إليها. والسر في ذلك أنها منذ تأسيسها، أمها مهاجرون من القيروان هروبا من فتنة الأعراب الذين عاثوا فيها وخربوها ومن جملتهم والد مؤسسة القرويين فاطمة أم البنين الفهرية كما لجأ إليها لاجئون من قرطبة وأكثرهم من العلماء بعد ثورتهم على الخليفة الأموي الحكم الثاني - وهكذا تربت في نفوس أهلها طبيعة الترحيب بالغريب وتقديره كامل التقدير إذا كان له تبريز في علم أو فن أوصناعة لأن انتشار العلم بين أهلها بفضل جامعة القرويين جعلهم يقدرون القيم

الصحيحة. لكل هذه الظروف قلت إن مدينة فاس قبالة الضيف، ونتج عن ذلك أن اصبحت مدينة فاس عاصمة حضارية فذة بسبب ما اجتمع فيها من المبرزين في كل نواحي النشاط العلمي والفني والصناعي والاقتصادي ومن كل نواحي العالم الإسلامي.

لهذا نرى أن أكثر عائلات فاس ترجع بأصلها إلى بلد إسلامي كالعراق أو الشام أو اليمن أو صقلية مثلا. وعائلات العراقيين والشاميين واليمنيين والصقليين أو غيرهم هم من عائلات فاس الصميمة. أو تنتسب إلى مدينة مغربية كسبتة أو سلا أو تازة أو وزان أو الشاون (والنسبة إليها شفشاوني) أو مراكش أو صفرو أو القصر الكبير مثلا. وعائلات السبتي والسلاوي والتازي والوزاني والشفشاوني والمراكشي والصفريوي والقصري كذلك من عائلات فاس الصميمة. أو تنسب إلى إحدى قبائل المغرب أو نواحيه كعائلات الاغزوي والاخصاصي والتسولي والجامعي والحمياني والخلطي واللجائي والفلالي والسرغيني والسرغوشني والشاوي والشرقي واليازغي والدكالي والحياني وغيرهم...

وأكثر العائلات الأخرى ترجع كذلك بنسبتها إلى مثل هذه الأصول وإن لم يظهر ذلك في أسمائها. فهناك العائلات الأندلسية كالعبدلاويين والفاسيين وبني سودة وآل الصفار وآل غريط وغيرهم كثير. وكذلك العائلات التي يطلق عليها تغليبا اسم التلمسانيين أو أهل تلمسان وهي عائلات جزائرية نزحت إلى المغرب مرتين قبل الاحتلال الفرنسي للقطر الشقيق كل مرة هروبا من ظلم الدايات. والفوج الكبير الذي هاجر بعد 1830. وقد اندمجوا مثل غيرهم في الوسط الفاسي وصاروا من أهل فاس الصميمين وذلك كعائلات الزغاري وابن حربيط وابن منصور وغيرهم

كثير. ومما تجدر الإشارة إليه أن جماعة أخرى من الجزائريين كانت هاجرت إلى تطاون (1) فلما حل عهد الحماية الفرنسية والإسبانية لم يسجل أحد من الجزائريين المهاجرين إلى فاس نفسه كرعية فرنسية. وأما القنصلية الفرنسية بتطاون فقد تقدم إليها كل الجزائريين وصاروا، على حد تعبير لوتورنو في كتابه حول فاس، «الزبائن الأساسيين لقنصلية فرنسا» (2).

وهناك عائلات غير هذين الفريقين مثلا القادريين وأصلهم من بغداد ومثل العلويين وأصلهم من تافلالت ومثل العلميين وأصلهم من جبل العلم (مولاي عبد السلام) ومثل الشرقاويين وأصلهم من أبي الجعد وغيرهم كثير. كما أن عائلات أخرى جاءت من أوربا واستوطنت مدينة فاس ويطلق عليها اسم العلج.

وقد كان لجامعة القرويين دور هام في تبويء فاس هذا المقام المرموق في ميدان الحضارة ونشرها في ربوع المغرب لأنها جعلتها من ابتداء حياتها مركز علم ومعرفة يؤمها الطلاب من كل أقطار المغرب وكانوا عند انتهاء دراستهم ورجوعهم لأوطانهم الأداة الفعالة لنشر العلم بالمغرب ونقل مظاهر حضارة فاس إلى مختلف نواحي البلاد. وقد قدمنا أن صانعي هذه الحضارة هم أبناء مدن المغرب الأخرى وقبائله وأبناء البلاد الإسلامية الذين وفدوا عليها واستوطنوها. فحضارة فاس هي من صنعهم جميعا. وقد برهن كل من نبغ من الذين درسوا بجامعتها وتركوا

---

1) هذا هو النطق الصحيح المغربي لهذه المدينة وهو الذي كان مستعملا قبل الحماية. أما تطوان فهو النطق المحرف الاسباني.

2) ص 200 تعليق 2.

أثرا مكتوبا على وفاء منقطع النظير للمدينة التي رضعوا لبان العلم بين جدرانها حتى أننا لو أردنا أن نحصي كل ما كتبه غير أبنائها من تمجيد لها لخرج في مجلدات ولكن أكتفي بالإشارة إلى بعض النماذج من هذه الصفحات الرائعة بما تنطوي عليه من آيات الوفاء والإنصاف. من ذلك ما كتبه الشريف الإدريسي النسب في كتابه العظيم : «نزهة المشتاق» وقد أطنب في ذكر فضائلها ومما جاء فيها :

«... ومدينة فاس قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى... وهي حضرتها الكبرى ومقصدها الأشهر وعليها تشد الركائب وإليها تقصد القوافل ويجلب إليها كل غريب من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة وأهلها مياسير ولها من كل شيء حسن أكبر نصيب وأوفر حظ».

وقال عبد الواحد المراكشي في كتابه « المعجب» : «ومدينة فاس هذه هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة.... فهي اليوم على غاية الحضارة وأهلها في غاية الكيس ونهاية الظرف ولغتهم أفصح اللغات في ذلك الإقليم..» إلى أن يقول بعد إطناب كثير في ذكر محاسنها وجلالها : «وما أظن في الدنيا مدينة كمدينة فاس أكثر مرافق وأوسع معايش وأخصب جهات».

ويقول ابن عذاري المراكشي في كتابه «البيان المغرب» : «كان بفاس من الفقهاء الأعلام الأجلة أعيان الأنام ما ليس في غيرها من بلدان الإسلام إذ هي قاعدة المغرب ودار العلم والأدب».

ومن فضلاء المعاصرين الذين أشادوا بمقام فاس العلم العلامة السيد أبو بكر زنيبر السلوي رحمه الله الذي كتب مقالا طنانا حول فاس عنونه بالقولة الشهيرة : **لولا فاس لما ذكر المغرب**

وللعلامة الجليل المختار السوسي رحمه الله في كتابه «سوس العالمة» صفحة آية في الاعتراف بفضل فاس والقرويين مما جاء فيها :

«فهكذا فاس فهي الأستاذة أمس واليوم وكل أنحاء المغرب تلاميذ لها».

وإن الكلمة الشهيرة التي فاهت بها صاحبة السمو الملكي الأميرة الجليلة لالة عائشة. في خطابها بمناسبة تدشين إحدى المدارس الحرة التي أسسها والدها العظيم محمد الخامس رضوان الله عليه ، «فاس والكل في فاس» تحمل كل ما وصفت به هذه المدينة التي قيض الله لها لانتشالها من كبوتها ملكا فذا عبقريا عظيما دفعه نبوغه ونظره البعيد إلى تقدير قيمة هذا المركز الحضاري وما يقوم به من دور في حياة المغرب إلى الاهتمام به والحدب عليه وإعلاء شأنه فطلب من منظمة اليونسكو في شخص مديرها وكان لي شرف حضور هذه المقابلة أن تقوم بإنقاذه والحفاظ عليه مما جعل المدير العام الأستاذ أمبو يرسل نداء عالميا لإنجاز ما طلبه عاهلنا المفدى رجل الساعة في العالم مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله وزاده توفيقا وجلالا. وإني باسم الجمعية الوطنية لإنقاذ فاس والحفاظ عليها أتقدم لمقام العالي بالله بعميق الإجلال ووثيق الولاء، كما أشكر اللجنة التي يرأسها معالي وزير الداخلية الأستاذ إدريس البصري على المجهودات التي يبذلونها في سبيل تحقيق ما يصبو إليه كل المغاربة من إعادة فاس لمجيد ماضيها وكذلك أتوجه بالشكر لسعادة عامل فاس.

فاس محمد الفاسي

لحظة المفاجأة...

عبد العلي الوزاني

في الحياة، كما في العمل الروائي، دائما يبحث الناس عن عنصر المفاجأة.. ومتى لم يجدوه في أي منهما تبرموا بالرواية واعتبروها فاشلة.. وبالحياة فرأوها مملة إلى حد القرف.. والمفاجأة هي الحدث الخارج عن سياق التوقعات.. هي خروج ثعبان من قلب اضمامة ورد.. وانحدار دمعة من عين الأسد.. وإقدام عصفور على ارتكاب جريمة.. وضبط العين التقية الورعة في حالة غزل.. وصدور الفكرة العبقرية عن ذهن ضعيف الرؤيا.. وانشقاق الصخرة المصمتة عن الماء الزلال.. وما هو من هذا القبيل..

المفاجأة في رحلة كريستوف كولومبوس أنه قصد الهند فاكتشف القارة الأمريكية.. وفي حياة أرشميدس أنه لم يكتشف قانون الكثافة إلا وهو داخل الحمام.. وفي مغامرة انطونيو أنه اراد اخضاع مصر، فغزت قلبه ملكتها كليوباترا.. وفي حياة رابعة العدوية كونها اكتشفت ينبوع

الإيمان في قلبها وهي بين الكأس والوتر.. واللمس والنظر.. تنتهب اللذات ما أسود الليل.. وتتهيأ لها ما أبيض النهار.. فآخر ما كان منتظرا منها أن تخلص من مخدع الشيطان إلى ملكوت الله.. وأن تنفلت من الخمارة إلى الصلاة.. وأن تحطم كأس الخمر، لتسكر بخمر العشق الإلهي.. ولكن هذا ما حدث..

وليس من الضروري أن تكون المفاجأة ذات حجم كبير لتحدث الأثر المطلوب فالمفاجآت الصغيرة هي الأخرى لا تخلو من طرافة واتحاف.. فعثور القارئ على سطر مضيء داخل كتاب عادي.. أو مصادفة اذاعة عذبة الأنغام كان يعجز عن اكتشافها مؤشر الراديو.. أو تبين موهبة واعدة في بعض الطبقات الصوتية لمغن مبتدىء أو مغنية مبتدئة.. أو اقتحام عصفور جميل لحجرة واحد منا عبر النافذة.. أو توقف عين خطيب على شامة دقيقة في ذراع خطيبته يراها للمرة الأولى.. أو العثور على أبيات شعر في دفتر لضبط الحسابات.. أو السماع بأن المتنبي قد استرد أباه.. كلها تنويعات على الزمن المستهلك كل يوم.. وخروج مفاجئ من صف الناس الطويل المتحرك تحت الشمس والمطر من الشروق إلى الغروب.. حين تتشابه كل ساعات اليوم، وكل أيام السنة، تشابه أوراق اليومية المرفوعة إلى الحائط، أو الموضوعة فوق المكتب.. وتشابه القمصان ذات القماش الواحد.. ومقص التفصيل الثابت.. تمسك به نفس الأصابع..

تصبح الحياة مجرد استظهار لدروس سابقة... واتيان في نفس المواعيد المضبوطة.. ووضع الأقدام على نفس مواطئها المعتادة.. لذلك تجد الناس يحفرون تحت أقدامهم.. أو ينبشون وراء وسائدهم.. أو ينقبون في جيوبهم الخلفية.. أو يقرأون العيون التي يصادفونها في الطريق.. أو

يقلبون أوراق المجلات.. أو يدسون أنوفهم في أعمدة الصحف.. بحثا عن عنصر المفاجأة.. عن شيء يشرق وميضا في عيونهم.. ويهتز معنى في أذهانهم.. ويختلج وجيبا بين أضلعهم.. يريحهم جدا أن يقطع المذيع نشرة الأخبار لبث خبر جد سار. وأن يفاجئهم العيد وهم في حالة صيام.. وبعد مضي عدة ساعات على شروق الشمس.. وأن تطلع عليهم صحيفة ذات صباح لا تتحدث نفس اللغة.. أو أن تصاب الشمس يوما بالكسوف للمرة الأولى في جيلهم.. أو أن يظهر بينهم فجأة ولي ذو كرامات.. في زمن لم يعد فيه للكرامات معنى.. ولا لدى الناس استعداد لتصديقها.. والناس دفعا للرتابة كسروا عمود الشعر.. وزادوا في عدد أحصنة السيارة.. وتناولوا وجبتهم الغذائية وقوفا.. وتورطوا مع الزوجة الثانية أو الثالثة.. وغامروا بارتكاب الخيانة الزوجية.. وخالفوا قوانين السير في الطرق.. ورفضوا بقاء الليل ليلا والنهار نهارا.. وانحصار اليوم في أربع وعشرين ساعة.. كما حطموا قواعد الصرف والنحو.. وطعنوا في كفاءة البلاغة الموروثة.. وحولوا ما يجري في الحجرات المغلقة إلى شاشة السينما.. وربما إلى الهواء الطلق.. أو إلى الطريق العام.. وتبولوا في أبواب الكنائس.. واجترأوا على الذات الإلهية.. ووضعوا النصوص المقدسة موضع النقد.. وألبسوا النساء الرقيقات ملابس العصابات.. ودربوهن على اطلاق الرصاص.. والوخز بالسكاكين.. ولو في الأشرطة المصورة.. تركوا الجانب المجيد من عصابات لمافيا وحافظوا على جانبها الإجرامي فقط...

وكل مفاجأة ما إن تحدث حتى تفقد سحرها في الحين.. العلم بها يقتلها.. يبطل مفعولها.. يسقطها بين العاديات.. يجعل اعادة النظر فيها بدون معنى.. سرها كامن في مجرد اللحظة السريعة التي تضيء من

خلالها وتنطفيء في الحين.. لا مفاجأة يستمر وهجها لأكثر من بضع دقائق.. إذا هي كانت من ذوات العمر الطويل.. لذلك كانت حاملة في جوهرها أسباب موتها المفاجيء.. تظل سرا غامضا حتى إذا ظهرت ماتت في الحين هي كائن يهوى العيش في الظلام.. حتى إذا خرج إلى النور فقد مبرر وجوده على التو... لذلك كان كل شيء يعتمد على المفاجأة قصير العمر... لأنه ربط مصيره بها.. وجعل توقيت انتهائه مقترنا بتوقيت انتهائها... كم رواية تقرأها فلا تجد فيها أية مفاجأة.. ذلك أن كاتبها لا يريد لعمله الفني أن يموت فور الانتهاء من قراءته.. لقد استفاد من تجارب الذين سبقوه. فاكتشف أن اعتماد المفاجآت في العمل الروائي يجعل بانطفائه..ومن المفاجآت ما يستميت من أجل البقاء والإشراق ولو إلى حين.. لكن كل محاولاته تذهب سدى.. بحكم أنه استعاض عن العمر الطويل باللحظة الخاطفة ذات الوهج والبريق.. الثمن الذي يؤدي أقساطا تقاضته المفاجأة دفعة واحدة.. الكأس التي ترشف على مهل دفعت بها في فمها تعب منها حتى الثمالة.. كثيرة هي الأشياء الخاطفة للأبصار. المعرضة للموت بعد حين.. وقليلة هي الأشياء القانعة بالخفوت والظل.. ولكنها تعيش طويلا..

أكثر الأسباب التي من وراء تنقلات الإنسان عبر القارات ترجع إلى البحث عن لحظة المفاجأة.. ومن ثم كانت البلدان الملفوفة في الغموض. الغارقة في ضباب الخرافة. تحظى باهتمام كثير من طلاب المفاجآت من الأوروبيين بصفة خاصة.. حيث يثير خيالهم أن يرتدوا عن القرن العشرين. فيشاهدوا رقصة البدو الأفارقة على أنغام اسطوانة مسجلة في الولايات المتحدة.. ويروا المعطف الإيطالي ملبوسا فوق الثياب القومية..

وتطالعهم صورة ماريا مونطيز معلقة بدكان بائع الخردة.. وتشدهم السيارة الفرنسية أو الإيطالية تتحرك هي والجمل في طريق واحد..

وبالرغم من أن الإنسان طوع الكون لإرادته، وتدخل في تكييف أحداثه، فما زال هذا الكون حافلا بالمفاجآت.. مشحونا بالإمكانيات والاحتمالات.. ومن ثم فالعيش فيه ما زال مثيرا.. زاخرا بدواعي الأمل والطموح.. كل ركن فيه يشبه فصلا من مسرحية هاملت.. قابلا للتأويل دائما وفي كل عصر وكل حضارة.. يوم ينتهي كل ما لدى الكون من مفاجآت، يكون الإنسان تعسا حقا.. مرميا تحت أقدام جبروت علمه الذي قتل كل شيء.. الغد بالنسبة إليه قضية لم يعد هناك معنى لطرحها.. حينئذ لا يعقل أن يعرف الإنسان عاطفة الحب.. ما دام الحب اتحاد روحين ضد المجهول.. ظفرا بما يستطيع.. على أمل إدراك مالا يستطيع.. التوقعات المضبوطة هي مصرع المفاجأة.. فإذا ارتقت إلى أن تكون علما بالمستقبل بدا الآتي وكأنما سبق استهلاكه من قبل.. وربما عدة مرات.. هذا يساعد على الاستراحة من هاجس الطوارئ.. ويوصل التيار الكهربائي إلى السنوات المائة المقبلة.. ويحصن الحاضر ضد الخوف من المجهول.. ويفقد هذا الأخير أقوى أسلحته.. ولطالما قلب بها كل الموازين.. لكنه إلى ذلك يجعل الحياة كرواية معروفة نهايتها مقدما.. كقطار كل محطات الوصول بالنسبة إليه وإلى المسافرين محددة بدقة.. هذا يجعل الآتي في حكم الماضي.. يبلي الأشياء والأحداث قبل وقوعها.. يحمل على مراجعة معنى الزمن.. وطريقة تقسيمه إلى أزمنة ثلاثة.. مع ترتيبها المعهود الظاهر وكأنه قضية غير قابلة للمراجعة.. ما لم يملك

الآتي القدرة على ادهاش الحاضر ومفاجأته بأمور لم يكن يتوقعها يفقد نصف قيمته.. حينئذ يتمكن الحاضر من التحكم فيه واعطائه الفكرة والذوق ومعدل السرعة.. هو الذي يضع له الهندسة والتصميم.. تاركا البناء كقضية ثانوية يرجأ النظر فيها إلى موعد لاحق لم يأت أوانه بعد.. وبوضع التصميم الهندسي يصير رفع البناء عملية تنفيذ لا غير.. لا تستطيع تجاوز الرسوم الهندسية إلا وتعرضت للتفكك واحتمال أن تبوء بالفشل.. لو كانت عمارة ـ مثلا ـ مؤكد أنها تسقط من طولها لتصير ركاما من الحجارة.. مصدومة في كبريائها الشامخة في الفضاء..

وإذا كان التخطيط للآتي والتقليل من احتمال وقوع المفاجآت فرحة للعالم، ومناسبة يعلن فيها عن انتصاره الكبير.. فهو صدمة حقيقية للفنان.. وبين الاثنين فرق ما بين ، 2 + 2 = 4 وبين عين نرجس، زائدة قطر ندى، زائدة روعة خاطر مما يساوي المرور بحالة شعر حقيقية.. اثنان زائد اثنين = 4 حتما.. ليس هناك احتمال نتيجة أخرى.. لا يمكن أن يندس بين العددين شبهة وهم.. أو امكانية بروز عنصر يعرقل اتحادهما في نتيجة قطعية.. ولا قبل لأحدهما بتغيير الاتجاه في لحظة خاطفة.. هروبا من الاندماج الموحد.. أما عين النرجس فليس بينها وبين قطر الندى من الصلات، إلا ما يشبه أن يكون بين ألوان الشفق، وهاجس ذكرى محببة متوهج في جمرات الأشواق.. جائز أن يقف بين معنى شعري وآخر ينظر إليه عصر أدبي بكامله.. وأن تتحرك الصلات بين ضروب الأخيلة الفنية في جميع الاتجاهات داخل اللحظة النفسية الواحدة.. ولذلك كانت المفاجأة هي لحظة الانفجار لدى الفنان.. خلالها قد

يسقط عصورا بكاملها ليجعل زرقاء اليمامة مواطنة في عالمنا هذا تعمل لحساب مؤسسة سكوتلانديارد.. أو يعطي لعباس بن فرناس فرصة قيادة طائرة نفاثة يطير بها إلى القرن الخامس بعد العشرين.. أو يقترح المتنبي أستاذ كرسي في قسم الفلسفة بإحدى الجامعات العربية.. أو يرشح أبا حيان التوحيدي حكما في كل خلاف حول أزمة الأسلوب الأدبي يقع في أيامنا هذه.. وحين تعجز اللغة أو اللون أو النغمة عن اخراج الفنان من السياق المعتاد. لتعزل في فنه الواقع عن الممكن.. والحاصل عن المنتظر.. حين لا يضطر إلى الشك في مدى قدرة وسائطه الفنية على الإشعاع والرؤيا.. يكون واقعا تحت أنقاض بنائه الهش المتداعي..

ويبدو أن القدر يعزز جانب الفنان أحيانا.. لأنه قد يقف بين الأسباب والنتائج.. فيحول دون افضاء بعضها إلى بعض.. ويجعل بين العلة والمعلول امكانية ضلال احدهما عن الآخر.. مستغلا انتماءهما إلى طبيعتين مختلفتين.. لطالما اطلع المأساة من قلب الملهاة.. واسكن اللذة في عمق الألم.. وجعل من الأضداد ابناء أسرة واحدة.. والقى حجابا بين الوجه والمرآة.. ورمى بين المعنى وما وضع له من لفظ احتمالات باعثة على الاندهاش.. إنه المؤلف الخارق المواهب.. يهب النص الواحد طبائع متنوعة.. جامعا الكل في الواحد.. يدخل المستحيل في دائرة الممكن.. ويجهز الشخوص بأنواع الاستعداد المتكافئة مع ثراء النصوص.. أكثرها مجهول حتى لدى أصحابها أنفسهم.. وبالرغم من أن عنصر المفاجأة يبدو وكأنه لا يخضع في ظهوره واختفائه لأي قانون في الظاهر على الأقل..

فلربما كان منتميا للجانب الذي ما زال مجهولا من أسرار هذا الكون.. وبما أننا هنا لسنا من العلماء.. وإنما من البسطاء الباحثين عن ألوان المتعة والإيناس.. فما يعنينا من القضية إلا شكلها القريب من حواسنا الخمس.. يهمنا أن نرى بعض السهام تغير اتجاهها بغتة منحرفة عن الهدف.. بعد أن صوبت بدقة وإحكام.. وضمن لها قوة المنطلق.. وجودة الآلة.. ومواتاة الريح.. وإزالة العراقيل.. وكفاءة الساعد.. ووضوح المرمى.. يمتعنا أحيانا أن يكون الفرس الذي لم يراهن عليه أحد في سباق هو المتقدم على كل الخيول المرشحة للفوز.. وأن تكون الصفحة الأخيرة من مجلة اشد إشراقا من الصفحة الأولى.. نكره أن نضغط دائما بين سؤال مكرور.. وجواب جاهز متوقع.. وأن تختنق بين الكلمات ورد غطائها..

والمفاجأة هي إحدى نعم الجهل على الإنسان.. لأنه يفاجأ بما يجهل لا بما يعلم.. فإذا أتته المفاجأة مما يعلم، تكون أفكاره المسلمة مقتولة بحكم التعود.. تعود عليها حتى صارت ضامنة لنفسها البقاء خارج صحوة العقل.. الإيمان بالصدق المطلق للأفكار نقطة ضعف فيها.. مبدأ فقدانها لأقوى أسباب بقائها.. وتحولها إلى عمى ذهني.. إلى مادة صماء مفتقرة إلى عنصر المرونة.. وحينئذ تصدر هي والجهل عن طبيعة واحدة.. وأخطر أنواع الجهل العجز عن رؤية الجوانب المختلفة للفكرة الواحدة.. والتمسك بجانب واحد منها لدرجة التعصب المطلق.. أفغريب بعد هذا أن يفاجأ الشخص بما يعلم وقد انقلب أمامه لحظة إلى جثة محنطة.. ماتت من زمن.. وعبرت البرزخ الفاصل بين عالمين دون تشييع..؟ إن الجهل بحقيقة شكل الفيل أقل خطرا من إمساك الأعمى بخرطومه معتقدا أن الفيل هو الخرطوم فقط.. وأن الخلو من أي تصور لحقيقة الشمر

أقل خطرا من الاقتناع بأنه مجرد كلام موزون مقفى.. وأشد الناس جهلا أكثرهم تعرضا لأن يفاجأ.. شأن الإنسان البدائي تماما.. وشأن الطفل حين يخوض تجاربه الأولى مع الأشياء.. وكلما حقق الجاهل نصرا ضد المجهول، كلما قل تعرضه للمفاجأة.. وإني لأرثي لبعض الحكماء حين يصرحون بأنهم لا يفاجأون بشيء.. لو كان ثمن المفاجأة الممتعة تنازلا عن العلم لأديته.. فقط كي لا أحيا محروما من أن اؤخذ أحيانا على غرة.. وان أحاط ببعض الغموض.. لا أدري بالضبط كيف أحصن نفسي ضد الوقوع في حالة انبهار رائعة.. لا بد أن يكون ثمن المفاجأة هو الجهل.. فحين نعلم أشياء كثيرة، ونعد الأدوات لحفظها.. ونسيطر على قوانينها بصورة مضبوطة.. يكون من الممتع لنا ـ متى كنا ذوي استعداد خاص ـ أن تبقى جوانب تذخر لنا روائع مدهشة من المعاني أو الأشياء لتتحفنا بها من حيث لا ننتظر.. وأخف أصناف الجهل النسيان.. نسيان ما هو معلوم.. ليقارب ما هو مجهول.. معلوم ضمنا.. مجهول صراحة.. انتقل من التحقق إلى الإمكان.. من الفعل إلى القوة.. من المؤكد إلى المحتمل.. وحين تأتينا المفاجأة الممتعة من زاوية النسيان، تجعلنا نظن بأنفسنا أجمل الظنون... تعطينا انطباعا بأنا نملك ثروة مفاتيحها ضائعة... ولا بد من العثور عليها في لحظة سريعة... لدى خاطرة سانحة أو خيال عابر.. قد تحول الواحد منا من متسول إلى مليونير.. جائز أن يكون في أعماقنا منجم للذهب.. نسينا موضعه بالضبط.. وأمر العثور عليه متروك للحظ والمصادفة.. جائز أن تكون عندنا وديعة للمتنبي أو البحتري أو ابن الرومي.. تقادمت عليها العهود حتى امحى من أذهاننا ما لها من شكل ولون.. ولا ندري متى يتم العثور

عليها داخل عالمنا السفلي.. جائز أن نكون كأرض تنام على ثروة مائية وهي تعاني من الجفاف.. غافلة عن امكان تحول جفافها يوما إلى ربيع دائم رائع الأزياء..

ومن المفاجأة ما يداهمنا ونحن في حالة تلبس.. فنصاب بارتباك.. وقد نعرق من شدة الخجل.. ونود الهروب من الحرج على عجل.. قد تضبطنا ونحن في خلوة مع أنفسنا وهي عارية عن كل شارة.. مستردة ذاتها من جميع أدوار التمثيل.. أو نتلفت أثناء صلاتنا خارج الحدود.. أو نغش في الامتحان رغم المراقبة المشددة.. أو نزور أوراق النقد الأدبية قصد تعويمها في السوق.. أو ننهمك في مخبإ سري على تجميل الحرام ليبدو حلالا.. وتخدير الحقيقة حتى لا تطارد الخيال وتنسف ما يشيده من محطات فضائية..

ومن المفاجأة ما يكون في حجم زيغ قطار عن السكة وهو ينطلق بأقصى سرعة ممكنة.. أو في حجم سقوط سقف على عروسين ليلة الزفاف.. أو في حجم تهشم قارورة الدواء وفيها الشفاء المأمول لمريض حالته شديدة الخطورة.. ضربات مباغتة يرافقها شعور بأن خللا ما قد حدث في نظام الكون.. وأن الأشياء فقدت قدرتها على التماسك.. وأن احتمال تبادل المواقع بين الشرق والغرب والشمال والجنوب أمر بات وشيك الوقوع.. من قلب المفاجأة نخرج حطاما أو مبهورين.. الحطام البشري كشظايا الزجاج المكسور.. يتناثر في كل الجهات.. ولم أجزائه عملية محفوفة بالمخاطر.. يدمي الأصابع أثناء تحسسها الباهض التكاليف.. ومن الهياكل البشرية ما تعني المفاجأة بالنسبة إليه مثل ما يعنيه سقوط حجر ثقيل على مرآة.. أو ما يعنيه إشعال النار في كومة من

تبن.. وتغوص المفاجأة في قلب الهيكل الهش وتغوص.. محدثة ما تحدثة قنبلة عنقودية تمتلك مئات الأمتار المربعة فور انفجارها الكريه.. لا شيء يمنعها ـ أي المفاجأة ـ من أن تميث فسادا في القلب والرئتين.. وتلوث مجاري الدورة الدموية.. وتشج الجمجمة.. وتذيب الخلايا.. وتفتك بالكريات البيض والحمر.. وتنحني بالعمود الفقري مرغمة إياه على ترك الانتصاب.. تظهر المفاجأة في لحظة لكنها تمتد في آثارها ربما لأعمار طويلة.. قد تبدأ عملها في جيل.. ولا تزال آثارها باقية في أجيال تالية..

ومن آثار المفاجآت ما يتناسل.. ويتوارث.. ويعيش عليه السلف.. ليضعه تحت فراش الخلف.. قد يلبسه الأب قميصا من صبار.. ليسلمه للإبن جلبابا من ندم.. لينحدر نحو الحفيد حذاء من نار.. سم نفثه أفعوان في ماء.. الماء ارتوت منه نبتة.. النبتة تغذى منها إنسان.. الإنسان اكتسب أمراض التسمم.. أورثها من انحدر منه.. لا نستغرب إذا جاء انتحار شخص بعد نصف قرن نتيجة لحادث مفاجىء يظهر اليوم.. أو ارتكب شخص جريمة قتل، لأن أحد أجداده غير المباشرين خسر كل ممتلكاته إثر ضربة مفاجئة من ضربات القدر.. أو مس إنسانا طائف من جنون، لأن جدة له ثانية أو ثالثة أو رابعة ألقت بصندوق الأوراق الرسمية لعقاراتها في أعماق البحر إثر نوبة غضب عارمة..

وأصل المفاجآت أنه لا يوجد في حياة الناس خط مستقيم.. يخيل إلي أن هذا الخط خرافة.. إلا إذا ارتسم على ورق أو أي مادة صلبة.. خطوط الحياة دائرية.. منحرفة.. منحنية.. ولا يوجد فيها الخط المستقيم.. لأنها لا طاقة لها على السير في هذا الخط.. وليس ذلك من طبعها.. لكونها متقلبة متغيرة.. ملولا تمضي وهي تدور حول نفسها وتتلفت..

تتلقى الدعوات من يمين وشمال.. وتعيد السير في الدروب المطروقة.. ثم لا تلبث أن تتحول عنها إلى منعطفات جانبية.. وتمديدها نحو الأشياء فتحيلها ثم تركبها من جديد.. وكما تنكسر أشعة الشمس.. وتتشنج سطوح المياه، ويضطرب اندفاع الموج، وتلتوي مسالك الرياح، كذلك تصنع حياة الناس.. أن الرؤية الجزئية القاصرة، ومن زاوية خاصة.. وضمن ظروف مانعة من الرؤية الشاملة.. هي التي توهم بعض الناس أن حياتهم تسير في خط مستقيم.. قد يكون الخط المستقيم يعني لديهم النقاء.. والاستقامة والنزاهة.. وقد يعني لديهم الجدية والعمل الدؤوب وتأسيس الحياة على أرقام ومعادلات لا تخطئ.. ولا تؤدي إلى نتائج متناقضة مع نفسها.. أو مع الوسائل المعدة لها.. الرؤية الجزئية لا تظهر الخطوط بامتداداتها الحقيقية.. وتفسير الخط المستقيم بأنه الاستقامة والنزاهة أو بأنه الحزم والجدية، أو بأنه بناء الحركة على أرقام ومعادلات لا تخطئ، إذا كان يعني برنامج حياة لا يتغير.. وأسلوب سلوك لا يتيه ولا يتحول.. فالخطر كامن في إخراج البرنامج من حيز النظريات إلى حيز التطبيق.. ضع أية فكرة موضع التطبيق تنجم لك عشرات المشاكل.. تفاجئك حالات قد تصيبك بالذهول والارتباك.. حفظ تفاعيل العروض غير الشروع في نظم الشعر.. وتحصيل قواعد النحو غير المغامرة بتأليف الكلم المحكم القويم.. وأخذ فكرة عن السباحة غير الصراع ضد الموج وجاذبية الأعماق.. وضع تصميم لعمارة غير رفعها فعلا..

ومفعول المفاجأة متوقف على الموقع الذي تجدنا فيه.. قد نكون في موقع المحور.. وقد نكون في موقع الهامش.. المحور عادة يتميز بشدة

الحساسية.. لأنه موضع ضغط أكثر.. تلتقي فيه كل شبكات الاتصال.. وتتجه نحوه جميع الأنظار.. وعليه يقع العبء الأكبر.. سواء عند الإرسال.. أو عند التلقي.. أما الهامش فهو الضاحية بالنسبة للمدينة.. والحاشية بالقياس إلى المتن.. والصلاة العامة كمدخل للصداقة الحقيقية.. وكثيرا ما يتبادلان المواقع.. فيصير المحور هامشا.. والهامش محورا.. الصديقة ترتقي إلى زوجة.. الزوجة تصبح مطلقة.. الأب يتقاعد عن العمل.. الإبن الأكبر يأخذ على عاتقه إدارة الأعمال.. اللاعبون الصغار في فرقة رياضية يأخذون مكان الكبار.. عندما يشعر هؤلاء بالإرهاق.. وانقطاع النفس.. الهامش لا بد أن يتأثر بالمفاجأة حين تحط على المحور.. كما يتصدع بناء نتيجة زلزال ضرب أرضا تبعد عن موقعه بآلاف الأميال.. وكما ترتفع درجة الحرارة في بلد إلى حد مخيف.. لأن تجربة نووية تم تنفيذها في أرض نائية جدا.. وكما تقع حادثة شرف في بلاد اليمن.. فتحمر لها عيون رجال القبائل في ديار نجد..

وقد تصادفنا المفاجأة ونحن في مركز القوة.. أو في مركز الضعف.. دق مسمار في حائط غير غرسه في قطعة لحم.. وصهر قطع الحديد غير تذويب قطع الجليد.. واصطياد بطة وديعة غير اصطياد وعل مشاكس.. الأشياء القوية لا تنفعل فقط.. بل هي ترد الفعل أيضا.. لها حائط خارجي يتلقى عنها الصدمات.. تملك الصمود للنزال.. ولا تسقط تحت الضربة القاضية إلا قليلا.. حتى احتضارها يطول.. كأنه حياة مضطربة فقط.. فإذا انهدت عاشت حياة الذكرى المجيدة.. ذكرى الأشياء المستعصية على الفناء الأشخاص الأقوياء من هذا القبيل يرتجون لبعض المفاجآت وقد

يتصدعون.. لكن كسورهم قابلة للجبر السريع.. لأن عظام شخصياتهم دائما شابة.. لا تعوزها مادة الكالسيوم.. وعمودها الفقري قوى الفقرات.. يمت بنسب إلى اصلاب ينزل منها أفضل نتاج.. تطير المفاجآت عن الشخص القوي كل شيء.. ولو بقي أساس شخصيته سليما كانت فيه الكفاية.. كشجرة طيبة احترقت أوراقها وأغصانها فتجددت قابليتها لتجديد الزي ومواصلة الاخصاب.. كنواة بعض الثمار.. يرمى بها مادة شبه ميتة، فيكون لها أحيانا بعث جديد.. وعود على بدء.. أحيانا يفاجأ الإنسان وهو في وضع حرج.. كمن يقف على رأس سلم مسرف الطول.. وتنخطف من تحته هوة عميقة تصيب بالدوار.. أو كمن يقود سيارة بسرعة جنونية في طريق مخوف.. أو كمن يمسك بشيء ثمين يخشى عليه من الأذى عند أية حركة.. إنها مواقف بالغة الدقة.. تختلف كلية عن مواقف الدعة وطول النفس والتمكن من تقدير الخطوات وقياس المسافات.. حتى الطويلة منها أحيانا.. ليس من يفاجأ وهو بين المطرقة والسندان.. كمن يفاجأ وهو بين يمين واسع الجنبات.. وشمال يتقلب فيه الشخص الملول لا يعيا به المتقلب الرحيب.. ولا من يفاجأ وهو يوصل خيطا نحيلا بخيط رفيع.. اتصالهما كاتصال وهم بوهم.. مهدد بالانفصال في الحين.. كمن يفاجأ وهو قابض على حبال مفتولة.. لو امتدت بين الأمس والغد، لعاش الحاضر بينهما مؤمن الجهتين..

اصعد من الحياة إلى الفن تجد المفاجأة من مراكز توليد الطاقة داخل العمل الفني.. من نقاط التحول الحساسة فيه.. إحدى معالم الذكاء المخترع فيه.. عليها يعتمد الفنان في كسر الروتين.. ومنع وسائطه الفنية

من أن تتصرف دون استشارته طبقا لتجاربها السابقة معه أو مع فنانين آخرين.. وكأنها تتواطأ فيما بينها لاطفاء ومضاته والانحدار به نحو نهاية مأساوية.. ومن ثم فهو يزرع المفاجآت بين الجمل في الأدب.. بين الألوان في الرسم.. بين الأنغام في الموسيقى.. إذا كان أديبا احبط كل توقعاتك.. ائتمر بك ليوقعك بين الأضداد. طلع لك من حيث لا تتوقع.. وبصورة أبعد عن كل ما كنت تنتظر.. جعل طريقك بين المبتدأ والخبر ملتويا ذا جيوب خلفية.. اقحم بين الجملتين المتتابعتين أسباب الوئام تختلط بأسباب الخصام.. وضروبا من الشكوك وسوء الظن.. خلق من بعض الحروف سعاة بالنميمة.. وأعطى لبعض الألفاظ معاني لم تتعود عليها.. لكنها مع ذلك ـ أي الألفاظ ـ غير قادرة على رفضها.. ومنعها من حق السكن فيها.. ما دامت ـ أي المعاني ـ معها إذن خاص من طرف الأديب.. سمح به بناء على اعتبارات يراها جد مشروعة.. لكن عندما يكون الباعث على زرع العمل الأدبي بالمفاجآت رغبة في الإدهاش لا غير.. تجيء خدعة مكشوفة مبتذلة.. لا بد أن تكون المفاجأة من صميم الرؤيا.. من قلب الحدث الأدبي.. من موقع اصطدام الأديب بأشياء كثيرة في هذا الكون.. من الشرارات الذكية الناتجة عن هذا الاصطدام.. وإلا كانت حيلة سنمائية لجلب الانتباه.. عندما يدهشك الأديب لا بد أن يكون قد اندهش هو أولا.. سكر بالخمر التي يسقيك إياها.. سقته التجربة بالطول والعرض قبل ابتلائك ببعض مكارهها.. عانى من أهوال الأعماق قبل جرك معه إليها.. قدم إليك الجمر المتوهج في كفين تحرقتا حتى العظام.. لا بد أن يحدث ذلك فنيا على الأقل..

الذين لا تخترقهم المفاجآت انهوا حسابهم مع الحياة.. ليس عليهم ديون يكافحون لتسديدها.. ولا لهم مستحقات يسعون لتحصيلها.. لم يبق لهم وطر لا في بنك الأمل.. ولا في بنك الحب.. ولا في بنك الحكمة.. ولا في بنك الثقة.. سحبوا أيديهم من كل أنواع العملات.. ونسوا قواعد الحساب.. يمكن اقناعهم بأن عشرة زائد عشرة تساوي ألفا.. أو تساوي صفرا.. الإثنان شيء واحد.. سلم القيم في نفوسهم تحطمت كل درجاته.. وصار موضوعا بالعرض لا بالطول.. في وضع مقلوب.. مجرد شيء ملقى في إهمال لو قدم حطبا لنار الحقد الأعمى على كل شيء كانت فيه فائدة.. أولئك هم المنسحبون من معركة الحياة.. لوهن أصاب نفوسهم بالشلل.. وعمد لبرج مراقبتهم العقلية ففتح فيه ثغرات.. وكاد لشبكة جهازهم العصبي فأعجزها عن التوصيل.. كل البرقيات الواردة من الجهات الأربع تجدهم محصنين ضدها بكفاءة.. كل الإشارات اللا سلكية المرسلة من شتى الآفاق تتلاشى لدى اصطدامها بلا مبالاتهم المميتة.. لا كلمة حب تهز وجدانهم.. ولا فرحة نصر تدفعهم إلى الانخراط في نشيد جماعي.. ولا هم كبير يرميهم بخشية السقوط.. وفقدان اشياء ثمينة.. فمن فقد نفسه لا يبقى له شيء يخاف عليه.. وهل بعد نفسه وطر أعز ؟ ما دام الإنسان مستعدا للوقوع تحت تأثير المفاجأة فليحمد الله على نعمة لا تقدر بثمن.. نعمة امكان أن يندهش .. أن ينبهر.. أن ينشطر.. أن يصاغ من جديد.. أن يتحول إلى طفل.. إلى عاشق.. إلى هاو لطوابع البريد.. إلى فيلسوف أمام فنجان قهوة ساخن في صباح منعش.. أو أمسية رقيقة.. لا يفاجأ إلا من ينتظر.. لا زالت أمامه قضايا معلقة.. وأبواب مغلقة.. ومواضيع مرشحة لأن تطرق.. ومواعيد أهل لأن

تعقد.. وأمنيات جديرة بأن تنال.. يمتد المستقبل أمامه بمعناه الكامل. تستقبله النفس.. تذهب لملاقاته والحفاوة به.. وإلا ما كان لها مستقبلا.. لا أحد يستقبل مع تركه ينتظر.. مع نسيان كل المواعيد.. المستقبل عنيد.. شديد الاعتزاز بنفسه.. لا يطيق أن يأتي فلا يجد أحدا في استقباله.. لا بد من أن يتلقى إشمارا بأنه موضع انتظار لكي يأتي.. ويكون لإتيانه معنى إيجابي.. وإلا كان وصوله على هذا النحو ضربا من المستحيل.. لا بد من أن يبذل الحاضر جهدا.. وأن يتحرك خطوات رزينة إلى الأمام.. لكي يلتقي بالمستقبل.. فهذا الأخير لا يتحرك من تلقاء نفسه.. إذ ليست له مصلحة في ذلك.. الحاضر وحده هو صاحب المصلحة.. الذين لا يفاجئهم شيء حاضرهم كسيح.. مشلول.. عربته مثقوبة العجلات.. خزانه فارغ من بنزين الطاقة الحرارية.. ومن ثم كان مستقبلهم هو مستقبل الجثث.. في طريقها إلى التحنيط.. مستقبل المواضيع المنتهية.. متقدمة نحو التصنيف.. مستقبل القطع الأثرية.. طامحة إلى أن يكون لها موضع في المتحف.. مستقبل وثيقة الطلاق.. متحولة إلى سجلات محكمة القضاء الشرعي..

في المقابل يوجد مدمنو المفاجآت.. نصبوا لرصدها أجهزة التقاط دقيقة.. لو كانت همسا بين ورقتين على شجرة لاكتشفوها.. لو كانت تماجنا بين كلمتين في كتاب جاد لاصطادوها.. لو اطلت بين زهرتين نائيتين ما أفلتوها.. الحس منهم دقيق.. والشعور رقيق.. والذوق شمام هواء.. عامل أشبه ما يكون بالعاطل.. جاد أقرب ما يكون للهازل.. له عمق حكيم ومرح طفل.. يدخل بين شقي المقص.. يقف على رأس الإبرة أثناء انغراسها في القماش.. يخيم خلال الشك واليقين.. يندس بين

الشفتين عند انطباقهما إيثارا للصمت.. يحتل فراغ ما قبل الوعي.. وفضاء ما بعده.. ومسافة ما بين الطرفين.. يبدع ألوانا بدون اسماء.. ينقل انطباعا عنها لا غير.. يقوم بدور القابلة لأدق الخواطر وألطف الأخيلة.. يسهل الولادة العسيرة.. يكبر وليد المعاني على يده بطفرة رائعة.. يضرب للألفاظ أجمل المواعيد.. ويخلق للمعاني ألطف المناسبات.. ويحبب للنفس أرق المنى.. ويصحب الخيال في أروع الجولات.. متردد بين الهواجس.. هاجس يفتنه بساحر الكذب.. وهاجس يعابثه بأخف اللعب.. يجيء من قلب بعض القضايا الخاسرة.. يطلع من خسارتها طلوع زهرة من أرض محروقة.. طلوع الأمل من صميم اليأس.. والوجود من سلبية العدم.. الاكتشاف.. ثم الاكتشاف.. ثم الاكتشاف.. تلك مهمته الأساسية.. قد يكون من أبسط مكتشفاته شعرة بنية وسط غابة من الشعر الأسود.. لفظ حزين خلال حشد من الكلمات الضاحكة.. حرف قلق مغمورا في عشرات الحروف المتراصة.. معنى غير مقصود.. انفلت من بين معنيين كانا محط عناية.. كشماع نحيل هارب من مصباح كشاف.. جرت إثارته اثناء احتكاك المعنيين أحدهما بالآخر.. دخل بينهما كالشبهة وسط رأيين واضحين لينسحب في الحين.. هو مجرد احتمال قابل للتحقيق.. مجرد طيف شارد لم تثبت هويته بعد.. هذا الذوق يخلق من كل شيء نسخة للخاصة.. كي تبقى الصورة الأصلية للعامة.. عدو للابتذال رافض مقدما لكل الملابس الجاهزة.. يفضل أحيانا أن يكون قليل الأدب. على أن يكون مجرد محافظ على قواعد السلوك الشائعة بين الأذواق.. ديدنه أن يحفظ وينسى.. كي يتصرف بحرية.. بعيدا عن التوجيه والمراقبة.. يحيا زمنه لحظة بلحظة.. قد يكون بين اللحظة

وتاليتها فراغ.. أي لا زمن.. فيتخذ الذوق منه موضع مغامرة.. ليعطيه زمنه الخاص الطامع في اسم ملائم بعد ضيقه بأسماء الظروف المعروفة.. لا يشترط أن يعمل على مادة وفيرة ليحدث المفاجآت.. قد يعمل على خيط رفيع.. أو على مطلق وهم.. أو على ورقة ورد.. أو على ذكرى ابتسامة.. أو على قوس ظفر جميل.. أو على عطر خلق نبيل.. أو على همسة حب مختلسة.. رقة بعض الأشياء.. زائدة ذكاؤه اللامع.. وتحدث المفاجأة.. وعندما يقال عن أمر كل شيء.. ولا يبقى هناك زيادة لمستزيد.. ويصير الأمر في حكم المواضيع المفروغ منها.. يمسكه الذوق فيفاجئ به الجميع.. لا بد من أن يبذل جهدا أحيانا.. رغم مواهبه العالية.. كثيرا ما يضطر إلى تجديد موعد سبق أن فشل مرات سابقة مع أشياء مراوغة شبه رافضة للتحديد واللقاء المباشر.. وكثيرا ما تناط به المهام الصعبة.. اختلاس ثوب أميرة تنام في قصر مسحور.. ضبط طاغية في لحظة ضعف.. لم حبات عقد بعضها سقط في بحر.. وبعضها التقطته سابحات الطير.. وبعضها اختلط بزائف الجواهر.. والتشابه كبير.. وربما سأل كلمة عن سر.. فأحالته على معنى دقيق.. ليس له مقر ثابت.. ظهوره المفاجيء مسألة مزاج.. مزاجه صاحب نزوات.. نزواته اغلبها غير معقول.. فلما ظفر بلقائه بعد معاناة، نصح له بالتجسس على وسوسة بضعة أوراق.. الوسوسة كشفت له عن أن السر يسكن قلب وردة.. الوردة يتشابه.. البنت في نضج الأم.. لها نفس العطر.. ونفس الملابس والزينة وأسلوب الإغراء.. وأخيرا لم يعد بسر.. عاد بخيبة البحث عنه.. بكونه حام حوله.. ودخل مجاله العام.. دخول خيال مغامر مجال حقيقة ضائعة.. دون تحديد موقعها بالضبط.. وأحيانا يحدث الذوق المفاجأة

بأخف التكاليف.. وبطريقة غير مقصودة.. وعلى نحو أقرب ما يكون إلى المجان.. قد تكلفه جملة مفيدة بالبحث عن سر فشلها رغم كونها حاصلة على شهادة الإستقامة من أستاذ النحاة سيبويه.. وأثناء خدمته لها عثر بالصدفة على ثروة ساقطة بين كلمتين.. أو على أفق مخبوء خلف رفوف من حروف.. أو على مشهد غرام بين لفظين استمرا زمنا طويلا يوهمان الناس بأن تضادا بينهما قائم على تغاير في الطباع وأصل التكوين.. وربما وضعته المصادفة بين نظرتين متقابلتين.. احداهما تفرز العسل.. والثانية تلعقه.. فعاش بينهما حلما معسولا حلو الشمائل.. وربما كان عائدا من مغامرة جميلة فسقط في كمين اعدته بضع زهرات لأروع فتى يعبر السبيل.. ويحدث أحيانا أن يسمع لشكاة شفة ممزقة.. فيشغله خد مضرج.. أو يشاهد رقصة أملود على أنغام سحرية فيغتصبه معنى رائع قلب كل دواوين الشعر بحثا عنه.. وفي هذه اللحظة فقط كانت المفاجأة المذهلة.. وخرج المعنى من غلائله وملابسه التنكرية.. وبتلقائية مدهشة.. ليهب الذوق أمنية غالية كانت عزيزة المنال..

فاس		عبد العلي الوزاني

كتاب الإحاطة لابن الخطيب (القسم الأخير)

محمد ابن تاويت

الصفحة 380 جاء بيتان هكذا

كانت محادثة الركبان تخبر عن   محمد بن خطيب بأطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ماسمعت أذني   بأحسن مما قد رأى بصري

والصواب :

محمد ابن الخطيب أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت   أذني بأحسن مما قد رأى بصري

(بضم همزة أذن لا بفتحها.

الصفحة 381 جاء المصراع الأول لثالث أبيات هكذا :

متموج بحر الدموع بنجده

وعلق على الأخيرة بأنها في النفح «بخده» وهذا الصواب الواجب إثباته ولا معنى لغيره هنا. وفي أول المصراع الثاني للسادس تصحف «لاتنثني» بالشين بدل الثاء. وفي الثامن تحرفت «الصهباء» بالصبا. وفي الثاني عشر تحرف «بشوق» بمضارع «يشوق». وفي الرابع عشر جاء «حق»

والصواب ، أحق. وفي الخامس عشر «ضبط» أقبح للتعجب. بمضارع «أقبح» مشدد الباء. ولا يستقيم الوزن به. بله المعنى.

الصفحة 382 جاء أول البيت الرابع بها «فيصح» مضارعا من الصحو. والصواب أنه من الصحة. فهو بكسر الصاد وتشديد الحاء.

الصفحة 382 ضبط في المصراع الثاني لرابع أبيات «صبوحه بغبوقه» بضم أولهما. والصواب فيهما الفتح. وفي أول العاشر ورد «قصرت» بالتخفيف ولا يتأتى الوزن إلا بالتشديد. وفي الثالث عشر جاء «جراء» بالهمزة. ولا يستقيم الوزن إلا بإسقاطها. وفي آخر بيت بها ورد «مستوثق بنعوته ولعوقه» وعلق عليه بأنه في النفح (ينعوته ويعوقه) وليس كذلك بل فيه ـ وهو الصواب لا غيره ـ بيغوثه ويعوقه والكلمتان قرآنيتان «يغوث ويعوق ونسرا

الصفحة 383 جاء أول بيت بها «مرسله» بفتح الميم. ثم ضبط «يهدى» الثانية في المصراع الثاني. بفتح الياء. والصواب ضمها وفي أول المصراع الثاني من الثاني ضبط «وحقيقه» بضم القاف. والصواب الكسر. وفي أول الثاني من الرابع ضبط «أجاج» بفتح الهمزة والصواب الضم. وفي آخر تاليه ضبط سويقه» بضم السين والصواب فتحه. وفي آخر التاسع ضبط «فصيحه وذليقه» بالضم. والصواب الكسر. وفي تاليه جاءت «حصباء» بالهمزة. والصواب إسقاطها للوزن. وفي أول الثاني عشر ورد «فأديق» بضم القاف. والصواب ، وأذيق وبفتحها. ثم ضبط «صرفها» بفتح الصاد بدل كسرها. وفي أول السادس عشر ورد «علقت» بالتخفيف وفتح القاف. والصواب التشديد وتسكين القاف وأخيرا جاء المصراع الأول هكذا ،

وكـاد سوقي مذ لجأت إلى بابكم»

ولا يستقيم الوزن والصواب :

وكساد سوقي مذ لجأت لبابكم

الصفحة 384 جاء بالمصراع الثاني للبيت الثاني بها «حدا» بكسر الحاء ثم التنوين. والصواب الفتح ولا تنوين لكونه فعلا. وفي أول التاسع ورد «وتحية» بتشديد الحاء مفتوحة. وفي آخره ضبط «حديثه وعتيقه» بالضم فيهما والصواب الكسر. وأخيرا تحرف «تأنيقه» بتأليفه ثم جاء المصراع الأول لأول أبيات أخرى هكذا :

هواكم بقلبي لأحكامه نسخ»

وعلق عليه بأنه في النفح «محكمه». وليس الأمر هكذا فقط بل :

«هواكم بقلبي ما لمحكمه نسخ»

وإلا فلا يستقيم الوزن وينعكس المعنى رأسا على عقب. وفي السادس «بيناته» بسكون الياء، بدل كسرها مشددة.

الصفحة 385 أتى أول المصراع الثاني للرابع منها «قبح» بالفتح والتشديد وصوابه الكسر والتشديد. ثم جاء الثاني لتاليه هكذا :

«كما تندب الورق فارقها الفرخ»

بكسر الواو بدل الضم. والوزن لا يستقيم على كل، بل هو :

كما تندب الورقاء فارقها الفرخ

وفي المصراع الأول لثالث أبيات من أخرى ضبط «ان» المكسورة الهمزة بمفتوحها. وفي آخر رابعها ضبط «بطاء» بضم الباء بدل كسرها وجاء في التاسع «غني» بكسر النون، والصواب فتحها فعلا ماضيا. ولا يصح أن يكون أمرا والمخاطب مذكر هنا.

الصفحة 386 جاء بالبيت الرابع فيها «ظل» بضم اللام والصواب فتحها. فعلا ماضيا. وفي التاسع، ضبط «مبيضاء» بفتح الياء بدل كسرها وفي العاشر، تحرف «سودته» بالراء. وفي البيت الثاني عشر بها جاء «يبرأ» بالهمزة. والصواب إسقاطها للوزن.

الصفحة 387 جاء مصراع هكذا :

«فإذا كان لله فيه حظ»

صوابه :

فإذا كان فيه لله حظ»

وفي آخر السطر الخامس عشر جاء «خطابه» صوابه «خطبه».

الصفحة 388 جاء بالسطر الرابع عشر «أبو القاسمي» والصواب : أبو القاسم.

الصفحة 389 جاء بالسطر الثامن «الزنديه» والصواب «الرندية» بضم الراء. وفي الثالث عشر، جاءت «عبارات حكمه» والصواب : حكيمه.

الصفحة 390 جاء بالسطر الأول منها «منح» بالضم فالفتح. وفي السطر السابع جاء :

«أملاك معاهد كولابج هديل»

وهو غامض .

الصفحة 392 جاءت أبيات صواب «استودع» في أولها بهمزة وصل للوزن. وفي الثالث «يصير بتشديد الياء، وكذا منجم بتشديد الجيم وفتح النون ثم «فتصدق» بتخفيف الدال المضمومة. وفي الثامن «الورى» بدون لام الجر. وفي أول أبيات أخرى صواب «السلم» هو «السليم». بالياء. وفي ثانيها الصواب «جمرها» لا حجرها. وفي أول الرابع ورد «تتعبن» بالنون

المخففة. والصواب التشديد وآخره «طارقي» بالياء. كما في النفح لا بدونها.

الصفحة 393 سقطت حروف آخر السطر الثاني من «مثل». ثم جاء أول أبيات أخرى «ثم» بسكون الميم بدل تشديدها. وفي الخامس ورد ، وجاء أول المصراع الثاني للخامس «فبارك ربي» وعلق عليه بأنه في النفح «مولاناه وهو وإن أسعف وزنا فلا يسعف معنى. بل إن النفح - حسب النسخة التي بأيدينا - فيه «ربي» والكلمة واردة في القرآن الكريم «معه ربيون كثير».

الصفحة 394 جاء بالبيت السادس «بالقسم» مكسور السين. وفي أول تاليه «وأبلغن» بالنون المشددة والصواب «أبلغن» بدون واو ولا تشديد. ثم جاء «اللوى» بفتح اللام. وبعده «همت» بفتح الهاء والميم. والصواب الكسر فالتسكين. وفي آخره ضبط «غراما» بكسر الغين بدل فتحها. وفي آخر الثاني عشر. ورد «الحماما» بكسر الحاء بدل فتحها.

الصفحة 395 جاء آخر المصراع الأول من الثالث «ذره» بالذال والصواب الزاي. وفي الخامس ضبط «المبلى» بسكون الباء. والصواب فتحها. وتشديد اللام بعدها. وجاء أول المصراع الثاني للحادي عشر «يقطب» والصواب. «يقط». ثم للكؤوس. بلام الجر. لا بدونه. وفي البيت يليه صواب «غفرت» البناء للمجهول والتاء للتأنيث. لا للتكلم كما أثبت. وفي آخر ثاني أبيات أخرى ورد «عوضا» بالبناء للمعلوم. والصواب بناؤه للمجهول. وفي البيت يليه جاءت «لكن» مشدد .. والصواب تخفيفها. وفي البيت الأخير تشدد «فهمت» إشارة إلى قوله تعالى ، «ففهمناها سليمان» والبيت من سليمانيات ابن هذيل التجيبي.

الصفحة 396 جاء ثاني ثلاثة أبيات «وتعتنق» صوابه ، ويعتنق، بالياء. ثم جاء المصراع الثاني لرابع أبيات أخرى هكذا ،

«ولو هم لانقادت إليه السند والهند»

والصواب ،

ولو هم لانقادت له السند والهند

الصفحة 397 جاء أولها بيت تحرف أوله «ألا» الاستفتاحية بإلا الاستثنائية. وفي سابع أبيات أخرى، ورد «مسلما» وصوابه «مسالم»

الصفحة 398 جاء بالبيت الأول «بسحره». وعلق عليه بأنه في النفح «سحيرة» ولكن ما في نسختنا هو «بسحرة». وفي الثالث ضبطت «بليت» مفتوحة الباء، والصواب كسرها لكونها حرف جر. وفي آخر البيت الثامن من دالية ضبط «الصعدا» بفتح الصاد بدل ضمها. وفيما يليه تحرف «النؤوم» بالنوم. وفي آخر الحادي عشر ورد «وفدا» بسكون الفاء، ولا يستقيم الوزن بذلك. وفي الأخير ضبط «قددا» بضم الدال وهي بالفتح.

الصفحة 399 ضبط بالبيت الثالث فيها «جلنار» بكسر الجيم. وفي آخر السادس ضبط «بعدا» بسكون العين ولا يستقيم وزنه به.

وفي الثامن تحرف «جلت» بالحاء. وفي آخر الأبيات ضبط «محنة» بالضم بدل الفتح. وجاء المصراع الأخير ،

«والله ما كان ذاك مني سدى»

صوابه ،

والله ما كان ذاك منك سدى

وفي السطر الثاني عشر صواب «في العمل» بالعمل. وفي البيت الخامس من سينية، تحرف «أمنا» بأمنا. وجاء أول المصراع الثاني لسادسها

«لحنا» بضم اللام وتسكين الحاء، والصواب الفتح فيهما، وتشديد النون بعدهما.

الصفحة 400 جاء بالمصراع الثاني لرابع أبيات «ورأس قبيل الشمع» بفتح همزة رأس، بدل تسكينها، ثم «قبيل» بدل فتيل.

وفي أول أبيات خمسة ضبط «جرة» بتشديد الراء، والصواب تخفيفها وتسكين الجيم قبلها. وفي البيت يليه تحرف «إذ» باذا ولا يتزن البيت بهذه. وفي البيت الثالث ضبط «رأسها» بضم الهمزة، ثم تحرف «تجد» من الإجادة، بنجد من الوجود.

وفي البيت بعده ضبط «الندمان» بكسر النون، والصواب ضمها. وفي الأخير، تصحفت «غزالة» بالراء، ثم ضبط الحباب بالكسر.

ثم جاء أول ثاني أبيات «ولا تدفني» والصواب ، ولا تدفنني، بنون التوكيد الثقيلة. وفي البيت الثالث منها سقطت الهاء من «شاءه» هكذا :

«ورتب ضريحي كيفما شاءه الهوى»

الصفحة 401 ذكر في ترجمة يحيى الشنتوف أنه في الزيتونة «الشنتوفي» وعلق عليه وقد أثبته هكذا ، بأنه في نسخه الأسكوريال «الشنتوف». وهذا الوارد في الأسكوريال هو الصواب الواجب إثباته لاغيره. وفي السطر السابع ضبط «ثرثارا» بكسر الثاء الأولى. وفي الخامس عشر «السجلات» بفتح السين، بدل الكسر الصواب فيه. وفي الثامن عشر ورد وأحب به أرواحه» وهو لا يتضح معناه. وفي السطر الأخير جاء «ويحمل» بالباء بدل الياء للمضارعة.

الصفحة 403 جاء مصراع هكذا :

«إلي وللصبر عني دونكم حجبا»

ولعله ،

إلي وصبري عني دونكم حجبا

(بالبناء للمجهول، لا للمعلوم. كما أثبت)

الصفحة 404 ورد آخر هكذا ،

فلو بكيت دما من بعدكم

ولا يتم إلا بنحو ،

فلو بكيت دما من بعد بعدكم

ثم آخر هكذا ،

أوزعت بآخرها شكرا وأولها

ولا يستقيم إلا بإسقاط الباء من «بآخرها» والصواب في «أوزعت» تسكين العين وكسر الزاي وضم الهمزة، لا فتحها جميعا. ثم ضبط آخر وهو ،

أقبل مساءته وأحمد مسرته

بهمزة قطع في «أقبل» وكسر ميم «أحمد» والصواب الوصل وفتح الميم.

الصفحة 405 جاء بالسطر الثاني «أب الأمراء» بسقوط الدال من «أدب». وفي الرابع ضبط «هدى» بضم الهاء وفتح الدال والصواب الفتح فالسكون. وفي آخر السطر التاسع عشر، جاءت «ابنه» بهمزة قطع كالمعتاد في نحوه.

الصفحة 406 وردت فيها أبيات كتب في أول بيت منها «كل ماء» موصولة الكلمتين معا. وفي ثانيها ضبط «أذناى» بضم الذال. ولا يستقيم الوزن إلا بتسكينها. ثم كتب ثالث أبيات أخرى هكذا ،

ما رضيت حماك إذ باشرت جسمك حتى قبلت فاكا

والصواب انتهاء المصراع الأول بفعل «باشرت».

الصفحة 408 ضبط في البيت الثالث من أبياتها «مشيما» بكسر الياء. والصواب فتحها. ثم ضبط «سهم» بالضم والصواب الفتح. وبعده جاء المصراع الأول هكذا ،

«فها أنا وعزيز في نامسة»

ولا يتضح له معنى ولا يستقيم له وزن. ثم تلاه أول آخر هكذا ،

«ياحي عنره فتياكم بنازلة»

وهنا قد يستقيم بعنرة المنقوطة التاء. وجاء أول التاسع هكذا ،

«وبين أجفانه نهيف الأمير أبي»

ولا يستقيم هكذا ولا يتضح. وتلاه آخر هكذا ،

«سيف به ثل عرش الروم واطادت»

ولا يتضح. ثم جاء الرابع عشر هكذا ،

مؤيد من أمير المسلمين له هوى ورأى ومن سير له سير

وصواب الأول انتهاؤه «بله» وكلمة «هوى» غير واضحة المعنى هنا في الوصف بها.

ثم جاء المصراع الثاني للثامن عشر هكذا ،

«بيض السيوف وملتف للقنى شجر»

صوابه ،

بيض السيوف وملتف القنى شجر

وجاء البيت المشرون هكذا ،

على ساكبها للنقع أردية من تحتها جلق من تحتها زبر

وصواب المصراع الأول انتهاؤه هكذا ،

على سنابكها للنقع أردية

الصفحة 409 جاء المصراع الثاني للبيت الثالث بها هكذا ،

«والا سنة في هام العدا شرر»

صوابه ،

وللأسنة في هام العدا شرر

(بفتح الشين) ثم جاء أول السابع هكذا ،

«بحر من الخلق المسرود ملتطم»

صوابه ، ... الحلق (جمع حلقة أو اسم جمع له). وفي الأخير تحرف «نهره» بنصر. وتلاه أول آخر هكذا ،

«أم ابن الزبير ابن رذمير بداهية»

صوابه ،

«أم الزبير ابن رذمير بداهية»

وبعد جاء آخر هكذا ،

«لقد نفحت من التيجان في محم»

وهو مصحف لاشك، ولا ندرك ما يمكن أن يكون أصلا لمحم، ثم جاء الحادي عشر هكذا ،

خلعت درعا واعتضت الظلام بها وخاض بحر الوغى مركوبك الخطر

صوابه ،

خلعت درعك واعتضك الظلام بها

(ثم يضبط في المصراع الثاني «بحر» بالفتح، لا الضم وفي البيت الرابع عشر يضبط «ترضمه» بالتشديد للوزن «وبعده» وعابس للمنايا» وفي آخر السابع عشر. يضبط «وزر» بفتح الواو. ثم جاء بيت هكذا ،

قضتك من حمير صيد غطارفــة   فض الرجاجة عوص الدهر ينحبـر

وهو غامض لا يبدو صوابه. وأخيرا جاءت أبيات ثلاثة هكذا ،

ملثمـون حيـاء كلمـا سفرت لهم   وجوه المنايا في الوغى سفـروا
جـادوا بطعـن كأسمـاع المحاص   إلىضرب كما فغرت أفواهها الحمر
وحدت عنها محيــا مروعـــة   فضت بما مج في أحشائك الذعر

صواب المصراع الأول انتهاؤه بفعل سفرت، وصواب الأول من الثاني انتهاؤه بإلى، وتبقى «المحاص» على تصحيفها. والبيت الأخير مصراعه الأول. غير تام. وصواب «فضت» في الثاني «قضت» بالقاف.

الصفحة 410 جاء المصراع الأول للبيت الثاني منه هكذا ،

«قالوا نجا بذما النفس منك فما»

صوابه ،

قالوا نجا بذماء النفس منك فما

ثم جاء البيت الثالث هكذا ،

توزعن نفسا على حشيتها طنبا   للوساوس يدو جيشها الـسهر

وهو لا يستقيم وزنه ولا يتضح معناه.

وجاء المصراع الأول للسادس هكذا ،

«واهنأ بعيدك وافخر شانئيك به»

صوا به ،

«واهناً بعيدك وانحر شانئيك به»

ثم ورد آخر مصراع هكذا ،

«فمن بناك ونظمي هذه الدرر»

وهو لا يتضح. ولعله ،

فمنه ذاك ونظمي هذه الدرر

وفي أول بيت من أبيات أخرى ضبط «سرت» بضم السين وتشديد الراء. والصواب فتحهما ولا تشديد. وفيها الرابع والخامس هكذا ،

حث في اثرها الأمير بعقبان جياد هوت بأسد رجال

في صقيل البريك تحدث للشمس بعكس الشعاع حم اشتمال

والبيتان مدوران ينتهي مصراعهما في الأول عند الالف من «عقبان» وفي الثاني عند الميم من «الشمس» ثم يضبط «جياد» في البيت الأول بالكسر. كما يضبط السين بالسكون في «بالأسد» للوزن. وبعد هذا يضبط «صقيل» في البيت الثاني. بفتح الصاد وكسر القاف. ولا يبدو معنى في «البريك» به. وفي البيت العاشر يضبط «طلى» بضم الطاء.

الصفحة 411 جاء البيت الثالث هكذا ،

ما عرى الجدب أو علاالخطب سال غيثا ولاح بدر كمال

صوا به ،

ما عرى الجدب أو علا الخطب إلا

وجاء السابع هكذا ،

شيم كالغمام ينشر في الروض بأندا به صغار اللآلي

صوا به هكذا ،

شيم كالغمام ينشر في الرو ض بأندائه صغار اللآلي

وفي التاسع سقط نقط من «واق». ثم جاء المصراع الثاني للعاشر هكذا ،

أن ترى وأنت غاية الآمال

ولا يستقيم وزنه إلا بإسقاط الواو هكذا ،

أن ترى أنت غاية الآمال

وبعده جاء بيت هكذا ،

وهنيا بأن نهضت وأقبلت عزيز النهوض والإقبال

ضبط في المصراع الأول، الذي صوا به أن ينتهي عند اللام من أقبلت، «نهضت» بكسر الهاء، بدل فتحها. ثم جاء المصراع الأول للثالث عشر ،

«يافتى والزمان نعمى وبؤس»

صوا به ،

«يافتى والزمان نعمى وبؤسى»

وبعده جاء ،

«وبما تجزع النفوس من الأمر»

وصوا به ، «ربما ....» وينتهى المصراع عند الميم من «الأمر» والبيت مضمن يوضع بين القوسين وهو من لامية لابن أبى الصلت، أو أبى قياس اليهودي، أو ابن هرمة الأنصاري أو حنيف بن عمير، أو نهار بن أخت مسيلمة الكذاب.

وفي تالي البيت ضبط «أشياء» بكسر الهمزة، والصواب فتحها. إلحاقا للكلمة بالممنوع مع الصرف، كما في «لاتسألوا عن أشياء» بالقرآن.

وفي أول بيت من عينية الصيرفي الشهيرة، تحرف «الملأ» بالملك.

الصفحة 412 ضبط بالبيت العاشر «حنكة» بفتح الحاء بدل ضمها. وفي الرابع عشر، تحرفت الحلق بالخلق، كما تقدم بسابق الصفحات. ثم ضبط «صنع» بضم الصاد وتسكين النون، والصواب فتحهما. وفي البيت التالي كتب «والهندواني» هكذا : والهند وأني»، ثم ضبط «حلق» بتسكين اللام، بدل فتحها. وفي أول الثالث عشر ورد «الصمة» بفتح الصاد. وفي أول العشرين ضبط «خندق» بضم القاف بدل تسكينه، أمرا من الخندق، وبعده تحرف «ضربت» باضطربت، ولا محل له هنا.

الصفحة 413 تحرف في أول الأبيات «فيما» بالهاء بدل الميم، وكتب الذي يليه هكذا :

فإذا احترست بذاك لم يك للعـــــدا في فرصة أو في انتهاز مطمع

والبيت لاتدوير فيه، ينتهي مصارعه الأول بالعدا. وفي الرابع ضبط «التمكن» بفتح الكاف. وفي السابع «لبوسا» بضم اللام، بدل فتحها وجاء البيت الثالث هكذا :

«حارب بمن يخشى عقابك بالذي يخشى ومن في جود كفك يطمع

صوابه :

حارب بمن يخشى عقابك لا الذي تخشى...

وفي الخامس ... «وتمزع» بالزاي لا الراء .

وفي الثامن، ضبط واحتل بتشديد اللام بدل تسكينها. وفيه تحرف «توريها» بترويها. وفي التاسع . ورد «واقض» صوابها. و «أحفظ» . وفي العاشر ورد «فأمره» وعلق عليه. بأنه بالحلل «فنشره» وهذا أليق.. وفي الحادي عشر، جاء «ووراء الصدف الذي هو أمنع» صوابه ، «ووراءك ثم جاء البيت الرابع عشر هكذا ،

حتى إذا استمصت عليك ولم   يكن إلا شماس دايم وتمنع

والصواب انتهاء المصراع الأول بفعل «يكن».

وفي السابع عشر، ضبط «يثني» بضم الياء. بدل فتحها.

الصفحة 414 جاء أول بيت بها «أقصر الكمين» ولا معنى له ولا وزن. ولعله «أقم» ثم جاء المصراع الأول للبيت الرابع هكذا ،

«ثم انتهض بجمع من أحمدته»

وصوابه كما بالحلل «ثم اتئد... » وبعده بيت هكذا ،

«وبذاك تعتب إن تولت عصبة كانت ترفه الوغى وترفع»

ولا يستقيم وزنه ولا يتضح معناه هكذا . وصواب المصراع الأول هكذا ، «إياك تعتب...» كما بالحلل أيضا. ولا معنى لغيره. والمصراع الثاني صوابه «كانت ترجى للوغى وتدفع». ثم جاء أول الثامن هكذا ، «أنى قرعتم» وصوابه ، «أنى فزعتم».

وفي البيت التاسع تحرف «خفية» بالحاء. قال البكري ،

خفية غيضة متلفة   تتخذها الأسد عريسة

أتيا في ذلك ببيتين أحدهما للأعشى والآخر للأشهب بن رميلة. أما ما ورد في الحلل بنشرتها الأخيرة ... الا أساود خيفة» فلا معنى له.

ثم جاء المصراع الثاني لنفس البيت هكذا ،

«كل بكل عظيمة تستطلع»

وصوا به ما في الحلل بالطبعة المذكورة.

«كل لكل عظيمة مستطلع»

وفي الحادي عشر، تحرف «يصنه» بالباء. وفي الثالث عشر، تحرفت «منن» بمن. ثم جاء المصراع الأول للبيت الخامس عشر هكذا :

«ألا رعيتم ذاك وأحسا بكم»

وهو لا يستقيم وزنا وتستعصي إقامته. وفي آخر الثامن عشر، ضبط «سميدع» بضم السين. وفي البيت العشرين . تحرف «أشهم» بأشهر، على جوازه، لكن الأول أوفق.

الصفحة 415 جاء البيت الثاني بها هكذا :

لا يزدهي إلا سواك بها ولا إلا لغيرك بالسنان يقمقع

وصوا به :

لا يزدهي إلا سواك بها ولا إلا لغيرك بالشنان يقعقع

ثم جاء المصراع الأول للرابع هكذا :

«وكذاك للمير اقدام على»

ولا يستقيم وزنه إلا بنحو.

«وكذا يرى للمير اقدام على»

أو «وكذاكم» والبيت يتضمن مثلا يضرب. وربما كان :

«وكذاك شأن المير إقدام على أسد العرين الورد مما يجزع»

ثم تلاه بيت هكذا :

ولقد تقفاه الزبير وقد نجـــت الا فلولا وإن منه المصـــرع

ولا يستقيم المصراع الثاني لا وزنا ولا تركيبا. ولعله :

إلا فلولا نال منها المصرع

وفي البيت السابع ضبط «تذل» بالبناء للمجهول رباعيا. وصوابه البناء للمعلوم ثلاثيا.

الصفحة 416 في السطر السادس ضبط «طلق» بكسر اللام بدل تسكينها. وجاء المصراع الأول للبيت الخامس فيها. وهو :

«وحق هواك المستكن بأضلعي»

بضم «حق» وفتح «المستكن». وصوابهما الكسر. بواو القسم. وفي الثامن حرف «حر» بالدال. ولعل «ألف» قبله محرف من «أطف» بتشديد الفاء. جواب أمر قبله. وبعد هذا جاء بيت هكذا :

وخلت الدجى عذرا هابت سرى   العدا إلى تغطيني بسود الغدائر

صوابه :

وخلت الدجى عذراء هابت سرى العدا .....

الصفحة 417 جاء في أول بيت من أبياتها «يمشي» بفتح الياء. بدل ضمها. ثم جاء المصراع الأول للثالث منها هكذا :

«كما لطرد المحموم في هذيانه»

وهو لا يستقيم ولا يتضح. ولعله :

«كما ينطق المحموم في هذيانه»

وفي البيت الرابع ضبط «الخصم» بالكسر. وصوابه الفتح.

وفي أول بيت من بيتين آخرين. ضبط «نداء» بالضم. وهو بالفتح. مفعولا مطلقا. وفي السطر السابع عشر. سقط الواو. قبل : «عن أبي داود المقري».

الصفحة 418 جاء بالسطر الرابع «كثير الشمرة» صوابه ، كثير الشعر. ثم جاء ثاني أبيات بها هكذا ،

وسالت منه قبلة نشفي الجوى فأجاب عنها بوعد صادق

صوابه ،

وسألت منه قبلة تشفي الجوى فأجابني عنها بوعد صادق

ثم جاء المصراع الثاني للبيت الخامس هكذا ،

صبا كالمسك العتيق لناشق

صوابه ،

صهباء كالمسك العتيق لناشق

وبعده جاء المصراع الأول هكذا ،

«حتى إذا ما مالت به سنة الكرى»

ولا يستقيم وزنه إلا بإسقاط «ما» وجاء البيت التاسع هكذا ،

لما رأيت الليل ولى عمره قد شاب في لمم له ومفارق

والصواب إنهاء المصراع الأول بعمره. ثم جاء في الترجمة «ابن مجيره والصواب «ابن مجبر» بالباء.

الصفحة 419 ذكر في السطر الحادي عشر الجراوي. ووصف بالأعمى (كما سيوصف فيما بعد). ولا علم لنا بأنه عمي أيام يوسف ولا بعده. فلعل «الأعمى» جاءت خطأ أو غلطا. من ابن الخطيب أو المختصر لكتابه.

الصفحة 420 تكرر ذكر ابن مجبر بالياء في السطر الثاني منها. ثم جاء البيت الأول من أبيات هكذا ،

لم خطت الخيل العتاق كأنها   نشاوى تهادت تطلب العرف والقصفة

صوابه :

«.... تطلب العزف والقصفا»

وشددت «خطت» مبنية للمجهول. والصواب تخفيفها مبنية للمعلوم. وفي البيت الثاني ضبط «الحلا» بضم الحاء. والصواب كسرها. جمع حلية. ثم جاء المصراع الأول للثالث هكذا :

«فمن يفق كالطرس تحسب أنه»

مضبوطا «يفق» بضم الفاء. والصواب «يقق» بقافين. مفتوح أولهما. ثم جاء أول الرابع «وأبلق» بضم اللام. والصواب فتحها وفتح القاف بعدها. معطوفا على «يقق» في سابقه. وكذلك «ورد» أول الخامس. وقد ضبط بالضم. وجاء مصراعه الثاني هكذا :

«فإذا حازه حلى له الذيل والعرفا»

صوابه :

«فإن جازه حلى له الذيل والعرفا»

بفتح العين. لا ضمها كما أثبت. وكذلك ضبط أول السادس «وأقر» بالضم. وصوابه ما تقدم ممنوعا من الصرف. كنيره. وكذلك «وأصفر» أول المصراع الثاني منه. «وأشهب» أول الذي يليه. وفي أول المصراع الثاني من التاسع ضبط «تنف» بالتخفيف والصواب التشديد للوزن. وفي آخر العاشر ورد «ظرفا» بالطاء.

وفي آخر تاليه. يضبط «خشفا» بتسكين الشين. لا بفتحها. كما أثبت. وأخيرا جاء البيت هكذا :

تناوله لفظ الجواد لأنه متى   ما أردت الجرى أعطاكه ضعفا

والصواب انتهاء المصراع الأول عند «لأنه» . وضبط في السطر يليه «مدبرة» بضم الدال بدل فتحها. ثم جاء بيت هكذا ،

«أعلمتني ألقي عصا التسيار   في بلدة ليست بدار قرار»

ولا يتبين مصراعه الأول تماما.

الصفحة 421 ضبط في أول أبيات بها «محيطة» بالضم. بدل الفتح. وفي السطر السادس. تكرر ذكر ا بن مجبر. بالياء كذلك.

الصفحة 422 جاء الشطر الأول لثاني بيتين هكذا ،

«فحرام على امرىء يشاهد»

وهو ناقص لا يتم إلا بنحو «لم يشاهد.

وفي أول بيت من آخرين ضبط «حراك» بكسر الحاء. بدل فتحها. وجاء المصراع الأخير لثانيهما هكذا ،

«إن يشاء قال له كن فيكون»

والصواب ترك الهمزة أو وضعها على الألف مسكنة بجزم «إن» و بدون ذلك لا يستقيم الوزن والمبنى.

الصفحة 423 جاء بآخر السطر السادس «الدواة» وصوا به ، «النوي» وجاءت أ بيات أولها هكذا ،

رضاكم إن مننتم خير مرهوب   وما سوى هجركم عندى بموهوب

ولا يستقيم معناه في المدح. وصوا به ،

رضاكم إن مننتم خير موهوب   وما سوى هجركم عندي بمرهوب

و بعده آخر هكذا ،

لكم كما شيئتم العتبي وعتبكم   مقا بل الرضى من غير تثريب

ومصراعه الأخير لا يتم إلا بنحو ،

مقابل بالرضى من غير تثريب

وتلاه آخر هكذا ،

منوا بلحظ رضى لي ساعة فمسى أنال منه لدهري طب مطبوب

وصواب المصراع الأول انتهاؤه عند «فمسى».

وبعده ،

«فكم أثارت لي الأيام وابتسمت»

صوابه ،

فكم أنارت بالنون

الصفحة 424 جاء أول أبيات بها هكذا ،

يا أيها السيد الأعلى الذي يده حازت ندى السحب مسكوبا بمسكوب

وصواب المصراع الأول انهاؤه عند «يده» وتلاه بيت هكذا ،

فلو سألنا بلاد الله عن كرم فيها لكفيه والأنواء منسوب

وهو كما نرى لا يستقيم مصراعه الثاني على حال.

والبيت الذي يلي هذا مدور عند اللام من «الوزارتين» ثم لعل المصراع الثاني للخامس هكذا ،

ولو تواصل مكتوب بمكتوب

وحق «وصل» في البيت الثامن النصب لا الرفع. ثم ورد المصراع الثاني للبيت العاشر هكذا ،

«في بذل نصح لحفظ منصوب»

ولا يتم إلا بنحو ،

في بذل نصح لحفظ غير منصوب»

أو ـ مع اختلاف المعنى ـ

«في بذل نصح له لحفظ منصوب»

والأول أظهر. وفي أول البيت الذي يليه ضبط «موفق» بكسر الفاء، بدل فتحها. ثم جاء للثالث عشر هكذا :

«خصال قاطع دهره في التجاريب»

ولا يستقيم وزنه إلا بإسقاطالضمير من «دهره». ثم جاء الأول للخامس عشر هكذا :

لولا ارتكاب حسودي لأمر في ضرر

ولا يستقيم إلا بنحو :

«لولا ارتكاب عنولي مر في ضرر»

ثم جاء البيت السابع عشر هكذا :

فامنن بتفريج كربي بالرضا فإذا رضيت لم أك من شيء بمكروب

وصواب البيت انتهاء مصراعه الأول عند «فإذا».

الصفحة 426 جاء المصراع الأول لخامس أبيات بها هكذا :

«ولم أعتمد إلا الرجا وسيلة»

صوابه : «إلا الرجاء» بالهمز، وإلا فلا يتزن.

الصفحة 429 ورد ثاني أبيات هكذا :

وأراك اقتحمت ليلا بهيما مولجا منك ناقة في كوبة

بتشديد الواو من «كوبة» ولا شك أن الكلمة مصحفة هنا. وروى القصيدة أو الأبيات السبعة بالواو. ثم ان المعنى المطلوب لا يتحقق بها. وهو المقتبس من قوله تعالى : «حتى يلج الجمل في سم الخياط» إذن فالمطلوب من الكلمة التي صحفت هو سم الخياط أو نحوه والبيت الرابع

مدور بألف «الناس» والخامس بعين «الإعراب» . والسادس بقاف «العقل». وزيادة على ذلك فهو وارد هكذا ،

نسل الله حكمة تلزم العقل إلى   حشمة تحوطها المروة

وعلق على «تحوطها» بأنها وردت في الاسكوريال «تحوط». والتصويب من الزيتونة.

فالمحقق يرى أن ما أثبته من الزيتونة هو عين الصواب الذي صوب به، مع أن هذا لا يستقيم به وزن، فيكون ما بالاسكوريال هو الصواب وحده .

الصفحة 431 جاء مصراع ثان لأول أبيات ثلاثة بها هكذا ،

«تجارى في سبل الهوى وتهورا»

ولعل صوابه ،

تجرأ في سبل الهوى وتهورا

وإلا فإن وزنه لا يستقيم بتجارى. وفيها جاء بالسطر الثامن «المطبق» بكسر الباء بدل فتحها.

الصفحة 438 جاء بالسطر الخامس عشر «وكمال قال» والصواب «وكما قال».

الصفحة 442 جاء في السطر الحادي عشر، كلمة الخصال، ساقطة الالف الثانية.

الصفحة 447 جاء بالسطر السابع «بهذه الغرور» فلا شك أن إحدى الكلمتين محرف.

الصفحة 462 جاء ثاني أبيات هكذا ،

أهدتك من مشج الحجاز تحية   غاضت لها عرض الفجاج الفيح

صوا به :

«من شيح الحجاز تحية»

وعلق على «غاضت» بأنها في النفح «فاحت» وهذا هو الصواب الواجب إثباته ولا معنى لغيره هنا.

وفي البيت الثالث، تصحف «نيران» بتيران.

الصفحة 463 تحرف أول البيت الرابع بها «جاد» بإجاد. وفي البيت الثامن ورد «بني الشرى» صوابه «بها السرى» كما بالنفح. وفيها نون «وميضا» مع أنه تثنية وميض، فهو مرفوع بالألف مبتدأ بعد «لولا» وفي أول التاسع تحرف «رعشت» بوعشت، ولا يستقيم بهذا وزن ولا معنى. وفي الحادي عشر، تحرف «الخضيب» بالصاد. وفي الثالث عشر، تحرف «ليلي» بليلى ولا معنى لها هنا. وفي الرابع عشر، ضبط «مولد» بفتح الميم وتسكين الواو، والصواب ضم الميم ثم التشديد بالفتح. وفي أول الذي يليه، ضبط «رحمى» بفتح الراء، بدل ضمها، ثم ضبط أول مصراعه الثاني «وأمينه» بالضم والصواب الكسر.

الصفحة 464 جاء المصراع الأول للبيت التاسع هكذا :

حاشا وكلا أنت تخيب وسائلي

وصوابه :

حاشا وكلا أن تخيب وسائلي

وفي البيت الحادي عشر، تحرفت «حلبة» بالجيم.

الصفحه 465 جاء بالبيت الأول بها «فاذكرني» بوضع همزة على الفاء، بدل الفتحة. وفي البيت الثالث، تصحف «بحرية» بمجرية وجاء المصراع الأول للخامس هكذا :

«فخلتها الحمراء من شفق الضحى»

ولا يستقيم وزنه، وصوابه :

«فحلتها الحمراء من شفق الضحى

بضم الحمراء وفي البيت الثامن ضبط «القضب» بتسكين الضاد. ولا يستقيم بذلك الوزن. فالصواب الضم. وفي آخر الحادي عشر. ضبط الرند بضم الراء. بدل فتحها. وجاء المصراع الثاني للثالث عشر هكذا :

«إذا ما التحمتها العين عاقدت السهدا»

ولا يستقيم وزنه هكذا فيجب إسقاط «ما» وبذلك يستقيم. وفي أول السابع عشر ضبط «وآنس» بضم السين. بدل فتحها. وفي الأخير ورد «جلدا» مكسور اللام. والصواب تسكينه.

الصفحة 466 ضبط في البيت الثاني بها «عينا» بالتنوين. مع أن الألف للتثنية. وفي الثالث تحرف الخد. بالجد. ولا معنى له هنا وفي آخره ضبط «وردا» بكسر الواو. والصواب فتحها. وفي الثامن ورد «أهدى» والصواب اعجام ذاله. وفي أول الخامس عشر. ضبط «مخلف» بتسكين الخاء المخففة. والصواب تشديدها بالكسر. وفي الثامن عشر جاء «بطيبة» ممنوعا من الصرف. والصواب تنوينه للوزن وفي التاسع عشر. ضبط «يجلي» بتسكين الجيم. والصواب فتحها وتشديد ما بعدها. ثم تحرف «الفلف» بالقاف. وفي أول البيت العشرين. ضبط «قنب» بكسر النون بدل ضمها.

الصفحة 467 جاء البيت الثامن بها هكذا :

وعلة هذا الكون أنت وكل ما   أعاد وأنت القصد فيه وما أبدا

وصوابه :

وعلة هذا الكون أنت وكل ما   أعد فأنت القصد فيه وماأ بدا

والبيت العاشر ضبط «تجتلى» بالبناء للمجهول. والصواب كونه للمعلوم. وفي الذي يليه ضبط «لتشفي... وتهدى» بضم التاء والصواب الفتح فيهما. وفي تالي هذا. تحرف «ثبت» ببثت. مضمومة الباء مشددة الثاء المفتوحة. ثم جاء المصراع الأول للبيت الثالث عشر هكذا :

«فما عسى يثني عليك مقصر ولم»

وصوا به :

«فماذا عسى يثني عليك مقصر»

ثم تكون بداية المصراع الثاني «ولم».

الصفحة 468 جاء المصراع الأول للبيت الثالث بها هكذا :

«رضيع لبان الصدق فوق شمله»

بفتح الصاد. بدل كسرها. وبفتح شين شمله وتسكين الميم. والصواب. كسرهما. ثم تشديد اللام. ونقط التاء أخيرا. وفي المصراع الثاني. ضبط «وسدت» بفتح السين بدل كسرها.

وفي آخر البيت الذي يليه . ضبطه «تحدا» بتشديد الدال. والصواب تخفيفها. فهي من الحدو. وليست من التحدي. وفي البيت الثالث عشر. ضبط «العد» بالفتح والصواب الضم. وكسر عينه قبله. وفي الرابع عشر جاء «عثمان» غير مصروف والصواب صرفه للوزن. ثم جاء فيه «النجل» بالضم والصواب الفتح. وفي أول الذي يليه. ضبط «حموا» بضم الميم والصواب فتحها.

الصفحة 469 جاء بآخر القصيدة السالفة «التوى» بالثاء. والصواب كونه بالتاء المثناة. ثم جاء المصراع الأول من أول أبيات أخرى هكذا :

«ما على القلب من بعدكم من جناح»

ولا يستقيم إلا بإسقاط «من» الأولى. وفي نهاية البيت ضبط «جناح» بكسر الجيم بدل فتحها. وفي أول الثالث ضبط «جيرة» بالضم والصواب الفتح. ثم جاء المصراع الثاني للرابع هكذا :

«بعذلكم لا وفالق الاصباح»

والصواب :

«بعدكم لا وفالق الاصباح»

بكسر «فالق» على القسم بالواو. وليس مضموما كما أثبت. وفي أول تاليه تسهل همزة «ولو اني» للوزن. وفي البيت الثامن. تحرف «وفنائي» بوقبائي. والبيت العاشر مدور عند الغين من «مغفر». ثم جاء الثاني للثاني عشر هكذا :

«أو وميض قما عقيب التماح»

والصواب : ..... خبا .....

وفي آخر الصفحة ورد بيت هكذا :

ليل أنس دجى وأقصره ليل   جادبت برده يمين صباح

صوابه :

ليل أنس مضى وأقصر ليل   جاذبت برده يمين الصباح

وقد علق على «دجى» بأنه في الزيتونة «مضى» وهذا هو الصواب الذي يجب إثباته. وضبط برده بالضم. والصواب الفتح على المفعولية.

الصفحة 470 جاء أولها بيت هكذا :

صاح والوجد مشرب والورى   صفان من منتشر وآخر صاح

صوابه :

صاح والوجد مشرب والورى صنـــفان من منتش وآخر صاح

وفي البيت السادس، ضبط «الربوع» بفتح الراء بدل ضمها. ثم بكاء صوا بها الضم لا الفتح. ثم جاء المصراع الأول للثامن هكذا :

«سفحت فيه الدموع دما»

ولا يتزن إلا بنحو :

«سفحت فيه للدموع دماء»

وبعده البيت مدور عند الياء من «الليل» والصواب ضبط «سروا» في المصراع الأول، بفتح الراء لاضمها. ثم «وشمل» بكسر الشين، لا بفتحها. والبيت الثالث عشر مدور عند الراء من «الطرف» وفي البيت السادس عشر، ضبط «سبل» بضم الباء، بدل تسكينها للوزن. والأبيات الخمسة الباقية بالصفحة كلها مدورة، على التوالي : عند اللام الأولى من «الله». والثاء من «المثبت» (والرسل قبله، بتسكين السين، لا ضمها) وعند اللام من «العقل». وباقي المصراع الثاني غير مستقيم هكذا :

«العقل في أيها الحسان إلى الصحاح»

وكذلك البيتان بعده :

من جماد يقرأ وقمر يشق والماء من بنان الراح
دعوة الأنبياء منتظر الكمان دعوى البشير باستفتاح

الصفحة 471 حق البيت الأول فيها التدوير عند اللام من «الخلق» ثم جاء المصراع الثاني للثاني ناقصا هكذا :

«وسراج يهديه وصاح»

ولعله كلمة «عاجل» في الثاني من الثالث محرفة عن «عالج» والأبيات الستة بعده مدورة كلها باللام الأولى من «القلب» (ثم لا يستقيم باقي المصراع هكذا :

«قلب من بعد بالبرود القراح»

وتلا هذا بيت هكذا ،

«مدحتك الرسل يا خاتم الرسل فمن لي بعدها بامتداح»

فهو من السين وفي البيت بعده يضبط «درك» بفتح الراء للوزن . وتدويره عند القاف من «الحق» والذي بعده عند الواو من «الكون». ثم يضبط في الذي يليه «عدد» بفتح الدال. ويضبط «القطر» بفتح القاف وتسكين الطاء. لا بضمهما. وتدويره عند ألف «عاقب» وهو مفتوح الباء. فعلا. لا مضمومها. ودهر بعده مضموم. لا مكسور، وغدوه. بضم الغين والدال وتشديد الواو المفتوحة. وليس بفتح الغين وتسكين الدال وضم الواو. وتدوير الذي يليه عند الجيم من «يجزى» وكذا البيت الثاني عشر. مدور عند الميم من «يمحى». ثم يمد «قضاء» بإثبات الهمزة. لا بإسقاطها. ثم جاء المصراع الأول لتاليه هكذا ،

«لا لدنيا جنحت ألغ فيها»

ولا يستقيم وزنه ولا يستبين معناه، وكذلك لا يستبين البيت الخامس عشر. والبيت السابع عشر مدور عند الالف من «الناجع». ثم يضبط أول الذي يليه «يامجلي» بتشديد اللام وليس بتسكين الجيم. بل بفتحها. وباقي الأبيات الثلاثة بآخر الصفحة كلها مدورة عند اللام من «الكون» والتاء من «يتحف» مضموم الياء لا مفتوحها. وعند الراء من «الأرض»

الصفحة 472 ورد البيت الثالث بها هكذا ،

معالي بن أبي الحجـــاج ليث العدا وغيث السمـــــاح

ولعلـه ،

بمعالي محمد بن أبي الحجاج ليث العدا وغيث السماح

(فهو مدور عند الجيم الأولى من «الحجاج»).

وفي البيت التالي ضبط «سحبا» بضم الحاء، والصواب تسكينها للوزن.

وفي أول تالي هنا جاء «ومريد الجياد» ولعله «مزير».

ثم جاء بعده «يتلاعبن بالظلال» ولا شك أن الكلمة الأخيرة محرفة.

وبعد هذا «ياسراج النادى» ولا يتزن إلا بنحو «الندى».

والبيت الذي يليه مدور عند الباء الأولى من «عباس».

وفي العاشر ضبط «ظهرها» بالفتح بدل الكسر.

والأبيات الأربعة على التوالي من الثاني عشر كلها مدورة، عند اللام من «الملك» (والمصراع الثاني لا يستقيم وزنه).

ثم عند الألف من «سليمان» ولا يستقيم كذلك مصراعه الثاني.

ثم عند السين من «النسج».

ثم عند الذال الأولى من «الكذاب».

وبعدها جاء في البيت يليها «لكن» والصواب «لك».

ثم جاء بيت هكذا :

فأجره في الورى الجميل وعامل   منه كنز الغنى ومثوى الرياح

(وهو لا يستقيم ولا يتضح) . والبيت التاسع عشر مدور عند الراء من «الأرض».

وجاء البيت الأخير بالصفحة هكذا :

منشور الرأي مجمع الحفل مثوى   كل ذى ذمر وسيد جحجاج

(وهو لا يستقيم).

الصفحة 473 ينبغي أن تكون فيها الأبيات الأول والثاني والرابع والخامس والسادس والثامن والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر. كله مدورة هكذا على التوالي : «اللام من السلم» والألف من «النار والواو من «مذخورا» والصاد من «الفضل» والكاف من «الفكر» واللام من «الله» والسين من «الكسر» والحاء من «الاحداق».

وسوى هذا التدوير ففي البيت الثالث ورد «لا يغلس الخصم» فلا شك أن الفعل محرف عن غيره. ربما يكون «يغالي». والصواب كسر خاء الخصم.

وجاء المصراع الأول للبيت الرابع هكذا :

«أين نور الالدن عنصر النار»

وهو مصحف مكسور الوزن. وفي الثامن ورد «ارتجع» ولعله ارتجف» وبعده لعل «جهاد» محرف عن جهد. وإلا فلا يستقيم مع ما قبله. وفي الذي يليه «من عذاري» لعله : «مني عذاري» والمصراع الثاني لا يستقيم على ماهو عليه. وكذلك المصراع الأول من تاليه لا يستقيم. ثم الاولان من البيتين التاليين. غير مستقيمين.

وفي البيت الأخير من القصيدة. صواب «دهم» تسكين الدال. وبعدها «شهب» بتسكين الهاء.

الصفحة 474 في البيت الثالث منها ضبط «ظمن» بفتح العين بدل الكسر. وفي البيت السابع جاء «لبيته» والصواب «لبسة». بسكون الباء المخففة لا بتشديدها. والبيت الحادي عشر. ضبط فيه «يخبأ» بالتشديد والبناء للمجهول. والصواب التخفيف والبناء للمعلوم. وفي الرابع عشر

ضبط «أنفع» بالضم، والصواب الفتح. وفي الذي يليه صحف «يلملم» بالباء. وفي الذي يلي هذا ضبط «مفزع» بكسر الزاي، بدل فتحها.

الصفحة 475 ضبط في البيت الرابع بها «أسد» بضم السين والصواب تسكينها للوزن. وفي أول الخامس ضبط «اما» بفتح الهمزة والصواب كسرها. فهي للشرط. وبعده «ثوب» لا بالتاء. وفي السابع ضبط «كف» بالضم، والصواب الكسر. وفي التاسع ضبط «أنبوب» مرتين بفتح الهمزة. بدل ضمها. وفي الثالث عشر تحرف «وغدا» بواو الضمير.

الصفحة 476 في أول البيت الخامس ضبط «شمل» بفتح الميم، ثم ضبط «أقاحة» بضم الهمزة. وفي الرابع عشر ضبط «ترحاته» بكسر الراء . ولا وجه له. وفي السادس عشر ضبط «علمت» بكسر اللام المخففة. والصواب الفتح مع التشديد، والاسناد إلى تاء الضمير ثم ساجعة «بالفتح، مفعولا به. وليست بالضم فاعل «علمت» ثم الصواب في «جانحة» الفتح، لا الضم.

الصفحة 477 ضبط في البيت الثالث بها «حذر» بكسر الذال، والصواب فتحها. وفي السادس ضبط «محرب» بكسر الميم بدل ضمها وفي السابع ضبط «صاهلة» بالفتح، بدل ضمها. وفي العاشر ضبط «شواظ» بفتح الشين. بدل ضمها. وفي أول تاليه جاء «بذمايل السلب » والصواب «بذوابل السلب» بضم السين واللام، وليس بالكسر فالتسكين.

الصفحة 478 ثبت في البيت الأول «جلاده» وعلق عليه بأنه في النفح «جداله». وهذا هو الصواب، ليناسب «قدمت سالبة» بعد، ثم ماورد في الثالث من تمام المصطلحات المنطقية. وفي العاشر ضبط «ينقلن»

بكسر القاف، بدل ضمها. وفي الثاني عشر، ضبط «قضت» بالتخفيف، والصواب التشديد.

الصفحة 479 جاء أول البيت الثاني «متبتىء أناء» والصواب «متنبى»، بتخفيف النون، لا بتشديدها. وفي الثالث حق «نجْيْبَّة» أن تكون بالتاء المنقوطة، لا الهاء. وفي البيت الثامن ضبط «يدن» بضم الياء، بدل فتحها.

وفي ثاني أبيات لأخرى وردت «أجنا» بالامالة، مع أنها مهموزة الألف. وترك الهمز للضرورة. وفي الرابع حق «سحرة» ضم سينها، و «غوائص» فتح صادها. وفي البيت الأخير بها، حق «ترسل» أن تكون بالياء، مبنيا للمجهول، ونائب الفاعل «مشط» أخيرا.

الصفحة 480 جاء أول بيت بها «يحف» والصواب «يجف» بالجيم، وليس بالشين، كما ذكر المحقق. أنه كذلك بالنفح، وليس كذلك. ثم «جواهر» بالألف أخيرا. لموجب التنوين بالضرورة. وفي الرابع صواب «شماع» فتح الشين، لاضمه. وفي أول السابع، ضبط «لربع» بكسر اللام، والصواب فتحها. في جواب قسم. وفي التاسع ضبط «النهى» بفتح النون، بدل ضمها. وفي أول البيت قبل الأخير، ورد «تثر» وعلق عليه بأنه في النفح «تسير» والواقع أنه «تبر» بضم التاء وكسر الباء.

الصفحة 481 جاء أول الأبيات بها «وتجمع» بتشديد الميم، والصواب تخفيفها. وفي آخر البيت الثاني تصحفت «اسفنط» بالقاف وإسقاط النون. وفي الرابع ضبط «المجن» بضم الميم، بدل كسرها. وفي السادس سقطت الياء من «أهليها». وفي السابع تصحف «بؤسها» بالياء. وفي أول الحادي عشر، ضبط «أنمت» بسكون النون وفتح الميم، والصواب العكس فيهما.

وفي السادس عشر نقطت هاء «الشفاه» خطأ وفي أول تاليه ضبط «وأنست» بكسر النون وتسكين السين وفتح التاء، والصواب التسكين فالفتح فالتسكين. وفي تالي هذا ضبط «قدر» بتسكين الدال، والصواب فتحها. ثم ضبط آخره «والبسط» بضم السين، والصواب تسكينها.

الصفحة 482 ضبط في البيت الأول بها «يدخره» بتشديد الدال والصواب تخفيفها بالسكون، وفي آخر الخامس، ضبط «يعط» بضم الياء والصواب الفتح. وفي أول الثامن جاء «وطاعته» صوابه «وطاعنه». وفي الحادي عشر، تصحف «بجارح» منقوط الحاء وفي نفس البيت تصحف «الصماخ» بترك النقط للخاء، وبعد هذا ضبط «الحفاظ» بتشديد الفاء، والصواب تخفيفها. وفي الخامس عشر، تحرف «نضنضت» بالتاء وفتح الضاد وتشديد النون. ثم تحرفت «قناه بقتلى. وفي آخره ضبط «الرقط» بفتح الراء بدل الضم. وفي أول التالي لهذا، ضبط «وأسد» جمع أسد، بفتح الهمزة والسين، والصواب الضم فالتسكين. وفيه منع من الصرف «خزرج» وهو مكسور منون. ثم كتبت «بهاليل» مفصولة «بها» عن باقيها، كأنها جار ومجرور، وفي أول التالي لهذا، ضبط «جلادهم» بتشديد اللام، ثم صحف «رعاء» بالهاء، ثم العضاه وردت بالنقط للتاء.

الصفحة 483 جاء المصراع الأول للبيت الثاني هكذا :

«وربه نقص للكمال مآله»

صوابه :

وربت نقص للكمال مآله

وفي آخر بيت من القصيدة السابقة ضبط «عدم» بفتح العين بدل الضم وفي أول البيت الثالث من قصيدة أخرى، جاء مصراع هكذا :

«يذكر فيه الصبح عند انصداعه»

صوا به ،

يذكرنيه الصبح عند انصداعه

وجاء المصراع الثاني للبيت الخامس هكذا ،

«على أربع من حنين صبري أدراسي»

ولا يستقيم في وزنه ومعناه ومبناه وبعده جاء ،

«لك الله من ربي طواك على الظما»

وهو كالسابق والغالب أن «ربى» محرف عن «ربع». وجاء الثاني للتاسع هكذا ،

«أقول القلب ضاع ما بين جلاس»

وعلق على «القلب» بأنه في الزيتونة «لقلبي» وبهذا يستقيم الوزن والتركيب اما غيره فلا.

وفي أول المصراع الثاني من الثاني عشر جاء «ويعيث» صوا به ، ويعبث. وفي أول البيت يليه جاء «ياقلب» ولا يستقيم إلا بنحو «فياقلب... وفي أول المصراع الثاني منه جاء «لمن تشكى» بتشديد الكاف المفتوحة. ولا يستقيم إلا بنحو «لمن تشتكي...

الصفحة 484 جاء المصراع الأول للبيت الثالث بها هكذا ،

«لعمرك ما أرى وقد ثقف النهى»

وعلق على «أرى» بأنه في الزيتونة «ترى» وعلى كل فهو لا يستقيم به وزن. ولا يتضح به معنى. وفي البيت يليه ضبط «مدارة» بالكسر والصواب الضم صفة لشمول المرفوعة وفي البيت السادس ضبط «ومربع» بالضم والصواب الفتح بدليل «ومعهد» المفتوح بعده. كل ذلك كان

عطفا على «دار» المنصوبة برعى الله على البدلية. وفي الذي يليه جاء «كنقبة» صوابه : كنغبة، بالغين. وفيما بعده ورد «فلففت» بالتخفيف، والصواب التشديد وجاء الحادي عشر هكذا :

فؤادي غني بالوفاء وربما تسجل   في صبري وثيقه افلاس

وحق المصراع الأول انتهاؤه عند «وربما». وفي الثالث عشر ضبط «حف» بضم الحاء، والصواب فتحها، مبنيا للمعلوم لا للمجهول. وفي الرابع عشر، ضبط «وأعلق» بالتشديد، والصواب التخفيف. وفي البيت آخر القصيدة، ضبط «أبر» بالفتح، والصواب الضم على الخبرية. ثم جاء في البيت الأول من أخرى «وخيال» بالضم، والصواب الكسر على القسم. وورد البيت الثاني هكذا :

«لقد ضقت ذرعا بالشوق بعد بعدكم على أنني للنائبات صبور»

ولا يستقيم المصراع الأول إلا بنحو :

«لقد ضقت ذرعا شائقا بعد بعدكم»

وفي آخر بيت بالصفحة ورد «ثغير» مصحفا عن «تغير» بالمثناة.

الصفحة 485 جاء المصراع الأول للبيت الثاني هكذا :

ولا أنيني ما اهتدى نحو مضجعي

ثم جاء آخر للسادس هكذا :

وتبنيتم الوصل في روضة الرضى

ثم الأول للحادي عشر هكذا :

«يارحلة الصيف التي بجوانحي»

ولا يستقيم إلا بنحو :

فيارحلة الصيف التي بجوانحي

وبعده آخر هكذا :

«أحول منك الشهر حولا على الورى»

بضم الحاء.

الصفحة 486 جاء بعروض البيت الثالث منها «قضاه» والصواب «قضاءه».

الصفحة 487 جاء بالبيت الثاني منها «فمضلل» بكسر اللام الأولى. والصواب فتحها. وجاء في السابع «جنح» بفتح الجيم. بدل ضمها. وفي أول الثامن ضبط «بكرنا» بتشديد الكاف. ولا يتزن بذلك.

الصفحة 488 جاء بأول بيت فيها : «وقمنا نشادى» صوابه : وقمنا نشاوى... وفيه ضبط «غلب» بتشديد اللام مفتوحة. بدل تسكينها وفي آخره تصحفت «الخيس» بالحاء. وفي الثالث. صحف «بحلقة» بالياء. وفي السابع ضبط «أنكرت» بفتح التاء. والصواب تسكينها وفي الثامن تحرف «ذخر» بثغر وفي السطر العاشر. ضبط «أسلوب» بكسر الهمزة.

ثم جاء في أول بيت من قصيدة أخرى. مصراع هكذا :

«جز على واد الحمى لا محاله»

صوابه :

جز على واد للحمى لا محاله

ثم جاء البيت الثاني هكذا :

«وافض في تلاح نجد وقد جم بها الحمض واذكر زابقا له»

وصواب المصراع الأول :

وأفض في تلاع نجد وقد جم

(فهو مدور عند الميم الأولى. والمصراع الثاني غامض)

وكذا المصراع الأول لتاليه ينتهي عند الألف من «دارت» والبيت بعده ينتهي أوله عند الميم من «الأمر» وبعده ينتهي أوله عند الياء الأولى من «الحي» الذي تحرف بكلمة «الحمى» ولعل استجدت قبله محرفة عن «استفدت» بالفاء. وبعد هذا ينتهي أول مصراعيه عند الألف من «البان» وكذا الذي تلاه ينتهي عند الألف من «الرعي». وكلمة «المساء» في المصراع الثاني لا تستقيم إلا بالهمزة. وقد كسرت الميم منها. بدل فتحها. وفي البيت الأخير. ضبطت «خيمة» بكسر الخاء. ثم شددت ياء «ظميماء» وحقها التخفيف. وبألفها ينتهي المصراع الأول. ثم تثبت الهمزة التي يبتدىء بها المصراع الثاني هكذا :

«فهاتيك للقلوب حباله»

وفيه ورد «القلوب» بدل «للقلوب».

الصفحة 489 ينتهي المصراع الأول من البيت الأول عند الألف من «حالي» وصواب «تسل» فيه هو «تسأل» بالهمزة وبدونها ينخرم الوزن وجاء المصراع الأول للثالث هكذا :

«سال الماء والمزادة ملأى»

بضم الهمزة. والصواب فتحها. لكون الماء مفعولا بسأل المهموز. فليس من السيلان فهو هكذا :

«سأل الماء والمزادة ملأى ثم ما نال غير نفس مساله»

ولعل «يحتدى» في البيت يليه. بالجيم لا الحاء ثم جاء المصراع الأول للخامس هكذا :

«قسما أنه أخي ضنين وهب»

بفتح الهمزة في «إن» بدل كسرها، ثم شددت باء «وهب» وعلى كل فهو لا يستقيم ولا يتضح، وصوابه من حيث الوزن أن ينتهي عند «ضنين» ولعل «أخي» محرف عن «بخيل» هكذا :

«قسما إنه بخيل ضنين»

والبيت بعده مدور عند الألف من «نجاهاه» وكلمة «الورق» فيها صوابها ضم الواو، لا الكسر، كما أثبت. وتكسر تاء «بكت» قبله ولا تسكن. وكلمة «تبالة» في المصراع الأول من السابع، بالتاء المثناة، وهو موضع ورد ذكره في شعر لبيد. والبيت الثامن مدور عند الهاء من «المهر» وفي التاسع جاء «كل حوله» ولعله «كل حول» وبذلك يستقيم الوزن. ولعل «استحم» في البيت بعده، صوابه «استجم» بالجيم.

وبعده بيت هكذا :

«فالسكان راحة وللأماني   لليالي شرابة أكالة»

وهو لا يستقيم، وخصوصا بتشديد السكان. وبعد بيت جاء آخر غير مستقيم هكذا :

«وكسا من نمارق السندس المخضر ذهنا بالحيا ورساله»

والبيت مدور عند الخاء من «المخضر» ولعل «دهناه» صوابها دهناء. وتبقى أخيرا كلمة «رساله» لا محل لها هنا. وفي أول البيت التالي حق «يالقومي» فتح اللام، لا كسرها. وانتهى البيت هكذا : «أنين ماله» وهو لا يستقيم وزنه ولا يستبين معناه. وفيما يليه ورد «وبلى البصر» وهو غير واضح. وفي آخر تاليه جاءت «بلالة» بكسر الباء بدل فتحها. ثم جاء بيت هكذا :

«كان أولى له الاباية والعز   فيابوس ما ارتضى لولي آله»

والبيت مدور عند الزاي الأولى من «العز» وهو بالضم، وليس بالفتح. ونهاية البيت بـ لولي آله» لا تستقيم ولا تتضح وكذا البيت بعده مدور عند الميم من «هملج» ويضبط «مركب» قبله بالتخفيف. وليس بتشديد الكاف وبضم الميم وفتح الراء. بل بفتح الميم وتسكين الراء.

الصفحة 490 ورد البيت الأول بها هكذا :

«بسمت أقحوانة وتثنت بانة   ثم لاحظتني غزاله

وحق المصراع الأول أن ينتهي عند «وتثنت».

وجاء المصراع الثاني للبيت الثاني هكذا :

«ان تخلصت فدونك ماله»

وهو لا يستقيم. وتلاه بيت هكذا :

أخبر الخابط المدوم نشكو   أظهر العيس جمله وفصاله

وهو كما نرى غير واضح. وقد ضبطت همزتا «أخبر» و «أظهر» مكسورتين وفي البيت الأخير جاء «نتن الغي» والغالب أنه محرف ثم جاء في البيت الأول من أخرى «سيمه» ولعلها «سيمتنا» أو «شيمتنا» بالشين. وفي الحادي عشر منها ضبط «محرمه» بالتشديد وفيما بعده جاء «فتركها» صوابها «فنتركها».

الصفحة 491 جاء المصراع الأول للبيت الثاني بها هكذا ،

«أبا عبد الله فدتك نفس»

صوابه :

أبا عبد الإله فدتك نفس

ثم جاء الثاني لتاليه هكذا ،

«أبلته الليالي المستملة»

ولعل «قد» سقطت قبل «أبلته» التي تسهل همزتها هنا. وفي تالي هذا صواب «ادكار» النصب للاستثناء. وقبل البيت الأخير جاء مصراع هكذا ،

«وما حلني بفخرك في صريح»

بتشديد «حلني» وعلى كل فالمصراع غير واضح معناه ولا مستقيم مبناه ، ثم جاء البيت الأخير ،

ودمت مجمعا شمل المعالي ومقتاد أمن الدنا شمله

ضبط «مجمعا» بسكون الجيم. ولا يستقيم الوزن إلا بتشديدها. ولعل المصراع الثاني هكذا ،

«ومقتادا من الدنيا...

ثم جاء المصراع الأول من قصيدة أخرى هكذا ،

«أسائلكم هل من خبير سلوان»

ولا يستقيم إلا بنحو ،

أسائلكم هل من خبير بسلوان

وجاء الثاني للثالث هكذا ،

«هان على المرتاح ما لقي العاني»

ولا يستقيم إلا بنحو ،

لهان على المرتاح ما لقي العاني

ثم للرابع هكذا ،

«كما خلق فوق الخصر معقد هيمان»

وهو لا يستقيم، وخصوصا مع تشديد «معقد» ولعله :

«كما حل فوق الخصر معقد هميان»

وفي الذي يليه ورد «مرت» ولعله «مر» بدون تاء إذ يتكسر بها الوزن. وفيما يلي هذا ضبط «ذات» بالكسر، وصوابها الضم، ثم جاء :

«وأرق عيني الأسى يبعث الأسى»

صوابه :

وأرق عيني والأسى يبعث الأسى

ثم كلمة «مطوقة» حقها الضم على الفاعلية، فليست منصوبة. وصواب «نامت» ناحت، بالحاء، وبعده جاء «يشكو العفاء رسومها» بضم العفاء وفتح الرسوم، والصواب العكس. وبعده جاء ثان لآخر هكذا :

«تقرى وشك البين مني بقربان»

بتسكين القاف، وتشديد كاف «وشك» ولعله :

تقرب وشك البين مني بقربان

(تقرب ماضيا فاعله «وشك البين»)، وقبل البيت الأخير جاء المصراع الثاني هكذا :

«رماني بدرهم بالك سهمان»

وهو غاية في الكسر والتصحيف، ثم جاء آخر من الأخير هكذا :

«فلا تنل فقدي بأحمد بن سليمان»

وهو لا يستقيم ولا يفهم.

الصفحة 492 جاء في البيت الثاني «بثار» والغالب أنه محرف عن «بثان»، يدل على ذلك ما بعده، وما قبله.

وفي الثالث تحرف «فتخرموا»فتحرموا، وما تقدم وارد في مرثية

الهذلي لأبنائه الثلاثة حيث قال ،

«فتخرموا ولكل جنب مصرع»

وفي السابع تحرف «بالشاحط» بالساخط، ثم جاء البيت التاسع هكذا ،

فلو شمرت نفسي فإنني لشاعر به   يوم أرداني لشمرت أردان

وصواب المصراع الأول انتهاؤه عند «لشاعر» على أن يكون «فإنني لشاعر» أو يكون «فإني شاعر» بدون لام. وما بعده لا يتضح تماما. وفي الحادي عشر. ورد «وادع» بالضم، والصواب الفتح. وصواب «أن يلقى» بالفاء لا القاف. «والفان» بكسر الهمزة، لا فتحها كما أثبت. وفي الثاني عشر. جاء «خفق» بالتخفيف. ولا يستقيم الوزن لو صح. وجاء آخر البيت الخامس عشر «إثنان» بهمزة قطع. وجاء السابع عشر ،

«وليل بقبابي محلة قلعة   أهدرته في ترض على مان»

وهو لا يستقيم ولا يتضح.

وفي البيت الحادي والعشرين منها. جات «مدامعي» بالأعجام. ولعل «فأورت» بعدها محرفة عن «فأوردت». على ما فيه.

الصفحة 493 جاء أول بيت بها هكذا ،

وقد دان قبل اليوم دمعي خالصا   ولكن أمهلني على الدمع ادمان

ولعله هكذا ،

وقد كان قبل اليوم دمعي خالصا   ولكن إدماني على الدمع أدمان

(بفتح الهمزة. لا بكسرها. من الدم) . وجاء المصراع الأول للثالث بها هكذا ،

كسا لحدك الريحان والروح والرحا

ولا شك أن فعل «كسا» اتصل به فاعله، ولا يبدو للكلمة الأخيرة وجه. وفي آخر البيت ضبط «ريحان» بكسر الراء، بدل فتحها. وجاء البيت الخامس هكذا :

وما كان إبراهيم إلا حديقة من الفضل توتي أكلها كل إنسان

وصواب المصراع الأول انتهاؤه عند «حديقة» بالفتح لا بالكسر. وبعد جاء الأول من الثامن هكذا :

«قراه عليها من نعيم ونضرة»

ولعل صوابه :

فآه عليها من نعيم ونضرة

ثم جاء تاليه هكذا :

«ذكتك والأيام سلم وشملنا»

وصوابه :

«ذكرتك والأيام سلم وشملنا»

وجاء المصراع الثاني لتاليه هكذا :

«وللآسة النحاتي زبذ آذان»

وهو في غاية التصحيف. وفي آخر البيت الثاني عشر. ورد «ظنان» ولعله «ظمآن» وجاء الثاني للثالث عشر هكذا :

«ألا كل مرعى تعده غير سعدان»

وهو متضمن لمثل معروف. ولكنه لا يتسقيم وزنه بتعده، فلا شك في تحريفه.

وجاء الأول للخامس عشر هكذا :

«وثيران ضللت الفضل يوم استفادة»

ولا شك أن «وثيران» مصحف أو محرف ولا يستقيم البيت إلا بنحو :

«فاما ضللت الفضل يوم استفادة»

وفي البيت يليه ضبط «ذرت» بالتشديد. ولا يستقيم الوزن إلا بتخفيفها. وجاء الأول للثامن عشر هكذا :

«شهلم شوى الردى فتجملوا»

ولا يستقيم وزنه ولا يتضح معناه، وجاء الأول للعشرين هكذا :

«وما أكتب اللقا وان بعد المداء»

ولعله :

«وما أقرب اللقيا وان بعد المدا»

وجاء البيت الأخير بها هكذا :

«ويممتم دار النعيم وأنني لأشقى فيا بؤسي بسكان نعمان»

وصواب المصراع الأول انتهاؤه عند «وانني».

الصفحة 494 في البيت الثاني منها ضبط «ولا عار» برفع الراء. والصواب البناء على الفتح، وبذلك يتأتى الوزن، لا بالأول. وجاء المصراع الثاني للرابع بها هكذا :

«فرب قياس كان اجلاء لبرهان»

ولا يتأتى وزنه إلا هكذا :

«فرب قياس كان اجلاء برهان»

أو «... اجلا لبرهان» بإسقاط الهمزة. وهنا أظهر.

وفي البيت السادس ضبط «غمد» بضم الغين بدل كسرها. وجاء البيت الحادى عشر هكذا :

وغادرت القصر المشيد بناؤه بسنداد قفرا بلقعا بعد عمران

والصواب إنهاء المصراع الأول عند «بناؤه». وفي البيت يليه ضبط «الخورنق» بضم الخاء بدل فتحها. وفي آخره. ضبط «شعب بوان» بضم الشين. بدل كسرها. ثم جاء مصراع هكذا :

«ومحتقر ماضي الذ با بين في الوغى»

ولا شك في تحريف «محتقر».

وفي البيت السابع عشر ضبط «مسهد» بسكون السين. والصواب فتحها وتشديد ما بعدها بالفتح. وجاء المصراع الأول للتاسع عشر هكذا :

«ومهما تساوى طنيب ومقصر»

ولعله :

«ومهما تساوى مطنب ومقصر»

بتشديد الصاد. لا بتخفيفها وتسكين القاف قبلها...

الصفحة 495 جاء المصراع :

«نصيبي منها حسرة كونها مضت»

بضم الحسرة مضافة إلى الكون. والصواب فتحها وضم كونها. وفي البيت التاسع ضبط «لحن» بفتح اللام بدل ضمها. ثم جاء الحادي عاشر هكذا :

وقد كنت يهدى المروض طيب شمايلي ويمرح غصن البان بين ثياب

والصواب انتهاء المصراع الأول عند «شمايلي» على أن «المروض» مصحف ولا يستقيم به وزن ولعله : «الروض» . وفي أول البيت الخامس

عشر. ورد «ويا آله العهد» وعلق عليه بأنه في الزيتونة «ويا بانة». وهذا هو الصواب الواجب إثباته ولا معنى لغيره. ثم جاء بيتان هكذا :

كأني بذات الضال من فتى   تذكر فيها اللهو بعد ذهاب
تقول اذكري بعد ما بان حيرتي   وصوح روضي واقشعر جناب

فالأول لا يتم «بمن فتى» والثاني لا يستقيم إلا بنحو :

«تقول اذكريني بعد ما بان جيرتي»

بالجيم لا بالحاء .

الصفحة 496 جاء المصراع الثاني للثاني من أبياتها هكذا :

«حث في وجوه المادحين تراب»

ولا يتم هكذا

وجاء الأول للخامس هكذا :

«ولا برحت تهفو لعهدك الصبا»

ولا يتم كذلك.

وجاء آخر لتاليه هكذا :

«سواى يردع الدهر أو يستفزه»

ولعله :

«سواى يروع الدهر أو يستفزه»

في التالي بهذا ضبط «يثني» بضم الياء. والصواب فتحها. وفي الرابع عشر ضبط «ولكن» بالتشديد ولا يستقيم إلا بالتخفيف ويضم ما بدعها. ثم جاء مصراع هكذا :

«يقولون لي حتى م تندب فاسا»

ولا يستقيم الوزن.

الصفحة 497 جاء المصراع الأول لثالث أبيات هكذا :

«والليل سلك درة ساعاته»

ولا يستقيم، بإضافة درة إلى ساعاته. ولعله : «درساعاته» مبتدأ وخبر.

الصفحة 498 تصحف في البيت الرابع بها «دموعي» بدمرعي» وفي السابع. ضبط «سحبا»بضم الحاء. ولا يستقيم الوزن إلا بسكونها. وكتب البيت :

أنا جفني القريح يروى عن الأعـــــمش والجفن منك عن مكحول

كأنه نثر. وفي البيت العاشر، ضبط «بريد» بالضم. مع أنه مضاف إليه. وفي نهايته تحرف «مريد» ببريد. وجاء مصراع بعده هكذا :

«من واصل الجوع لا لرياضة»

وصوابه :

من واصل للجوع لا لرياضة

الصفحة 499 جاء أول مصراع فيها هكذا :

أشكو إلى الله الصبر من أبناء يعقوب»

ولا يستقيم وزنه، إلا بإسقاط «الصبر» فيه وجاء آخر بالبيت الرابع هكذا :

«فليس الحياء والله أصبحت من عام»

ولا يستقيم وزنه إلا بإسقاط همزه الحياء.

وفي البيت السابع. تحرف «ودرواه» . ثم البيت الثامن هكذا :

قالوا الفتى حلو فقلت نعم طلعت حلاوته على القلب

صوابه : «فقلت لهم» وبهذا ينتهي المصراع الأول، ويبتدى الثاني بطلعت... وفي آخر الصفحة كتب البيتان :

بأبي ظبي غزاني   مستبيحا شرح صدري
فأنا اليوم شهيد الحـــــــــب من غزوة بدر

كأنهما نثر.

الصفحة 500 ضبط بالبيت الأول فيها «لماه» بكسر اللام بدل فتحها. ثم جاء البيت الخامس فيها هكذا :

يا سالكي بخلال تهدى   إلى الفكر خيره

وصوابه :

يا مالكـــي بخـــلال   تهدى إلى الفكر حيره

وفي البيت السابع فيها، ضبط «سقم» بفتح القاف. ولا يستقيم الوزن إلا بالتسكين. وتلاه بيت هكذا :

يامن رآني أشفق لما حل بي   ويلبس مخيوط على ذى النحول

وهو لا يستقيم وزنا ولا يتضح معنى. وبعده :

«إن شمس الدين مخبر الملوك»

ولا يستقيم وزنه. وفي آخر الأبيات فيها، ضبط «الحسن» بضم فسكون. والصواب الفتح فيهما.

الصفحة 501 جاء البيت الثانى بها هكذا :

حكى فرس الشطرنج طرفك لا يرى   ينقل من بيضاء إلا إلى حمرا

برفع «فرس»، وفتح الطاء والفاء من «طرفك»، ثم فتح الياء وتخفيف القاف من «ينقل»، وصرف «بيضاء» والصواب فتح سين «فرس» على المفعولية، وكسر طاء «طرفك» وهو مرفوع على الفاعلية، ثم تضم ياء «ينقل» وتشدد القاف منه. للوزن، وتمنع «بيضاء» من الصرف، وبذلك

يستقيم الوزن، لا بصرفها. اللهم إلا إن سهلت همزة «إلا» ولا موجب لصرف مالا ينصرف، وقد تأتى منعه من التنوين.

ولعل «بشيبته» في البيت الرابع فيها محرفة عن «بشيبة» وإلا فلا يتزن البيت بتلك.

الصفحة 502 ورد فيها هذان البيتان :

عند رأس المزاد عادني السهد ولم تغن حيلتي واجتهادي

حسبي الله كيف يبرأ سريعا سهر عن صداع رأس المزاد

فالبيت الأول مدور عند الهاء من «السهد» وفي البيت الثاني تسقط همزة «يبرأ» ليتأتى الوزن. ويضبط «سهر» بكسر الهاء لا فتحها ثم تضم صاد «صداع» ولا تكسر كما أثبت، وفي آخرها جاءت أبيات هكذا :

ذهـب الألـى كانـوا نجومـا للـورى فالكـون مظلـم

وتذاكـر النـاس الحديـث الحـق وافتقـد العلـم

أنـا كاتـب السلطـان ما طالعـت كتـاب مسلـم

فالبيت الأول مدور عند الواو من «نجوما» والثاني عند الياء من «الحديث» والمصراع الأول من الأخير ينتهي عند «ما» ويبقى المصراع الثاني غير تام الوزن، كأن يكون.

«طالعت قط كتاب مسلم»

الصفحة 503 جاء أولها باقي الأبيات هكذا :

الا سخاما قادحا في الديـن والله المسلم

والبيت لا تدوير فيه وحق مصراعه الأول انتهاؤه عند «قادحا» وفي البيت الأول من أبيات أخرى ضبط «دجنته» بتسكين الجيم وفتح النون مخففة، والصواب ضم الجيم وتشديد النون المفتوحة. وفي

ثاني بيتين بعدها . ورد «معتب»، وصوابه ، «يعتب» فعلا. وفي السطر العاشر ضبط «اطرافه» بكسر الهمزة، بدل فتحها. وفي البيت التاسع بها، يجب ضبط «وقيت» بالتشديد، ثم يسكن قاف «سقمك» للوزن في كليهما» وفي البيت يليه، حرف «عجب» بعجيب، إذ لا يستقيم الوزن بهذه.

الصفحة 504 جاء في البيت الثاني «السقم» بفتح القاف، والصواب تسكينها. وجاء المصراع الثاني للبيت الثالث بها هكذا ،

«وكل محب في الكمال مشتاق»

وهو لا يتم بهذا. وفي البيت السادس يجب ضبط «غصبت» بالبناء للمجهول والتاء ساكنة للتأنيث ويصحح «أبا الحسن» بالواو، لكونه فاعلا بقضى، وفي آخر البيت السابع، يضبط «عقبة» بفتح العين. وفي البيت الأخير بها يجب كسر همزة «ان»، وقد علق على البيت بأنه ورد في النفح والزيتونة ،

رأت بكفك اعتبار بأس وندى ما أن يبارى»

هكذا، كأنه نثر، مع أنه في النفح كما هو مثبت هنا ،

«رأيت بكفك اعتبارا بأسا وندى ما إن يبارى»

باستثناء فتح الهمزة، الواجب كسرها كما هي بالنفح .

الصفحة 505 جاء البيت الثاني بها وهو ،

يا إماما أطال ربي علاه وهماما بالفخر ما أولاه

بضم راء ربي وفتح الباء منها كأنه جمع ربوة. والصواب أنه الرب مضافا إلى ياء التكلم، ثم الأحسن ضم عين علاه بعده، لا فتحها. كما أثبت وبعده جاء بيت هكذا ،

أنت كالرمح في اعتدال وطو ل وانتخاب الحديد في أعلاه

والصواب انتهاء المصراع الأول بكلمة «طول» ولا تدوير في البيت.

ثم جاء المصراع الثاني للبيت الذي يليه هكذا :

«بالسبق يعرف آخر المضمار» وصوابه : السبق يعرف...

وفي البيت السادس يجب إسقاط الألف من «الزمان» ليتأتى الوزن.

وفي البيت يليه ضبط «يشرف» بالتشديد والصواب التخفيف.

وفي آخر بيت بها تحرف «حله» بجله. معجما ومضموم اللام. بدل فتحه. فعلا ماضيا موصولا بالضمير المفعول.

الصفحة 506 ضبط في البيت الثالث بها «جنح» بفتح الجيم. بدل ضمها. وفي الذى يليه جعلت نون «تنكرن» مخففة. وهي مثقلة. للوزن خاصة. ثم ورد المصراع الثاني منه هكذا :

فوجهك يجلو ظلمتا الليل والحبر»

وصوابه : فوجهك يجلو ظلمة الليل والحبر.

وفي البيت السادس. تصحف «الترب» بالشكل والحرف. ثم تحرف «الظهر» بلامين. وفي السابع تصحف «مختط» بالنقط للطاء. وفي التاسع ضبط أيضا «جنح» بفتح الجيم. بدل ضمها. وجاء البيت الحادي عشر هكذا :

ومن كرامتها أن الشمال إذا رامت زيارتهـــا تمشي على الماء

والصواب انتهاء المصراع الأول عند «إذا».

الصفحة 507 ضبط بالبيت قبل الأخير فيها «بمطامع» ممنوعا من الصرف. والصواب صرفه للوزن.

الصفحة 508 جاء بالبيت الأول فيها «بالحياء» مهموزا، ولا يستقيم الوزن إلا بإسقاط الهمزة. وفي البيت الرابع، تحرف «موحدا» بموجدا . ولا معنى لهذا هنا. وفي الخامس، تصحف «الممنى» بالمبلى، ثم «في» بني. وفي آخر السابع ضبط «تثبت» بفتح الثاء وتشديد الباء. والصواب تسكين الثاء وكسر الباء مخففة. أو نبقي على الفتح ونشدد الباء بالكسر ولعل هنا أوفق كما في الآية «يمحو الله ما يشاء ويثبت». وجاء المصراع الأول للسابع هكذا :

أنكرته لما أطل عارضه فقال لي حين رابه نظري
ألم تقل لي بأنني قمر فانظر إلي وبر أرنب القمر

وهما لا يستقيمان خصوصا المصراع الأخير منهما.

الصفحة 509 ضبط في البيت الثالث بها «رتع» بضم الراء وتشديد التاء. والصواب الفتح والتخفيف. وفي آخر السادس. ضبط «همزة» بفتح الهاء. والصواب ضمها. وفي آخر الحادى عشر، ضبط «دفع» بالبناء للمجهول. والصواب بناؤه للمعلوم.

الصفحة 510 ورد بالبيت الأول فيها «بتسال» وهو مصحف لاشك. وعلق عليه بأنه في الزيتونة «انفعال» ولا يتضح هذا كذلك. وفي الثاني ضبط «أبناء» بالفتح، بدل الضم. وفي السادس ضبط «ممتنع» بالضم بدل الكسر. ثم سقط نقط من «يقض». وفي التاسع ضبط «انظر» بفتح الهمزة، بدل ضمها. ثم ورد «ماؤه» ولا يستقيم الوزن إلا بترك الإضافة. وفي البيت يليه «وتحدث» ولا يستقيم إلا بنحو إسقاط الباء من «بالماء» بعده. وفي الحادي عشر ورد «ذكر جوى» بضم الذال، بدل الكسر، وبالواو فيما

بعد. وصوابه الراء. وفي البيت يليه ضبط «خضبته» بالتشديد. ولا يستقيم إلا بالتخفيف.

الصفحة 511 جاء في البيت الثاني بها «يمطله» بضم الياء. والصواب فتحها. وفي الخامس ورد «حلينا» ولعله «كحلنا» . وجاء بالبيت السابع «سخفت» ولا يستقيم. ولعله «سخت». وفي الذي يليه ورد «قيد خطوة» بسكون الياء. والصواب تشديدها بالفتح. ثم ترك نقط الهاء مضافا إليها في خطوة وضبط قبله «جنح» بفتح الجيم وقد تكرر هذا كثيرا. وفي آخر البيت ضبط «المسهد» بتسكين السين. بدل الفتح. ثم تلاه مصراع هكذا :

«وما بليت نفس أمرت تنظر فيه»

وصوابه :

وما بليت نفس امرئ»...

وبعد ذلك لا يستقيم «تنظر فيه» لا وزنا ولا معنى. وفي الذي يليه ضبط «خلق» بفتح اللام. وجاء أول الثاني عشر هكذا :

«حار الظلام علي دورة كافر»

ولعله :

دار الظلام علي دورة كافر

وفيما يليه تسهل همزة «أنني» للوزن. وفي آخره ورد «قهاوة» ولا يبدو لها معنى.

الصفحة 512 تصحف في آخر البيت الثالث بها «عاطفا» بغاطسا. وفي السابع «فيها» بفها. وفي آخر الحادي عشر. ضبط «المكتم» بتسكين

الكاف وتخفيف التاء. والصواب الفتح فالتشديد. وفي الرابع عشر ضبط «وتبشر» بضم التاء وتشديد الشين بالكسر. والصواب الفتح فالضم مخففا.

الصفحة 513 ضبطت في أول بيت فيها «بسنة» مفتوحة السين. بدل كسرها. ثم ورد بيتان هكذا :

علم الملوك أعني يوسف المولى الهماما

الغمام لأرض سقى وأنا أسقي الغماما

ولا يستقيم منهما إلا المصراعان الأخيران. وفي السابع يضبط «فقير» و «لا بس» بالفتح لا الضم. وفي التاسع ورد «يباى» غير واضح. وفي الثاني عشر سقط «بني» قبل «نمر». وبعده جاء مصراع هكذا :

«ويجرى تلاعب في شريط»

ولا يتم وزنه. ولا يتضح معناه.

الصفحة 514 سقطت التاء من «الدواة» آخر البيت الأول بها. وفي أول البيت التاسع ضبط «ويلبسني» بضم الياء. بدل فتحها. وفي آخره تكسر تاء «توجت» لالتقاء الساكنين مع «البدرا» وجاء المصراع الأول للثالث عشر هكذا :

«تبدو مظاهري لأمور كأنني»

ولا يستقيم وزنه. وفي الذي يليه يضبط«در» بفتح الدال. لاضمها.

الصفحة 515 جاء أولها مصراع هكذا :

«أقول والبدر يسمو في السماء صعدا»

ولا يستقيم إلا بإسقاط الهمزة. «وصعدا» بضمتين وليس بفتحتين. كما أثبت. وفي البيت يليه . ورد «ضجة» ولا وجه لها. بل لا معنى لها هنا. وفي أول الثاني عشر ضبط «كسبيك» مصغرا. وليس كذلك. والبيت

مدور ينتهي مصراعه الأول عند الألف من «الصانع». وفي الذي يليه، ورد «تعيا» وصوابه : «تفيأ».

الصفحة 516 جاء آخر البيت الأول بها «حجره» وصوابه جحره. بالجيم أولا ثم الحاء، وبضم الحرف الأول لا بكسره. وفي أول البيت الثالث، تضم الهمزة، ولا تفتح. وفي آخر الرابع الصواب «اكسيرها» بالسين لا بالثاء. وفي السابع الصواب ضبط «تحذرها» بالتخفيف للذال المفتوحة. لا بالتشديد وكسرها. وفي الثامن تسكن ميم «عمشا» ولا تفتح. كما أثبت، وتضم العين قبلها، ولا تفتح كذلك. وفي العاشر ورد «سامتها» ولا يستقيم بها الوزن. وضبط في آخره «البرد» بفتح الراء، والصواب التسكين. وفي الذي يليه، سقطت الهمزة من «أساء» ولا يستقيم الوزن بسقوطها .

الصفحة 517 جاء في البيت الأول بها «لأجلها» ولا يستقيم به الوزن ولا يتضح المعنى . وفي الثاني تصحف «يقف» بيقن. وفي أول الرابع تحرف «خضبتها» بخضتها. وفي آخره سكن الباء من «الغبش» والصواب فتحها، وكذلك «العمش» آخر الذي يليه، فالصواب التحريك بالفتح أو الكسر، والأول أليق. وفي السادس جاء «الأنس» والصواب للأنس، بلام الجر. وفيه شددت الفاء من «وفينا» والصواب تخفيفها. ثم جاء في البيت يليه «البركان» والصواب «البيكار» . ثم جاء بيتان هكذا :

البصر تنأى الشهب والشمس فتنة ... تلألأ منها البر والبحر ذو الموج
رحلنا عن الاوج الرفيع نحلهـا ... من أجل شتى ثم عدنا إلى الأوج

ولا يستقيم لهما وزن، خصوصا بما عليهما من ضبط. كما لا يتضح معناهما، وقد قيلا عند الرجوع من رحلة.

وفي آخره ورد «البر أغيثاء والصواب «البراغيثا» وقبله سقطت همزة «أن» والصواب اثباتها للوزن .

الصفحة 518 جاء البيت الثاني بها هكذا ،

عدت نحونا ليلا ومن بعد ذا امتدت   كما رقصت في القلوب زرقطونا

وهو لا يستقيم وزنا ولا يتضح معنى ولعل المصراع الأول كان هكذا ،

عدت نحونا ليلا ومن قبل ذا اغتدت

بالغين وجاء الرابع هكذا ،

لم يدع غمد السيف جفنا   باطلا الا تشبه اللحظ يغمد فيه

والصواب جعل آخر المصراع الأول « باطلا» ثم يصحح «تشبه» بشبه. اسما مجرورا. لا فعلا مشدد الباء. كما أثبت. أو «لشبه». وبعده صحف أول السطر التالي «وقلت» بالنقط. ثم جاء في البيت يليه «بشبتى» والصواب بشيبي. وفي السابع تسقط الهمزة من «تبرأ» ليستقيم الوزن. وجاء البيت العاشر هكذا ،

فقال وقاك الله فيه فلا   تخف عليه فهذا النفخ ليس له سبب

وصواب المصراع الأول انتهاؤه عند «تخف». ثم جاء بيت آخر هكذا ،

لم أكن أدخل إلا أمــــــرد جنة وصله

والبيت لا تدوير فيه. ينتهي مصراعه الأول عند «الا» ثم يصرف «أمرد» بالتنوين ليتزن البيت.

الصفحة 519 جاء في البيت الثاني بها « بحلق» والصواب « بحلقك» ويكون المشار إليه بعده على النصب مفعولا به. لا على الجر.

وفي أول البيت الرابع فيها ورد «سرقت» بتاء التكلم. والصواب كونها تاء الخطاب. ثم جاء المصراع الأول للخامس هكذا :

«وقالوا قد ظفرنا في الزمان بخاتم»

ولا يستقيم وزنه إلا بإسقاط «قد» منه. ثم جاء الثاني للثامن هكذا :

«فأنا الذي أخرجت على سرنا كاشفا»

ولا يستقيم وزنه.

وفي الثالث عشر ضبط «الدواء» بالفتح بدل الكسر. وفي آخر الصفحة جاء بيت هكذا :

انني ا بن سليمان وفي الفكر فترة تخبر أن العقل جد مغيب

وهو لا يستقيم وزنه ولا يتضح معناه.

الصفحة 520 سقطت الهمزة من «تاء» في البيت الثالث فيها. وهي واجبة للوزن. وفي الذي يليه ورد «حلال» بالتشديد، وهو مخفف. وجاء المصراع الأول للخامس هكذا :

« بعثت له إذ اتبعنا عصيرا»

وهو لا يستقيم وزنا ولا مبنى.

ثم جاء آخر للسابع هكذا :

«إذا قمت قلت بعقيب الكرى»

ولا يستقيم وزنه إلا بإسقاط الباء. وفي التاسع مصراع هكذا :

«نفقت حلاوتها بكل فؤاد»

ولا يظهر معنى لنفقت هنا. وفي الحادي عشر ضبط «سقم» بفتح القاف بدل سكونها. ثم ضبط «ترشد» بضم التاء وبالبناء للمعلوم. ولا يبدو لذلك وجد هنا. وانتهت الصفحة ببيتين غير واضحين.

الصفحة 521 جاء آخر البيت الثالث فيها «بنجهه» ولا نفهم معنى لها. وفي السادس ضبط «بعدله» مفتوح العين. وفي العاشر ضبط «دلوه» بكسر الدال. وفي أول الرابع عشر ورد «يدب» وليس له وجه من التركيب فيه. وجاء بيت قبل الأخير هكذا :

«أقول لعاذلي لما نهاني وقد   وجد الملامة إذ جفاني»

والصواب انتهاء مصراعه الأول عند «نهاني».

الصفحة 522 جاء بالبيت الثالث فيها «العلا» مشدد اللام، ولعله «الجلا» بالجيم. وجاء أول الخامس «لا ينكر لي» وهو غير مستقيم الوزن، ولعله «ينكرن» بنون التوكيد الخفيفة. وفي آخر الثالث عشر جاء «خانه» مفتوح النون. والصواب فيه الحاء والنون بالكسر.

الصفحة 523 ضبط أول البيت الثالث فيها «انظر» بفتح الهمزة، والصواب ضمها. وجاء المصراع الثاني للخامس هكذا :

«فشكرا يا حمام إذا الغطتا»

بكسر حاء حمام. ولعل «الغطتا» مصحف عن «التقطتا».

الصفحة 524 جاء بالبيت الرابع «وقدره» اسما مرفوعا مضافا. والصواب «وقدر» فعلا ماضيا مشدد الدال. وجاء الأول للثاني هكذا :

«فإن أحست بالميل أدركها»

ولا يستقيم وزنه. وجاء بيتان هكذا :

إذا صرفت نحو وجه حسن طرفك
واستهداك للحين الطمع
فلا تمل قلبك ما استطعت له
فالقلب كالحائط إن مال وقع

والصواب في الأول انتهاء مصراعه الأول عند «حسن». وفي البيت الثاني «سطمت» لا استطمت، للوزن. والبيتان بعدهما مدور أولهما عند القاف من «نطقت». وفي ثانيهما يضبط «كذب» بفتح الذال لا كسرها. والبيت قبل الأخير مدور عند لام «الإنسان».

الصفحة 525 جاء المصراع الأول للثالث هكذا :

«ومن سام الزمان بعام أمر»

وفي الخامس جاء «البقاء» والصواب «البقيا».

وفي السطر الرابع عشر جاء في شطر موشح «يا برده» بضم الدال بدل فتحها. وفي الثامن عشر جاء بآخر «ورد» بفتح الراء وسكون الدال.

وفي الحادي والعشرين ضبط «بلا ثنيا» بفتح النون وتشديد الياء. والصواب التسكين وتخفيف الياء. وأخيرا يضبط «أمام هداه» بضم الهاء.

الصفحة 526 جاء أولها شطر هكذا :

«افتخر واجبا على الدهر» وهو غير مستقيم. وفي السابع ضبط «رده» فعلا. والصواب كونه اسما. مرفوعا. وفي السطر بعده. ضبط «أطّرِدِ» بفتح الهمزة. بدل الضم. وفي السطر الحادي عشر والذي يليه فصم شطر هكذا :

مـــــــن قــــراب الغمـــــام

وحقه أن يسطر جملة في سطر واحد هكذا :

أضحك الفجر مبسم الشرق فاستراب الظلام   وانتضى الأفق صارم البرق

مـــــــن قــــراب الغمـــــام

(كما فصل «انتضى» عن «الأفق» فيها) وبعده ضبط «الورق» بكسر الواو. بدل ضمها. ثم ضبط «درء» بالضم. بدل فتحها. وفي الذي يلي هذا. تحرف «تنهمز» بتنهمر وجاء شطر هكذا :

طوروا صفح كل ديوان وبه طرزما   لاتجز في شريعه الظرف
غير ما جوزا صوابه : «طرزا» ثم يضبط «تجز» بكسر الجيم.

الصفحة 527 جاء البيت السادس بها هكذا :

وما شفني بالغور قد مرنم   ولا شاقني من حش وجدة ريمه

(ضبط الغور بضم الغين بدل فتحها) والبيت صوابه كما في النفح واطلع عليه المحقق :

وما شفني بالغور قد مرنح   ولا شاقني من وحش وجرة ريمه

وفي آخر السابع ضبط «فأشيمه» بضم الهمزة. بدل فتحها. وفي البيت قبل الأخير. ضبط «تتلفه» بفتح التاء بدل ضمها.

الصفحة 528 ضبط بالبيت الأول «انهل» بضم الهمزة القطعية. والصواب كونها للوصل. ثم تشدد اللام.

وفي البيت السابع ضبط «افتخرت» بهمزة قطع مفتوحة. وفي الحادي عشر. ضبط «يعيي» بفتح الياءين. بدل الضم فالكسر. وفي الثاني عشر ضبط «لربع» بكسر اللام بدل فتحها.

الصفحة 529 ضبط في السطر الثالث «وجبت» بضم الواو وتشديد الجيم المكسورة. بدل فتحهما مع التخفيف وفي الخامس ضبط «وطهر» بفتح الهاء بدل كسرها. وفي السادس ضبط «المشفع» بسكون الشين وكسر الفاء. والصواب فتح الحرفين. مع تشديد الأخير.

الصفحة 530 ضبط أول السطر الثاني «أخبرت» بضم الهمزة. والصواب فتحها. ثم «فجاء» بكسر الهمزة. وفي الرابع ضبط «المفزع» بضم الميم. بدل فتحها. وفي الثالث عشر ضبط «واستنقذ» بالبناء للمعلوم.

والصواب بناؤه للمجهول. ثم ضبط «وسعد» بضم العين بدل كسرها. وفي أول تاليه ورد «الذي» والصواب الذين.

الصفحة 531 جاء بالسطر الأول «المفتح» والصواب «المفتتح» . وفي آخر تاليه ورد «طيب» بالتشديد. والصواب كسر الطاء، وسكون الياء. وفي السطر الثالث جاء «تذكر» بالبناء للمجهول. والصواب كونه للمعلوم. وكذلك «استشعر» في أول تاليه. وبعده «تردد» بالفتح. مفعولا به. وفي الثاني عشر ضبط «تسرح» بضم التاء، بدل فتحها. وكذلك «تبرح» في السطر التالي. وفي الخامس عشر جاء «النجود» بفتح النون. وفيه ضبط «الملك» بضم الميم والصواب فتحها وما بعدها..

الصفحة 532 وفي أول السطر التاسع سقط حرف من «المومنين» . وفي الذي يليه ضبط «لبوسهم» بضم اللام والصواب فتحها. وسقط نقط في «مصارختك» بها. وفي الثالث عشر جاء «وهم» والصواب «هو» ولا واو قبله. وفي السادس عشر سقطت الواو من «أوكارها».

الصفحة 533 في السطر الثالث تحرف «حتى» بحى. وفي الذي يليه ضبط «شاء» بكسر الهمزة. وفي السادس تحرف «تسعد» بتشعر. وفي العاشر ضبط «بهرجها» بضم الباء بدل فتحها. وفي الذي يليه، جاء «ارحم» بهمزة قطع. وهو فعل أمر. ثم جاءت فيما يلي هنا «خور» بضم الخاء، بدل فتحها. وفيها ضبط «لج» بضم اللام. بدل الفتح. وفي الرابع عشر جاء «سخاء» بالضم. والصواب أنه «سجايا» بالكسر المقدر. وفي السادس عشر ضبطت «الصورة» بفتح الصاد. وفي الذي يليه ضبط «زوى» بفتح الزاء، والصواب الضم على البناء للمجهول.

الصفحة 534 في السطر الخامس تصحف «يتوارث» بزيادة نقط. وكذلك في العاشر «ونرتقب». وفي الثاني عشر. ضبط «أعيت» بفتح تاء التأنيث. وفي الرابع عشر. صحف «بجاهك» كذلك بالنقط. ثم تاليه ضبط «فيفيق» بفتح القاف. بدل ضمها. وفيها ضبط «تفردنا» بالفتح بدل التسكين .

الصفحة 535 سقط في السطر الأول نقط ياء «تكفيهم». وفي الأخير ضبط «عداها» بضم العين. بدل كسرها.

الصفحة 536 كتب البيت الثامن هكذا :

ويتبع آثار المطي تشيما وقد   زمزم الحادي وحن نجيب

والصواب انتهاء المصراع الأول عند «تشيما» وفي العاشر نون «النداء» وهذا كثيرا ما يقع في الهمز الأخير وتقدمت نماذج منه.

الصفحة 537 تحرف في البيت الأول «شحط» بشط ولا معنى له. فكان حق المحقق أن يثبت الأول الذي اطلع عليه في نسختين ذكرهما. وفي آخره تحرف كذلك «كثيب» بنقط الثاء تاء مثناة. وفي الحادي عشر. يجب تسهيل همزة «أعطيت» للوزن. وفي آخر الثالث عشر ضبط «مذيب» بفتح الميم بدل ضمها.

الصفحة 538 ضبط بالبيت الثاني «البعاد» بضم الباء. وفي آخره ضبط «قليب» بالتصغير لقلب وليس كذلك والمراد - به غير مصغر البئر.

وفي السادس صحف «للخزرجيين» هكذا ، «وللخزر جبين» مضموم الخاء والزاي. وفي الثامن ضبط «فمستلب» بالكسر وهو بالضم وفي الثالث عشر ضبط «فمنت» بالبناء للمجهول. والصواب كونه للمعلوم.

وصواب «بالظنون» أنه «بالظهور» كما بالنفح واطلع عليه فلم يبثته على صوابه وفي الذي يليه ضبط «للعضب» بفتح الضاد، بدل تسكينها. وفي السادس عشر ضبط «يكفتها» بفتح الياء وسكون الكاف وضم التاء، والصواب الضم فالفتح فالكسر المشدد. وبعده جاء «إذا اضطرت» ولا يستقيم بها وزن ولا معنى. والصواب «اضطرب» كما بالنفح. وبعدها الخطي ـ المشدد الطاء والياء ـ ضبط كأنه جمع خطوة، بضم الخاء.

الصفحة 539 ضبط بالسطر السابع بضم الياء «يغنى» والصواب فتحها، من غني الثلاثي، وفي التاسع ضبط «القدم» بكسر القاف والصواب فتحها. وفي الحادي عشر سقط نقط «الذي».

الصفحة 540 جاء بالسطر الثاني «الظمأ» مفتوح الهمزة، والصواب «الظماء» جمع ظمآن، مكسور الهمزة، وفي الثالث سقطت الهاء من «مسيره». وفي السابع ضبط «الأرسال» بكسر الهمزة بدل فتحها. وفي الثامن جاء السلسال بكسر السين، بدل فتحها. وفي الثالث عشر ضبط «عداه» بضم العين، بدل كسرها. وفي آخر الخامس عشر ضبط «متاجر» بضم الميم بدل فتحها.

الصفحة 541 جاء في السطر العاشر «هبت» بتاء التأنيث، والصواب تركها، وفي آخر الرابع عشر جاء «وعدت» بالبناء للمجهول، والصواب كونه للمعلوم وفي السابع عشر جاء «الأعلى» والصواب «إلا على» استثناء بإلا، ثم على الجارة.

الصفحة 542 جاء في الحادي عشر «شمام» بكسر الشين بدل فتحها، وفي تاليه ورد «أغض» بالبناء للمجهول، وهو للمعلوم. وفي أول الرابع عشر ورد «الانصداع» بهمزة القطع.

الصفحة 543 جاء بالسطر الثاني «بتغمد» وعلق عليه بأنه في النفح «بغفر» وهذا هو الصواب الواجب إثباته لاغيره. وفي الرابع جاء «ولأمنا» بضم الهمزة وتشديد الميم. والصواب «ولامنا» المقابل لألفنا قبله. وفي الحادي عشر ضبط «خول» بسكون الواو. بدل فتحها. وفي الرابع عشر ضبط «يكفر» بالبناء للمعلوم. والصواب كونه للمجهول. وفيه ضبط «ذنبه» بالفتح والصواب الضم. وفي الذي الذي يليه. ضبط «يغفر» بكسر الفاء. بدل فتحها. مبنيا للمجهول كذلك. وفي الأخير ضبط «جنى» بكسر الجيم بدل فتحها.

الصفحة 544 جاء آخر السطر الأول «طلق» بكسر اللام بدل تسكينها. وفي تاليه ضبط «لتقر» بكسر القاف. وفي أول الذي يلي هذا ضبط «هجوعها» بالفتح بدل الضم. وكذلك «ظمأها وجوعها» كلاهما بالضم لا بالفتح. وفي الرابع تحرفت «كنايتك» بكتابك. وفي الحادي عشر ضبط «سنن» بضم السين. والصواب الفتح. وفيما يليه سقطت الهمزة من «المأرب» فصار كأنه مفرد.

الصفحة 545 ضبط في السطر الثاني «الأختين» بسكون النون. وسبق نحوه فلم ننبه عليه إلا بعد أن تكرر. وفي الخامس ضبط «المراد والمراق» بضم الميم. بدل فتحها. وفي العاشر نقطت الهاء من «فتحه» وفي أول الحادي عشر. ضبط «منفل» بسكون النون بدل فتحها. وفي الثاني عشر ضبط «أم بنات» بفتح الهمزة. بدل ضمها. وفي الرابع عشر ضبط «المدرهة» بضم الميم. والصواب كسرها.

الصفحة 546 جاء في السطر الثاني «علاجه» بنقط الهاء. وفي أول السادس ضبط «وحلم» بكسر الحاء بدل ضمها. وفي آخره سقط نقط

«فاتكة». وفي الحادي عشر ضبط «يصدق» بضم الياء وكسر الدال. والصواب الفتح فالضم. وفيما يليه، ضبط «جراد» بكسر الجيم بدل فتحها.

الصفحة 547 ضبط في السطر الأول «اللهام» بكسر اللام بدل ضمها. وفي الرابع جاء «البحث» بالثاء، وهو بالتاء المثناة. وفي العاشر ضبط «الغدو» وبفتح الغين وتسكين الدال. والصواب الضم فيهما. وفي الرابع عشر ضبط «المتواتر» بفتح التاء الثانية. والصواب كسرها. وفيما يليه ورد «المطي» بالفتح. والصواب الضم.

الصفحة 548 ضبط في السطر الثاني «صم» بضم الصاد. بدل فتحها. وبعدها جاء «وأحجرت... أحجارا». والصواب فيها. تقديم الجيم على الحاء، لا العكس هكذا «وأجحرت... إجحارا». وفي الرابع عشر ضبط «القسم» بفتح السين والصواب تسكينها. وفي السادس عشر سقط نقط التاء من «قيمة».

الصفحة 549 جاء في السطر الثالث «همت» بتشديد الميم. والصواب تخفيفها. وفي أول الثالث عشر ورد «للحوزة» بنقط الحاء جيما.

الصفحة 550 في السطر الثامن ضبط «الشيب» بفتح الشين. والصواب كسرها.

الصفحة 551 ورد بالسطر الثاني :

«وسلطت على بنات التراب الماء النار»

صوابه :

«وسلط على بنات التراب والماء النار»

وفي الثالث ضبط «لبتها» بضم اللام. بدل فتحها. وفي الرابع ضبط «الحدب» بتسكين الدال. والصواب فتحها. وفي السادس ضبطت «أسورة» بكسر الهمزة بدل فتحها. وفيها ضبط «واكتسحت» بالبناء للمجهول. وهو

للمعلوم. وفي تاليه ضبط «ولدتها» بضم اللام وتشديد الدال. والصواب الكسر ثم التخفيف. وفي تاليه صحف «المستبحر» بالجيم بدل الحاء. ثم صحف «الخرق» بالحزق. وفي الثالث عشر حرف «والعاب» بألعاب ولا معنى للألعاب هنا. وفي الذي يليه. ضبط «المجر» بتشديد الراء. وهي مخففة والجيم قبلها ساكن. وفي أول الذي يلي هذا جاء «الكذب الفجر» بكسر الجيم. والصواب : الكاذب الفجر. بتسكين الجيم.

الصفحة 552 جاء بالسطر الأول «وأسند» بالبناء للمعلوم. والصواب كونه للمجهول. مناسبا لما بعده. وفي الرابع ضبط «طرفه» بفتح الراء. والصواب تسكينها. ثم جاء «حمد» بفتح الميم. والصواب كسرها. مبنيا للمجهول كذلك. وفي الذي يليه جاء وسطه «رأب» بالهمز. والصواب تركه. وفي الأخير. ورد «مفيته» بفتح الميم. والصواب ضمها. وفي الثاني عشر سقط نقط الشين من «شجر» وفي الخامس عشر ضبط «وأن أتى الوادى» بكسر الهمزة. والصواب فتحها. وفي الذي يليه صحف «تفثه» بنفثه.

الصفحة 553 تصحف بالسطر الثاني «بخارجها» هكذا «نجارجها» وفي الرابع تحرف «القصل» بالفضل. ثم «كأن» بكان.

الصفحة 554 في السطر الأول ضبط «تؤذن» بفتح التاء بدل ضمها. وفي الثاني ضبط «وحذر» بفتح الذال المشددة. بدل ضمها مخففة. وفي أول الخامس تصحف «واطردت» بواضطردت. مشددة الطاء. مع هذا.

الصفحة 555 في أول السطر الثاني ضبط «غصوا» بضم الغين.

وفي السابع ضبط «شوقها» بالضم. والصواب الفتح. وفي الحادي عشر ورد «ومسرب» مضموم الميم.

وفي أول السطر قبل الأخير. ضبط «قطع» بسكون الطاء، والصواب فتحها وكسر ما قبلها.

الصفحة 556 في آخر السطر التاسع ضبط «الدور» بضم الدال والصواب فتحها. وفي الثاني عشر ضبط «شنوف» بفتح الشين وهي بالضم.

الصفحة 557 في السطر الثاني ضبط «وجدلوا» بفتح الدال بدل كسرها. وفي الرابع ضبطت «الإيمانية» بفتح الهمزة. بدل كسرها. وفي آخره ورد «سوارها» والصواب «سوارا». وفي الحادى عشر تحرف «بالصفار» وفي السطر الأخير جعلت آية مفصولا بعضها عن بعض.

الصفحة 558 استمر فصل الآية عن سابقها. كأنه كلام خارج عن النطاق الذي وضع له القوس المضاعف.

الصفحة 559 جاء في السطر التاسع «بجناح» مكسور الجيم. وفي الثاني عشر جاء«وخلو أعطاني» منون الواو. وسلف من ذلك كثير وفي أول السطر قبل الأخير ورد «قبل» بسكون الباء، والصواب كسرها.

الصفحة 560 في السطر الثاني ضبط «جنى» بكسر الجيم بدل فتحها. وفي الثامن ضبط «الأنبياء» بالكسر. وهو بالفتح.

الصفحة 561 جاء في السطر الرابع «الذائع» مصحفا بالغين.

الصفحة 562 في أول السطر الثامن ورد «علم» بضم الميم والصواب كسرها. لما بعدها مكسورا. على التبعية لما قبله.

الصفحة 563 جاء في السطر الخامس عشر «نصرتها واستيناسنها» والصواب «نضرتها واستيناسها». وفي أول السابع عشر ضبط «ومصمت» بسكون التاء. بدل كسرها. وفي الذي يليه ضبط «البيضاء» بالفتح بدل

الكسر. وفي التاسع عشر سقطت باء الجر من «تكتفل بمناجاة السميع العليم».

الصفحة 566 في آخر السطر الثاني جاء «أسهمه» منقوط الهاء. وفي الذي يليه ضبط «نشب» بسكون الشين. ثم «روح» بضم الراء. والصواب فتحها. وفي الثامن ضبط «الطباع» بفتح الطاء.

الصفحة 567 سقطت الألف من «الاعجم» في السطر الثالث. وفي الثاني عشر ضبط «أثناء» بكسر الهمزة الأولى. وفي الذي يليه جاء «ادعى» بهمزة قطع. وفي السطر الأخير ضبط «أتحف» بفتح التاء والحاء. وهو مبني للمجهول.

الصفحة 568 في السطر الثالث تصحف «تبارى» بالياء بدل الباء. ثم «مدير» بالباء. بدل الياء. وقد فتح الدال وشددت الباء لذلك الخطأ وفي الخامس تحرف «الحد» بالجد. وفي آخر السادس ضبط «الخلق» بضمتين. والصواب الفتح فالسكون. وفي آخر السابع ضبط «وأشقر» بالضم. والصواب الفتح النائب عن الكسر. فهو معطوف على أحمر في «من أحمر كالمدام» . وفي أول الذي يليه ورد «أبي» بضم الياء. والصواب كونه فعلا. وفي آخر الثاني عشر. تحرف «وأعرب» مبنيا للفاعل. بأغرى. مبنيا للمفعول. وفي الذي يليه حرف «الهمز» بالهمزة وفي الخامس عشر. حرف «لها» بلما. مشدد الميم. وفي السابع عشر ضبط «وأولي» بفتح الهمزة. وهي مضمومة. وانتهى بالألف. وهو بالياء.

الصفحة 569 في السطر الأول ضبط «ملك» بضم الميم. والصواب فتحها. وفي الثاني ضبط «عرفه» بضم العين. بدل فتحها.

وفي أول الرابع جاء «لامة فضفاضة» بضم الميم وكسر الفاء، والصواب الفتح فيهما معا. وفي السابع ضبط «وأشهب» بالضم، بدل الفتح النائب عن الكسر.

وفي أول الثالث عشر ضبط «وقرطاسي» بالضم، والصواب الكسر.

الصفحة 570 في السطر الأول ضبط «للتأخير» بفتح الهمزة. ثم «ترتب» بفتح التاء الثانية. والصواب كسرها. وفي الثامن ورد «الراكب» والصواب الركب. وفي الحادي عشر، ورد «الصموت والقطيب» بضم الصاد، بدل فتحها. ثم ضم القاف بدل فتحها وبياءين بدل الياء في الثانية. وفي السابع عشر ضبط «الصم» بفتح الصاد، بدل ضمها. وفي السطر الأخير ضبط «عذر» بسكون الذال وهو مضموم.

الصفحة 571 ضبط أول السطر «عللت» بفتح اللام الأولى، والصواب كسرها، وفي السادس جاء «وتضاءل» بتنوين الهمزة. وهذا كثير الوقوع.

الصفحة 572 جاء آخر السطر الأول «الفرق» بفتح الراء، وهي بالسكون، وفي الرابع ضبط «الردينيه» بفتح الراء، وهي بالضم.

وفي الثامن «الكذية» بفتح الذال وبالياء، تصحيف للمكذبة، بكسر الذال وبالباء، وفي الحادي عشر كتب «ابداركم» كأنه كلمتان . وكذلك «مداركم» بعده وفي الرابع عشر سقطت الهاء من «معاقده». وفي السادس عشر ورد «الا» بفتح الهمزة، بدل كسرها..

الصفحة 573 زيدت همزة قبل «هل» في الآية «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم».

الصفحة 574 سقط أول سطرها نقط التاء من «شمفاتها». وفي آخر السابع نقطت الهاء من «عهده». وفي الثامن سقط الضمير من «ربنا».

الصفحة 575 في السطر الثالث تحرف «مسالحه» بمسابقه، وفي آخر الخامس عشر ضبط «حمص» بضم الحاء، وهي مكسورة.

الصفحة 576 جاء في السابع «أهليها» بالياء، ولا توجد في باقي النسخ. وفي السادس عشر سقط نقط من «إليها» وفي الثامن عشر جاء «المهندة الدلق» وعلق عليه. بأنه في الصبح «الرزق» وهذا هو الصواب الواجب إثباته.

الصفحة 577 جاء في السطر السادس «ومد بحرها» بالبناء للمجهول، والصواب كونه للمعلوم. وفي الرابع عشر «دايره» صوابه الرفع لا النصب. وفي الذي يليه. ضبط «والنسر» بكسر النون بدل فتحها، وفيما يليه تحرفت «فرائص» بفرائض المعجم الضاد.

الصفحة 579 في السطر الأول سقطت الميم من «أجحروهم» التي تحرفت بأحجروهم، وفي السابع حرف «يخضب» بالصاد المهملة. وفي الثاني عشر جاء «وبهتوا» بالبناء للمعلوم، والصواب بناؤه للمجهول، وقبل الأخير ضبط «وبحت» بالبناء للمجهول وهي للمعلوم.

الصفحة 580 جاء في السطر السادس «العنانات» وعلق عليه بأنه في التمريف والصبح «العنايات» والأولى أرجح. مع أن الصواب العكس.

الصفحة 581 في آخر السطر السادس ضبط «الغزلان» بضم الغين، وفي الثاني عشر ضبط «الدولاب» بضم الدال بدل فتحها. وفي الخامس عشر ضبط «قسي» بالكسر بدل الضم.

الصفحة 582 في السطر السادس تصحفت «الخبارى » بالنقط للباء، وكذلك «النخل». في السطر الثالث عشر، بعدم نقط الخاء. وفي الخامس عشر نقطت الهاء من «تمطيه».

الصفحة 583 في السطر العاشر جاء «البال» بالياء، بدل الباء. وفي أول السابع عشر وردت «الغبراء» بالتوين. وتقدم كثير من هذا. وفيه ورد «فليس من عرف وخبر» صوابه «فليسأل من جرب وخبر».

الصفحة 584 جاء أول السطر الثاني «أعلم» بالبناء للمعلوم، وهو للمجهول.

الصفحة 585 في السطر العاشر والذي يليه ضمنت آية «فطاف عليها طائف من ربك..» فعلق على ربك، بأنه في الصبح «ربنا» ولم يتنبه إلى هذا التضمين القرءاني. وبعده بسطور أتت آية أخرى لم توضع بين أقواسها، وهي «لاتذر من شيء أتت عليه...»

الصفحة 586 جاء أول السطر الثالث «إلى يوم» وصوابه بالتعريف «اليوم» وكلمة البوس بعدها بدون همز. وفي آخر السادس عشر ضبط «أخيه» بالفتح، بدل الكسر.

الصفحة 587 ضبط أول السطر الخامس «ليته» بفتح اللام، والصواب كسر اللام، فالليت صفحة العنق، كما في الحماسة لأبي تمام :

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا

الصفحة 589 جاء آخر السطر الثاني «فتروى...» بضم التاء، والصواب فتحها. وفي الرابع ضبط «خطر» بكسر الطاء، بدل فتحها. وفي الثالث عشر ضبطت «الأكتاد» بالضم والصواب الفتح. وفي الثامن عشرورد «أبر» والصواب «بر» بدون همزة.

الصفحة 590 جاء في السابع «يحن» بضم الحاء، والصواب «يكن» بالكاف. وفي العاشر ورد «الفرق» وعلق عليه، بأنه في النفح الفراق، والأول أرجح، مع أن الفراق هو الأرجح والأليق بموضوع الرسالة، ولا معنى للفرق، الذي ضبطه بفتح الراء هنا. وفي السطر التالي ضبط

«صالح» بفتح اللام، بدل الكسر. وفي الخامس عشر ضبطت «الأكدار» بضم الهمزة، بدل فتحها. وجاء في البيت الأخير بها «سيسوء» بفتح الهمزة. والصواب ضمها.

الصفحة 591 في البيت الثالث ضبط «تعدم» بضم التاء، والصواب فتحها. والبيت الرابع والأخير مدور عند اللام من «الاله» وجاء آخر السطر الخامس وأول السادس «بسر الروع» وعلق عليه بأنه في النفح ساقط. والواقع أنه جاء محل ذلك كلمة «اليم» صائبة. وفي السابع ضبط «الحلاحل» بفتح الحاء الأولى. والصواب ضمها. وبعده «فإذا لك من إبراهينيك» والصواب فأدالك من إبراهيمك» وفي أول الذي يليه ضبط «وعرفك». بسكون الراء وضم الفاء. والصواب تشديد الراء وفتح الفاء. وفي آخر تاليه ضبط «يحمد» بالفتح بدل الضم. وفي أول الثاني عشر ضبط «خصيصي» بتخفيف الصاد الأولى. والصواب تشديدها. وفي الرابع عشر يضبط «شبه» بفتح الباء.

الصفحة 592 جاء في السطر السادس «وأنشده» بفتح الهمزة. بدل ضمها. وفي البيت الثاني من الثلاثة. ضبط «حرم» بضم الحاء. والصواب فتحها. وبعد الأبيات جاءت «وأن» بفتح الهمزة. والصواب كسرها. وفي الرابع عشر تحرف «بحظ» فكتب «بخط».

الصفحة 593 سقط أول المصراع الثاني من البيت الثالث الواو في «ونحن» ثم كذلك في «والموت» فجاء : نحن في ذا الموت قد وصلا. وفي الثامن سقط الهمز من «وأقرأ» وفي العاشر سقط نقط «جمال».

الصفحة 594 ضبط أول البيت التاسع بها «ولا استثمرت» بضم التاء، وهي ساكنة للتأنيث. وفي الثالث عشر من سطورها ضبط «ابر»

بفتح الهمزة وكسر الراء المشددة. والصواب الكسر ثم التخفيف. جمع إبرة. والدبر بعده بفتح الدال.

الصفحة 595 في السطر الحادي عشر. ضبط «الرجاء» بفتح الهمزة. بدل كسرها.

الصفحة 596 في السطر الرابع ضبط «السنوح» بفتح السين والصواب ضمها. وفيما بعده ضبط «الضيفان» بفتح الضاد وهي بالكسر وفي أول البيتين بها. ضبط «حمصاء» بضم الحاء. بدل كسرها. وفي ثانيهما ضبط «تهتج» بتشديد الجيم المضمومة. وهي ساكنة.

الصفحة 597 في آخر السطر الحادي عشر ضبط «جنحه» بفتح الجيم. بدل ضمها.

الصفحة 598 جاء في المصراع الثاني للبيت الأول بها «الحزن» بضم الحاء. والصواب فتحها. وفي السطر الثامن. ضبط «وأخمدت» بالبناء للمجهول. وهو للمعلوم. فاعله التاء. وفي الحادي عشر ضبط «يضيرك» بضم الياء. بدل فتحها. وفي الرابع عشر. تحرف «منها» بعليها. وفي أول البيتين الأخيرين. الأوفق من «الرياح» فيه ما ورد في النفح وهو «النسيم» فكان إثبات هذا أحق.

الصفحة 599 في أول السطر الثاني ضبط «فاني» بفتح النون. بدل كسرها. وفي أول الرابع ضبط «سوسه» بالضم. والصواب الفتح. وفي آخر السطر الثاني عشر ورد فلم أطق كبحه» بفتح الهمزة. بدل ضمها. وفي أول تاليه «فلم أفق» بفتح الهمزة. بدل ضمها.

الصفحة 600 في السطر التاسع جاء «بعدت» بالبناء للمجهول. والصواب كونه للمعلوم. وفيه جاء «آية سلكت» والصواب «أية» بالقصيرة. وتشديد الياء. وفي السادس عشر تصحف «انهاضه» بالصاد.

الصفحة 601 جاء في السطر السادس «طعنه» بسكون العين، والصواب فتحها. وفي تاليه، تحرف «خلالها» بالحاء المضمومة. ثم تحرف «ووقى» بالفاء. وفي العاشر، تصحف «والحمد» بالجيم.

وفي أول الثالث عشر، ضبط «أخواتها» بكسر الهمزة، بدل فتحها. وفي البيت ضبط «غذته» بتشديد الذال، وهو مخفف.

الصفحة 602 جاء في السطر الأول «بالريحان» مكسور الراء، وبعده «والروح» مضموم الراء، وهو مفتوحها، بدليل اللوح والبوح بعده وجاء السطر الثاني عشر هكذا :

ولو لم يوجب الحق برقه ورعده، ووعيده ووعده، لأُوجبه بمنه وسعده.

ضبط «الحق» بالضم وحقه النصب، ثم برقه ورعده ووعيده ووعده، ضبط جميعها بالفتح وحقها الضم، وبمنه، صوابه يمنه، بالضم وسعده كذلك وفي الثامن عشر، ضبط «يضيره» بضم الياء، بدل فتحها.

الصفحة 603 في السطر الثامن ضبط «فتخر» بضم الخاء، بدل كسرها. وجاء في البيت الثالث تضمين «تلقف ما يافكون» بسكون اللام وتخفيف القاف من تلقف، ثم فتح الفاء من يافكون، والصواب فتح اللام وتشديد القاف، ثم كسر الفاء، ولا يتزن البيت إلا على هذا. والبيت الأخير مدور. وفي السطر الخامس عشر ضبط «القرب» بتسكين الراء، والصواب فتحها. وفيما يليه ضبط «بدرككم» مفتوح الباء، مسكن الدال، والصواب الكسر فالفتح.

الصفحة 604 ورد في السطر الثاني «الشعواء» بإثبات الهمزة، والصواب إسقاطها، لتناسب «الدعوى» قبلها. وفي الثالث ضبط «فيثقل»

بفتح الياء وضم القاف. والصواب ضمها وكسر القاف. وفيما يليه ضبط «تستروح» بالبناء للمعلوم. والصواب كونه مبنيا للمجهول.

وفي التاسع ضبط جماد ياه» بتشديد الياء، وهي مخففة. وفي الذي يلي هذا ضبط «النحيين» بفتح النون بدل كسرها. ثم تحرف «فلئن» «فلهن» . وفي الثالث عشر ورد «بلي» والصواب «بلا» بفتح اللام لا كسرها. وفي السادس عشر نون «مطاوعة» وهي مضافة.

الصفحة 605 القطعة الشعرية الثانية بها مدورة أبياتها. وجاء فيها مصراع هكذا : «والناس يلمون غراب» والصواب : والناس يلحون غراب وبعد الأبيات جاء «أنزل» بالبناء للمجهول. وهوللمعلوم.

الصفحة 606 جاء بالسطر الثاني :

«وأي ذنب لذى ذنب شائل. وليث ما يل بازاء لج هايل»

والأنسب همز شائل وهائل معا أوترك همزهما. وهذا أنسب لما يل قبل الأخير. والا لهمز هذا كذلك للمناسبة.

وفي الرابع ورد «يتعيد» ولا تستقيم مع ما قبلها من «يعيد». و«العيد». وفي الرابع ضبط «ويشن» بضم الياء، وهي مفتوحة. وفي ثاني بيتين ضبط «يفرق» بفتح الراء. والصواب كسرها. وفي أول الثاني عشر جاء :

«وتغير لسانها عن شوقي من دون عقله»

ولعل صوابه :

«وتعبر بلسانها عن شوقي من دون عقلة»

بالتاء.

الصفحة 607 جاء من أبيات على مخلع البسيط هذه المصاريع بما يلي :

«أجبنا لديها الرضى جنان»
«ما للمبار به يدان»
«تقول أوضاعها للغوأن»
«يارب بارك لمن بان»

وهي هكذا لا يستقيم لها وزن، ولا يتضح لها معنى.

وفي السطر بعدها، تحرف «تستثار» بالشين.

وفي المصراع الثاني لثاني ثلاثة أبيات بعدها ضبط «يغذين» بتشديد الذال، ولا يستقيم بذلك وزنه.

الصفحة 608 جاء في الحادي عشر «يوسانيا وروسم» ولا يبدولهما معنى.

الصفحة 609 في السطر الثالث ضبط «شمال» بفتح الشين، والصواب الكسر. وفي السابع ضبط «الحلق» بسكون اللام بدل الفتح. وفي آخر بيت بها ضبط «مغفر» بفتح الميم، بدل كسرها. وفي الرابع عشر ضبط «شنشنتها» بفتح الشينين، بدل كسرهما. وفي آخره ضبط «المرزم» بفتح الميم بدل كسرها. وفي السطر بعد بيتين، ضبط «لدتها» بتشديد الدال. والصواب التخفيف.

الصفحة 610 ضبط أول بيت فيها «تشم» بفتح التاء وكسر الشين. والصواب الضم فالفتح. وفي الذي قبل الأخير سقط النون من «كان».

الصفحة 611 في الشطر السابع ضبط «موزع» بالضم، وهو بالكسر. وفي آخرها وردت «لزارت» والصواب الهمز «لزأرت».

الصفحة 612 جاء في السطر الثامن:

«اللهم كلف سيدي وأجزه»

ولعل صوابه :

«اللهم كاف سيدي وأجزه»

بهمز الوصل لا القطع. وفي آخر السادس عشر «وتكحل به» بضم التاء وتسكين الكاف. والصواب تشديد الحاء بعد فتح الكاف. أو يجعل ثلاثيا. وفي آخر التاسع عشر جاء «الملغي» من الثلاثي. والصواب كونه من الرباعي «ألغي» بدليل «المعمل» بعده.

الصفحة 613 جاء بالسطر الثاني :

«يحفظ منه في الولاء ولي القبلة. وولي المكارم بالكسب والجبلة»

فلعل «القبلة» محرف.

الصفحة 614 جاء آخر السطر التاسع «وأمهات» ولعلها «وأمات».

الصفحة 615 جاء في السطر التاسع «وأضجمت» بالبناء للمعلوم. والصواب كونه للمجهول. وفيما يليه ضبط من الآية ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا بفتح همزة «أوتي» وفي الذي يلي هذا. ضبط «جذل» بسكون الذال. والصواب فتحها. وفي الثالث عشر ضبط «أني» بفتح الهمزة. وهي بالكسر. وفي الخامس عشر ورد «آبائه» والصواب ابائه» بكسر الهمزة.

الصفحة 616 جاء بالبيت أول سطورها «سبعا» بسكون الباء. والصواب الضم. وفي السطر الثاني جاء «وبريت فنصل» بكسر الراء. وفتح الصاد. والصواب الفتح فالكسر. وفي الخامس ضبط «جبلك» بكسر الجيم والباء وتشديد اللام. والصواب فتح الأولين وتخفيف الأخير. فعلا ماضيا. وفيما يليه جاء :

«ما استدعيت به عونك فيهم»

وهو لا يستقيم مع ما بعده... «تقويم نفسك...» وفي الثامن ضبط «وحراسه» بالكسر. وهو بالضم. وفي أول تاليه «وأخذ» بالكسر كذلك. وهو بالضم أيضا. وفي الحادي عشر ضبط «النصب» بكسر النون. بدل فتحها.

الصفحة 617 جاء أول السطر فيها «الموه» والصواب المره. بالراء. وفي الثامن ضبط «وكلته» بضم التاء. والصواب فتحها. للخطاب. وفي الرابع عشر ضبط «واثبت» بفتح الباء. وهي بالضم. ثم ضبط «وسلوا» بتخفيف اللام. وهو بالتشديد.

الصفحة 618 في السطر الحادي عشر ضبط «بمقتضبك» مكسور الضاد. والصواب الفتح. وفي الثالث عشر ورد «وهدوئها» وهي منصوبة.

الصفحة 619 جاء في السطر الرابع «الفناء» بكسر الفين. وهي مفتوحة. وفي العاشر «شبعهم» بفتح الشين. بدل كسرها. وفي السطر قبل الأخير ضبط «حركاتها» بفتح التاء. بدل كسرها.

الصفحة 620 جاء بالسطر الثاني «الخلف» بضم الخاء. والصواب فتحها. وفي السطر الثالث ورد «أعلاها» والصواب «أعلاهم».

ثم جاء «أحظارا» بالظاء. ولعله بالضاد. وفي تاليه ضبط «وأضبطهم» بضم الباء بدل الكسر. وفي الخامس ضبط «وأحسنهم». بالكسر وهو بالضم. وفي السادس ضبط «وأشدهم» بكسر الشين وتسكين الدال. بدل فتح الشين وضم الدال المشدد. وفي السابع ورد «بلى» صوابه «بلا». وفي التاسع ضبط «حسن» بسكون السين وضم النون. والصواب الضم فالفتح. وفي آخر العاشر ضبط «صبره» بالفتح وهو بالضم.

الصفحة 621 في أول السطر الثاني سقط نقط الزاي من «وأنزلهم». وفي السادس ضبط «مطل» بكسر اللام منونا. والصواب الفتح. ولا تنوين. للإضافة. وفيه ضبط «رباب» بكسر الراء. ولعله بالفتح. وفي السطر قبل الأخير ضبط «واتباعه» بهمزة قطع وبكسر العين والصواب همزة الوصل وتشديد التاء. وضم العين. وفي آخرها ضبط «من» بفتح الميم. والصواب كسرها.

الصفحة 622 في السطر الأول ضبط «عمله» بالضم وهو بالكسر. وفي السادس ضبط «مصالحته» بالضم. وهو بالفتح. ثم جاءت «فثانه» بالهاء. والصواب التاء. وفي السطر قبل الأخير ضبط «مراس» بفتح الميم. بدل كسرها.

الصفحة 624 بالسطر الثاني ضبطت «لهواته» بسكون الهاء بدل فتحها. وفي السطر قبل الأخير. ضبط «أحب» بالضم وهو بالفتح.

الصفحة 626 ضبط أول سطرها «السلسال» بكسر السين. بدل فتحها. وتكرر هذا منه.

الصفحة 627 ضبط في السطر السابع «نفرك» بسكون الفاء. بدل فتحها. وفي السطر قبل الأخير. ضبط «وتربطه» بضم الباء بدل كسرها .

الصفحة 628 ضبط في السطر الثاني «فأجل» بكسر الجيم المشددة. والصواب فتحها مخففة وتشديد اللام. وفي آخر الثالث. ضبط «خلفه» بكسر اللام. والصواب ضمها. وفي السابع ضبط «انكساره» بهمزة قطع. وفي الحادي عشر. ضبط «وصف» بكسر فسكون. والصواب الفتح فكسر مشدد. وفي الثالث عشر ضبط «العلماء» بالفتح. بدل الكسر. وفي تاليه ضبط «تبذل» بكسر الذال. بدل ضمها.

الصفحة 629 في آخر السطر السابع، ضبط «بظمنك» مسكن العين بدل فتحها.

الصفحة 630 في السطر الحادي عشر ضبط «اضطلاعك» بتشديد الطاء. وقد تكرر هذا كثيرا. وأشرنا إلى بعضه فيما مضى.

الصفحة 631 في السطر الأول ضبط «ويمد» بفتح الدال. وهو بالضم. وفي الثالث ضبط «ملكتك» بضم الميم وتسكين اللام وفتح الكاف وفي السابع ورد:

«واحكم بريك في الله ونحتك»

وهو غير واضح. وفي آخر الحادي عشر ضبط «اللجج» بضم اللام. بدل الفتح.

الصفحة 632 ضبط في السطر الأول «يعظم» بتشديد الظاء مكسورة. وهي خفيفة مضمومة. وفي السابع ضبط «طوره وطور» بالضم، وهما بالفتح. ثم «وتجاوز» بضم الواو والزاي،وهما بالفتح كذلك. وفي آخر الحادي عشر. ضبط «بهواجس» مسكن السين. بدل الفتح.

الصفحة 633 جاء أول البيت الرابع «من بطرفي» والصواب «من لطرفي» وفي أول التاسع ضبط «تأمل» بفتح الهمزة وتشديد الميم المفتوحة. والصواب السكون، ثم الضم بلا تشديد.

الصفحة 635 ضبط في السطر الثالث «وحفظة» بفتح الحاء بدل ضمها. وفي الحادي عشر جاء «لملك» والصواب بملك.

الصفحة 636 جاء بالسطر الحادي عشر «النكر» بضم النون، والصواب «النكير» بفتحها. وفي السطر الرابع عشر «لبعض الأوغاد» والصواب «بعض...».

الصفحة 638 في البيت الأول فيها ضبط «غرناطة» ممنوعة من الصرف، وهي مصروفة للوزن. وجاء المصراع الأول للخامس هكذا :

«وأني صنعت فيها الغريب»

ولا يستقيم وزنه بهذا.

وجاء السابع هكذا :

وما خصنى زمني بالعقوق فكـــــــم من فاضل مبتلا

(وهو غير قويم).

وبعده جاء مصراع هكذا :

«أان ظهرت نعمة الإله»

والصواب :

أآن ظهرت نعمة للإله

بفتح الهمزتين، وليس بكسر الثانية كما أثبت. وجاء كذلك فيما يلي هذا البيت وفي الثاني عشر جاء «لولا أنوفا» وكتب البيت الخامس عشر على غير ما يجب، وضبط آخره «يجهلا» بتشديد الهاء، وهي مخففة وجاء المصراع الثاني للثالث عشر هكذا :

«ويلقى على من عدا الله ركلا»

وهو لا يستقيم. وصواب المصراع الأول للخامس عشر انتهاؤه عند «يظله» وبعده جاء المصراع الأول هكذا :

ما ركبت الدجا إذ

ولا يستقيم . وجاء البيت قبل الأخير هكذا :

ولكن ليته بصبر جميل قضماء الذي لم يزل مجملا

والمصراع الأول غير تام أما الثاني فصوابه :

قضاء الذي لم يزل مجملا

الصفحة 639 جاء البيت الأول بها هكذا :

وأسكنت ناري لما دعا   وأسكنت يأسي لما غلا

وهو لا يستقيم وزنا ولا يتضح معنى، وجاء المصراع الثاني لتاليه هكذا :

«ذمامي ووجزت بالقلا»

وهو كذلك مثل سابقه، وفي أول بيت من أخرى ضبط «من» بكسر الميم، وهي مفتوحة.

الصفحة 640 جاء في البيت الأول بها «بحيرة» والصواب «لجيرة» باللام والجيم.

وفي أول الذي يليه ضبط «وسق» بكسر السين، بدل ضمها، ثم جاء البيت الثالث هكذا :

فلا أنس سوى ادكاري   ولا جليس اشتياق

والصواب :

فلا أنيس سوى ادكارى   ولا جليس سوى اشتياق

وبعده :

«ففي غدوى بها اصطباحي»

صوابه : في غدوى .... بضم الغين والدال وليس بالفتح والسكون، كما أثبت، وجاء المصراع الثاني للسادس هكذا :

«هل يصح شمل في اتساق»

ولا يستقيم وصوابه :

هل يصبح الشمل في اتساق

وجاء المصراع الثاني للرابع عشر هكذا ،

«ما اخترت بها سوى التلاق»

ولا يستقيم ولعله ،

ما اخترت منها سوى التلاق

وجاء البيت الأخير ،

إن لم تجد منك لي برحمى   ما لي في الخلق من خلاق

بفتح راء «برحمى» وهي بالضم، وكسر خاء «خلاق» وهي بالفتح، بمعنى الحظ. كما في القرءان «لاخلاق لهم في الآخرة» أي لاحظ لهم فيها.

وقد فاتنا كثير من النصوص. وفي مقدمتها الأشعار. وعلى الأخص ماكان منها لابن الخطيب، لم نستطع تصحيحها لعدم وجود ديوانه بأيدينا كما أننا لم نرجع إلى المخطوط من الإحاطة إلا قليلا. لكوننا لا نقوى على قراءة المخطوط في الغالب .

وبعد فقد أرهقنا هذا العمل واستبد بنا أياما طوالا. وغرضنا التنبيه على ما ورد من التصحيف والتحريف والسقط لكلمات. أو زيادة أخرى. ولا معنى لها. أو أنها تخل بموازين الشعر أو قوافيه. فعملنا حقق بعض ما يجب إصلاحه كما نظن. وفاتنا غيره وليس بالقليل. عجزنا فيه كل العجز. وأملنا أن لا يظن بنا الظن السوء. كما يحلو لبعضهم. أو يضيق به صدر بعضهم الآخر. وليس الأستاذ عنان من هؤلاء ولا أولئك. وهو في تلك الأخطاء معذور غالبا. ومن مارس المخطوطات. ومقابلة نسخ بعضها مع بعض. فإنه يدرك مقدار العناء الذي تجشمه الأستاذ عنان في إخراج

هذا الكتاب، الذي تحاماه القوم قديما وحديثا، وكأنه في أصله كان على شيء من تلك الأخطاء أو بعضها، خصوصا في القصائد وبعض القطع النثرية الفنية كما أشرنا إلى ذلك آنفا.

تطوان محمد ابن تاويت

مفهوم الجملة في اللسانيات والنحو العربي

د. محمد خير الحلواني

ترجع أهمية الجملة إلى أنها من أهم المكونات الأساسية للغة. فهي وحدة تركيبية قابلة للتحليل. وهي أيضا مما يعنى به الباحث الذي يدرس التركيب اللغوي Syntax لأنها من دون شك أبرز الوحدات فيه. وأتمها تكوينا.

وعلى الرغم من هذه الأهمية نرى اللسانيات الحديثة لم تولها من عنايتها ما هي به جديرة إلا في السنوات الأخيرة الماضية. فعلى حين كان النحو التقليدي في أوربا يدرس الجملة ويحددها على أساس من معطيات النحوين ، الإغريقي واللاتيني. كانت الفيلولوجيا في القرنين ، الثامن عشر. والتاسع عشر. تعنى بدراسة صلات القربى بين اللغات. وتحشد كل طاقاتها في دراسة جذور الكلمات Etymology وتحولاتها عبر العصور.

ولعل اللغوي السويسري دي سوسور لم يستطع أن يفلت تماما من ماضيه الفيلولوجي حين كان يملي محاضراته الشهيرة. فعلى الرغم من ثورته على المنهج التاريخي المقارن ظل يهتم بالوحدات الصغرى من اللغة. كالصوت. والمورفيم. والكلمة. ولم يرق بلسانياته الرائدة إلى

مستوى تحليل الجملة، لأنه عدها من قبيل الكلام Parole لا من قبيل اللغة (1) Langue . والمعروف عنده أن موضوع اللسانيات الوحيد هو اللغة دون غيرها من الظواهر اللغوية اللسانية (2).

غير أن هذا لم يكن عاما في النهضة اللسانية، إذ عني اللغويون التشيكيون بدراسة الجملة وتحليلها، ولا سيما زعيمهم ماتيزيوس V. Mathesius وكان معاصرا لسوسور، وبقي بعده دهرا طويلا، وهو رئيس مدرسة براغ في مرحلتها الأولى، قبل أن يطرأ عليها العلماء الروس في أواخر العشرينيات من هذا القرن وينتقلوا بها إلى العناية بدراسة الفونيم.

وفي أمريكا نجمت المدرسة البنيوية السلوكية بزعامة بلومفيلد، ولكنها لم تكد تقدم في دراسة الجملة ما يزيد على تعريفها، وتحليلها إلى مكوناتها المباشرة، مما سنتحدث عنه بشيء من التفصيل في فقرات هذا البحث، غير أنها كانت منطلقا للمدرسة التوزيعية التي تعد ابنتها في المنهاج، والتي لم تدخل في مفهوم الجملة شيئا جديدا.

ثم جاءت أخيرا المدرسة التوليدية التحويلية فجعلت الجملة ميدان التحليل اللغوي خاصة، مستفيدة من تجارب السلوكيين والتوزيعيين، ومطورة لها تطويرا واسعا.

أما في الدراسات العربية فيبدو أن دراسة التركيب الجزئي Construction وهو أحد عناصر الجملة ـ قد بدأ في زمن مبكر جدا، إذ

---

1) انظر : « Course in general linguistics » الترجمة الإنكليزية، ص : 124.
2) نفسه، ص : 7 ـ 20.

نجده واضحا في كتاب سيبويه. بل هو الأساس الذي قام عليه «الكتاب» كله. غير أن سيبويه لم يتناول الجملة الكلية. ولم يرسم لها حدودا واضحة. ولم يفعل ذلك أيضا خالفوه حتى منتصف القرن الرابع للهجرة. رغم أنهم كانوا يستعملون المصطلح «جملة» في بعض بحوثهم. كما نجد مثلا في تراث المبرد. والزجاجي. والنحاس. وغيرهم (3).

1 ـ مفهوم الجملة في النحو الغربي التقليدي :

لعل من الأفضل أن نذكر في البدء أن من المستحيل تحديد مفهوم واضح للجملة من خلال مئات التعريفات التي وضعت لها منذ أفلاطون حتى يومنا هذا. ويغلب على الظن ـ إن لم يكن مؤكدا ـ أننا لا نستطيع تعيين تعريف واحد ووصفه بأنه أحسن ما وضع من تعريفات. وإن النظريات اللغوية التي ظهرت منذ بداية القرن العشرين لم تستطع أية واحدة منها أن تقنع الناس بتحديد مفهوم واضح للوحدات اللغوية. كالكلمة. والجملة (4).

وإذا كانت النظريات اللسانية الحديثة ـ على عمقها. وإيغالها في التحليل ـ لم تستطع حسم هذه المشكلة. فمن الطبيعي أن يكون النحو التقليدي في أوربا خاصة عاجزا عن ذلك. فما الذي قدمه ؟

---

3) أنظر : المقتضب ج 1 ص 8. وشرح كتاب الجمل للبطليوسي 165. 358. وإعراب القرآن للنحاس ج 1 ص : 160 و 206.

4) انظر مثل هذا في كتاب ديفيد كريستال Linguistics ص : 200.

لقد ميز بين ثلاثة أنواع من التراكيب، هي :

1 ـ الجملة : Sentence

2 ـ الجملة التابعة : Clause

3 ـ شبه الجملة : Phrase

أما الجملة التابعة فهي من حيث البنية النحوية كالجملة. إذ تشتمل على مسند ومسند إليه. ولكنها جزء من الجملة. كأن تحل محل الاسم. أو محل الصفة. أو محل الظرف. كما يقال في هذا النحو (5).

وأما الجملة فقد قيل في تحديدها ما لا يحصى من التعريفات. ونؤثر أن نذكر منها ثلاثة فقط. لأن كلا منها يمثل اتجاها يختلف عن الآخر :

ا) ـ الاتجاه الدلالي :

وربما كان هذا الاتجاه هو السائد في النحو التقليدي. لأنه يلبي غرض المنطق الصوري القديم الذي يرى في كل جملة «قضية» أو «حكما». والتعريف الذي يقترحه هذا الاتجاه هو «أن الجملة ما يعبر عن معنى مفرد تام» (6).

ب) ـ الاتجاه الخطي :

وهذا اتجاه آخر يبدو أنه لم يكن شائعا. وربما كان الغرض منه تعليميا. يقوله المدرسون لطلبتهم لتحديد مفهوم بسيط للجملة. ويرى هذا

5) أنظر : سيميون باتر : Modern linguistics ص : 105 ـ 110.

6) انظر : بربارا سترانك : Modern English structure ص 63

الاتجاه : «أن الجملة هي مجموعة من الكلمات تفصل عن غيرها بنقطة واحدة» (7).

ج) ـ الاتجاه الإسنادي :

والجملة بحسب هذا الاتجاه هي : «ما اشتمل على مسند ومسند إليه» (8). وهذا يطابق التحديد العربي الذي سنتحدث عنه فيما يأتي.

وما أراني بحاجة إلى مناقشة الاتجاه الثاني لبساطته وسطحيته. ولا إلى مناقشة الاتجاه الثالث لأنه سوف يكون محور البحث في الفقرات التالية. وبهذا يكون الاتجاه الأول هو الجدير بالمناقشة هنا.

الحق أننا يمكن أن نوجه إلى التعريف الأول، مجموعة من الملاحظات، أولها، أنه يبقى ضمن إطار المجال الذهني. ومن هنا يعسر تطبيقه في كل موضع، فإذا سهل في واحد، صعب في آخر. إذ من الممكن مثلا أن يقال : إن بيت المتنبي التالي جملة واحدة بحسب هذا المعيار :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم

ولكن الأمر ليس بهذه البساطة في نصوص لغوية أخرى. فهي لا ترخي زمامها لهذا التحديد في كل تركيب. ولنأخذ على ذلك مثالا بيت الحطيئة المشهور :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

---

7) المصدر نفسه ص 62.

8) انظر : فرانك بالمير Grammar ص : 71

أفيه فكرة واحدة تامة. أم فيه أربع أفكار يستقل بعضها عن بعض. ويكمل بعضها بعضا ؟ فمن الممكن أن يذهب باحث إلى أن البيت كله فكرة واحدة تامة. لأن قوله ، لا ترحل لبغيتها. من حيث الوظيفة. لا يعدو أن يكون توكيدا. أو إن شئت ، تكرارا لمعنى قوله ، «دع المكارم». ومثله قوله ، «اقعد». ثم يأتي قوله الأخير ، «فإنك أنت الطاعم» ليكون تسويغا للأمر الذي وجهه الشاعر إلى مهجوه. وبهذا يكون البيت كله جملة واحدة. لأنه فكرة واحدة تامة.

ولكن من السهولة بمكان أن نبرهن على أنه أربع أفكار أو جمل. أو أنه فكرتان أو جملتان. فهو أربع جمل لاستقلال بعضها عن بعض في البنية النحوية والفكرة الجزئية. وهو جملتان لأن قوله ، «دع المكارم... واقعد». جملة واحدة ومعناها واحد. ولكن لا يختلف إلا الألفاظ. وقوله ، «فإنك أنت الطاعم» جملة أخرى لأنها تعليل للأمر.

هذا الإطار الذهني يبقي معيار الدلالة عاجزا عن التحديد الحاسم. ويترك مجال القول ذا سعة.

أضف إلى ذلك عيبا آخر يكمن في مفهوم الفكرة التي تعبر عنها الجملة. إذ ليس هناك طريقة يمكن أن تدرك فيها هذه الفكرة مستقلة عن الكلام المنطوق كله. فحين نسمع متحدثا ما لا نستطيع أن نعزو إلى حديثه أنه عبر عن هذه الفكرة، ثم عن تلك. بل لا يستطيع ذلك المتكلم نفسه. مهما يكن حظه من اليقظة والمعرفة (9).

(9 انظر ماتيوس. Syntax ص ، 27 بتصرف يسير.

ملاحظة أخرى يمكن أن تكون أكثر أهمية. وأوضح دلالة على ضعف المعيار الدلالي، هي أن جملتين مثل :

- لقد تعب المسافرون. أنا تعبت كذلك.

تتحولان بمفهوم النحو التقليدي إلى جملة واحدة إذا ربط بينهما رابط نحوي، كحرف العطف مثلا، أو كحرف الشرط. كما في :

- لقد تعب المسافرون وأنا تعبت كذلك.
- إن تعب المسافرون فأنا تعبت كذلك.

فعلى أي أساس يتم هذا التحديد ؟

أغلب الظن أن المسؤول عن هذا هو ظواهر الكتابة كالتنقيط وإبهام معيار الدلالة. فبوجود حرفي العطف والشرط يعامل التنقيط الجملتين معاملة الجملة الواحدة في الفرنسية والإنكليزية. أما إبهام معيار الدلالة فيتضح في أن الفكرة الكلية تجمع بين فكرتين جزئيتين، رغم أن ما قبل حرف العطف في الجملة الأولى يعبر عن فكرة تامة مفردة، ويتوفر له من المكونات التركيبية ما يتوفر للجملة التامة.

نخرج من هذا إلى نتيجة قد تكون حاسمة، هي أن معيار لدلالة لا يصلح أن يكون مرتكزا لنا في تحديد الجملة، لما يعتوره من نقص وتسيب.

2 ـ مفهوم الجملة في اللسانيات الحديثة :

ذكرت في مطلع هذا البحث أن دي سوسور لم يتناول في محاضراته الجملة، مما أتاح لخالفيه أن يحددوها كما تملي عليهم رؤاهم

اللغوية. وقد كان أنطوان مييه أهم اللسانيين المحدثين الذين درسوا الجملة. حتى إن تعريفه لها قد ترك بصمات واضحة جدا على تحديد كل من بلومفيلد. وأندريه مارتينيه (10) إنها عنده «مجموعة من الأصوات تجمع بينها علاقات نحوية. وهي مكتفية بذاتها. ولا ترتبط بأية مجموعة أخرى من الناحية النحوية (11).»

وعلى الرغم من تأثر بلومفيلد الواضح بمفهوم مييه. نجد تعريفه يشيع في الباحثين. ويعرض ويناقش في البحوث اللسانية دون أن يذكر بإزائه تعريف مييه إلا نادرا جدا. مما يسمح لنا أن نجعله النموذج الذي تقره اللسانيات الحديثة عامة. واللسانيات البنيوية خاصة.

يقول بلو مفيلد : «إن الجملة بنية لغوية مستقلة لا تتضمنها بنية لغوية أكبر منها بموجب أي رابط أو تركيب نحوي (12)» ويرى جان ليونز أن هذا التعريف يجعل الجملة أكبر الوحدات اللغوية في التحليل النحوي (13).

وقبل أن ندخل في مناقشة هذا الحد نحب أن نشير إلى أن ثمة تعريفات كثيرة تصدر عن هذا المفهوم. وتعدل منه. وتضيف إليه (14). ولكنها لم يكتب لها من الذيوع والانتشار مثل ما كتب له. مما يجعله هو المفهوم العام للجملة في اللسانيات الحديثة.

---

10) جورج مونان. علم اللغة في القرن العشرين. (الترجمة العربية) 164 وماتيوس : 47.
11) مونان : المرجع السابق (مع تصرف في اللفظ). ص : 44.
12) كتابه : Language ص : 170.
13) كتابه : Introduction ص : 172.
14) انظر : روبنس — General ص : 146 ـ 147. وماتيوس : Syntax ص : 29.

وأهم ما يكشف عنه مفهوم بلو مفيلد هنا هو أن المعيار الذي يستند إليه هو التركيب نفسه لا مكوناته وأجزاؤه. فما يكون جملة في موضع قد يكون جزءا من جملة في موضع آخر. فقولنا مثلا ، قرأت الكتاب. جملة لأنه مستقل، ولا يرتبط بغيره برابط نحوي، ولكنه يتحول إلى جزء من جملة إن قلنا :

- قرأت الكتاب ثم كتبت عنه.
- هل علمت أني قرأت الكتاب.
- لولا الإرهاق لقرأت الكتاب.

وواضح من هذا أن معيار بلو مفيلد في ظاهره ينفي معيار الدلالة الذي اعتمده النحاة التقليديون، ولكنه في جوهره لا يكاد يخرج عنه. بل يصل إلى النتيجة التي وصلوا إليها. فحين لا تكون البنية اللغوية جزءا من بنية أكبر منها تؤدي معنى تاما بشكل طبيعي إذا استثنينا ما سماه اللسانيون بالجمل الناقصة. ويؤكد هذا جميع ما وضعه من أمثلة على مذهبه (15)، وبهذا يكون بلومفيلد قد قدم برهانا بنيويا على ما ذهب إليه النحاة التقليديون قبله في تحديد الجملة.

يضاف إلى ذلك أن حديثه عن تحليل الجملة إلى مكوناتها المباشرة ومكوناتها الكلية ينم على أنه ظل يتمسك بالدلالة وإن كان يقصيها في الظاهر. فقد ذكر أن أي متكلم إنكليزي يدرك أن المكونين المباشرين للجملة التالية : «جان المسكين ركض بعيدا». هما :

1 - جان المسكين.

---

15) انظر الفصل الذي أفرده لدراسة أنماط الجملة. ص : 170 وما بعدها.

2 ـ ركض بعيدا (16).

وإذا كان لم يفسر لنا سبب هذا الإدراك فإن ذلك يوافق منهجه المفرق في الوصفية. ولكنه مع ذلك لا يخفي أن العلاقة الدلالية هي التي توجه المتكلم الأصيل في إدراك شطري الجملة.

شيء آخر نجد فيه بلومفيلد يلتقي مع النحاة التقليديين. هو أنه لا يعد من قبيل الجملة ما كان جزءا من بنية أكبر منه. وقد رأيناهم يطلقون على هذا النوع من البنى المصطلح Clause . وبلومفيلد والتقليديون هنا يساوون بين هذه البنى مساواة مطلقة. فما كان منها طرفا في الإسناد مثل : (العدالة «لا تشفق على الجاني») يساوي عندهم في الأهمية والتسمية ما قام بوظيفة مكملة كالصفة أو الحال. في مثل : (هذا علم «يصعب على العامة» و (مررت بالبحر «تتلاطم أمواجه»). فإذا صح لنا أن نعتبر البنية الأولى جزءا من الجملة لأنها أحد ركنيها ولا تقوم الجملة من دونها. فإن اعتبارنا الجملتين الأخريين مثلها ـ وهما متممتان ـ لا يخلو من تجاوز للدقة في تحليل وظائف المركبات.

ثم ما الذي يجنيه علم اللغة من اعتبار الـ « Clause » وحدة منفصلة عن الجملة ؟ الحق ـ كما يقول بالمير ـ أن من الأفضل «أن تعالج على أساس اندماج جملة في أخرى. وليس مما يجدي أن تعالج على أساس أنها جملة تتألف من جزئي جملة Tow-clauses . فالجملة المندمجة لا تزال تحتفظ بكل مقومات الجملة وخصائصها (17)».

---

16) نفس المصدر : 161.

17) كتابه : Crammar ص : 80.

والذي نخرج به من هذه المناقشة. هو أن مفهوم بلومفيلد لم يقدم جديدا في الجوهر. وإذا كان قد اعطى الشكل أهمية معيارية فإن هذا لم يعد الظاهر. لأنه لا يجافي النتائج التي توصل إليها معيار الدلالة. والتي ناقشناها من قبل.

وهاهنا إشارة أخرى تفيدنا في مفهوم الجملة. ربما رجعت في جذورها الأولى إلى ما قاله دي سوسور في محاضراته. فحواه أن الجملة من الكلام Parole لأن بنيتها تتميز بالحرية (18). وهذا يعني أنها عملية إبداعية في حدود ممارسة القوانين اللغوية التي يفرضها نظام اللغة العام. فهل ينص في تحديد مفهوم الجملة على ضرورة أن تكون ذات بناء مبتدع يتشكل بالقواعد أو بالقوانين ؟ أي هل من اللازم أن يكون عنصر الإبداع داخلا في حد الجملة ؟

إن كان الجواب بالإيجاب وجب أن تخرج الأقوال المأثورة التي يسميها سوسور العبارات الجاهزة Ready – made Ulterance (19) أو العبارات المستظهرة Pat-phrase (20) كالأمثال. وألفاظ التحية ، عم صباحا. أهلا وسهلا. لأنها لا تبنى على أساس القواعد. بل هي أشكال سابقة الصنع. تستعمل كلها على وفق تراكيبها المحنطة.

هذه المشكلات التي وقفت دون اللسانيات الحديثة. وحالت بينها وبين أن تحدد مفهوما دقيقا للجملة جعلت بعض الباحثين المعاصرين يبحثون عن مفهوم آخر يتخذونه وحدة تحليلية. فاتجه بعضهم إلى

---

18) كتابه ، ...Course in ص ، 124.
19) انظر جان ليونز ، ... Introduction ص ، 177
20) محاضراته ، ...Course in ص ، 124.

استخدام مصطلح آخر. هو «السلسلة المنطوقة» أو «المنطوق» Ulterance (21). كما داول بعضهم كتشومسكي بين المنطوق. والجملة والسلسلة المتوالية Sequence (22).

غير أن مفهوم الكلام أو «المنطوق» نفسه غير واضح. فقد حده هاريس بأنه «كل امتداد صوتي لحديث يصدر عن متكلم واحد. ويقع بين لحظتي صمت من المتكلم الواحد» فهذا الحد كتعريف بلو مفيلد للجملة. يلغي المعنى في الظاهر. ويتضمنه في الباطن. ثم إنه يشتمل على ما يمكن أن يتألف من مقطع واحد بحيث يمكن أن ينطق بجزء من الثانية. مثل : لا. وعلى ما يمكن أن يكون كلاما طويلا بحيث يستغرق عدة ساعات (23).

ذاك هو مفهوم الجملة في اللسانيات البنيوية. فما هو مفهومها في النحو العربي ؟

3 ـ مفهوم الجملة في النحو العربي :

1) إن من يتتبع مفهوم الجملة في تراث القرون الثلاثة الأولى للهجرة ينتهي إلى حكم إن لم يكن يقينا فهو قريب جدا من اليقين. هو أن هذا المفهوم كان على شيء غير قليل من الإبهام في أذهان النحاة

21) بربارا : ...Modern ص : 63.
22) انظر كتابه : Syntactic structures 13 ـ 17. وانظر : ماتيوس : Syntax 49
23) بربارا : المرجع السابق. ص : 61.

القدماء. وكان يختلط بمفهوم آخر هو «الكلام» مثله في ذلك مثل كثير من الأصول النحوية التي كان النحويون يمارسونها مفهومات. ولكنهم لا يشرحونها ولا يضعون لها حدا واضحا يكشف عن مفهومها كشفا صريحا.

وإذا كنت أقر في هذا الموضع بأني لم أستقص كل ما جاء في آثار النحاة لهذه الفترة فإني أجد في سياق الإشارات التي وقفت عليها ما يحملني على اليقين بأن اختلاط المفهومين كان حقيقة لا يشك فيها.

فالتتبع التاريخي لهذا المفهوم يقفنا على حقيقة لها دلالتها الواضحة. هي أن استعمال المصطلح «جملة» لم يعرف قبل القرن الثالث للهجرة. في المحيط البصري على أقل تقدير. ففي كتاب سيبويه لا نجد إلا المصطلح «كلام» يطلق حينا على الجملة الواحدة. ويطلق طورا على عدة جمل. وذلك واضح في قوله : «وإنما تحكي بعد القول ما كان كلاما لا قولا. نحو : قلت : زيد منطلق. لأنه يحسن أن تقول : زيد منطلق. ولا تدخل (قلت). وما لم يكن هكذا أسقط القول عنه. وتقول : قال زيد : إن عمرا خير الناس. وتصديق ذلك قوله جل ثناؤه : وإذ قالت الملائكة : يا مريم. إن الله اصطفاك. ولولا ذلك لقال : أن الله (24)».

ووضوح النص يغنينا عن التعليق عليه. ويزيده وضوحا ما نراه في تراث الأخفش. الذي كان يقتفي أثر سيبويه. فهو أيضا لم يستعمل المصطلح «جملة». بل استعمل المصطلح «كلام». فإذا اضطر إلى الحديث

24) سيبويه. الكتاب : 1 / 122. وانظر أيضا : 1 / 25.

عن الجملة الفعلية استخدم كسيبويه مصطلحا آخر هو «الفعل». كقوله : «وليس من الأسماء شيء يضاف إلى الفعل غير أسماء الزمان (25)».

وإذا تجاوزنا المرحلة الزمنية التي تفصل بين الأخفش والمبرد ـ وهي لا تزيد على جيل واحد ـ وجدنا في تراث الثاني منهما المصطلح «جملة» سافرا. ولعله ورثه عن شيوخه الأدنين. غير أن مفهوم الجملة عنده يماثل مفهوم الكلام في عرف المتأخرين. فهي ما اشتملت على معنى تام تستقل به عن غيرها دلالة وتركيبا. يقول : «وإنما كان الفاعل رفعا لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت. وتجب بها الفائدة للمخاطب. فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر. إذا قلت : قام زيد. فهو بمنزلة قولك : القائم زيد (26)».

ولعل أبا علي الفارسي كان من أوائل الذين فصلوا الحديث عن الجملة إن لم يكن أولهم حقا. ففي «المسائل العسكريات» كلام يحيط بكثير من مفهوم الجملة. غير أنه يزاوج في استعمال المصطلح. فمرة يستعمل «كلام». ومرة أخرى «جملة». مما يجعل التفصيلات التي قدمها قليلة الغناء. لا تحدد تحديدا مباشرا الفروق الفاصلة بين الكلام والجملة (27).

غير أن كلام الفارسي ـ فيما أعتقد ـ يمثل إرهاصا واضحا لما قدمه تلميذه ابن جني في خصائصه. رغم أنه لا يستعين به. بل بكلام

---

25) الاخفش : معاني القران 1 / 88.

26) المبرد : المقتضب : 1

27) أبو علي الفارسي. المسائل العسكريات : 83 ـ 101.

لسيبويه. فالفارسي مثلا لا يحد الجملة بقيد الإفادة صراحة. بل لعل كلامه يشير إلى أنها قد تكون غير مفيدة. لأنه يسمي كلا من فعل الشرط والقسم (جملة). رغم أنهما عنده لا يستغنيان عما يليهما من أركان الكلام (28).

وإنما يتجلى فضل الفارسي في أنه أول من حاول تحديد المفهوم. فإذا كان لم يستوفه تماما. فإن تلميذه ابن جني وصل به إلى المرحلة التي ينتهي بها الإبهام. وإن لم ينته بها الخلاف.

إن ابن جني يوضح مفهوم الجملة من خلال توضيحه مفهوم الكلام. فالكلام لا بد له من أن يكون تام المعنى. مستقلا عن غيره. ولهذا قد يكون جملة واحدة. وقد يكون جملتين. وقد يكون أكثر من ذلك. إنه بالنسبة إليها «جنس» على تعبير المناطقة. فكما أن القومة الواحدة تسمى قياما. كذلك تسمى الجملة الواحدة كلاما إذا كانت تامة المعنى (29).

وهذا يدل بوضوح على تحديد الفاصل بين الكلام والجملة. فهو جنس وهي نوع. هو لا بد له من معنى تام. أما هي فلا يشترط فيها ذلك.

وجاء المتأخرون بعد القرن الرابع فاختلفوا بين من يرى الكلام والجملة سواء في لزوم المعنى التام. وبين من يرى الجملة لا تزيد على بنية يتوفر لها الإسناد ليس غير. وانتهى الأمر إلى سيادة الرأي الثاني. ومن هنا يصرح ابن هشام بأن الجملة والكلام ليسا مترادفين لأن الأول

---

28) نفسه ، 95.

29) ابن جني. الخصائص 1 / 27. وانظر أيضا ، 1 / 17. 21. 26.

قول مفيد يحسن السكوت عليه. أما الجملة فهي الفعل والفاعل. أو المبتدأ والخبر. أو ما كان بمنزلة أحدهما (30). ويؤكد الجرجاني هذا التمييز بقوله : «الجملة عبارة عن مركب من كلمتين أسندت احداهما إلى الأخرى. سواء أفاد. كقولك : زيد قائم. أو لم يفد. كقولك : إن يكرمني. فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه (31).»

2) وبهذا تكون الجملة بحسب هذا المفهوم الذي شاع في العصور المتأخرة وحدة نحوية تتميز برابطة الإسناد بين مكونين اثنين دون غيرها من الروابط الأخرى كالوصفية والحالية والمفعولية و... وهي بهذا لا تختلف عن الوحدات اللغوية الأصغر منها. كالكلمة. والأداة. والصوت المفرد. من حيث حرية التوزيع في التراكيب عامة. فكما أن الوحدات الصغرى تتمفصل بحسب تعبير مارتينيه ـ كذلك تتمفصل الجملة. وتشغل في التركيب كثيرا من وظائف الإسم النكرة خاصة. فكما أن الصوت (الفونيم) والكلمة يتمتعان بحرية الاستخدام في أي تركيب. وفي حدود النظام العام كذلك تتمتع الجملة بهذه الحرية. وبهذا تكون عملية الإبداع مزدوجة في بعض التراكيب. وذلك حين تكون الجملة منطوية في جملة أخرى أكبر منها.

ومفهوم الجملة بهذا الشكل أعان النحاة على دراسة العلاقات الداخلية في النص. لأنهم بذلك وحدوا ـ أو كادوا ـ بين وظيفة الكلمة المفردة. ووظيفة الجملة المركبة. ومن هنا تقع الجملة خبرا لمبتدأ. أو لما

---

30) ابن هشام. مغني اللبيب. ص : 490 (ط. 5).
31) الجرجاني. كتاب التعريفات. ص : 42.

أصله المبتدأ. وتقع مفعولا لفعل متعد. ومضافا إليه. وجوابا للشرط. وحالا. وصفة. ومستثنى. وفاعلا. مع تجاوز الخلاف في الموقفين الأخيرين.

وهي بهذا المفهوم أيضا شكل يتميز بالحسية والتحديد. وليست شيئا سديميا منعدم الصورة. بل مثلها مثل الكلمات والوحدات الصغرى الأخرى. إنها دائرة من دوائر اللغة المتكاملة. أو مستوى من مستوياتها الطبقية.

ولكن هذه الحرية الإبداعية في التمفصل تزداد كلما صغرت الوحدة. وتقل كلما كبرت. ومن هنا كان تمفصل الفونيم. والكلمة. أكثر وقوعا في الـ «كم» والـ «كيف» ومع ذلك ماز النحاة من مواقع الجملة موقعا واحدا أطلقوا عليها فيه مصطلحا خاصا هو «الجملة الصغرى». وذلك حين تكون طرفا في الإسناد. أو ما أصله كذلك. كأن تكون مفعولا به ثانيا. أو ثالثا. لما ينصب من الأفعال مفعولات أصلها المبتدأ والخبر. وأطلقوا على الجملة الكلية مصطلح «الجملة الكبرى» (32).

وحين حدد النحاة العرب الجملة بأنها ما اشتملت على إسناد. ولم يشترطوا فيها أن تدل على معنى تام كانوا يحددون بنية تركيبية خاصة. تنهض على علاقات نحوية صرف. ولكنها ليست مغلقة على نفسها. ولا مكتفية بذاتها بالضرورة. فقد تكون متواصلة مع جمل أخرى. كما قد تكون متداخلة فيها. إنها باختصار بنية نحوية ضمن بنية أكبر منها هي الكلام.

---

(32) ابن هشام. المرجع السابق ، 497.

وواضح من هنا أنهم لم يتأثروا الخط كما تأثره النحاة التقليديون في الغرب، ولم يكن الخط العربي القديم بطبيعته يفصل بين الجمل، أو يميز بداية جملة أو نهايتها. ولهذا كان اعتمادهم على العلاقات النحوية دون غيرها.

وههنا شيء بالغ الأهمية، هو أن مفهوم العرب للجملة يجاري منهاجهم النحوي العام، وهو في عمومياته منهاج «شكلي» صياغي Formal يفصل بين العلاقات النحوية والمعاني الذهنية، أو إن شئت بتعبير أوضح ، يفصل بين المعاني النحوية والمعاني المنطقية، فالفاعل مثلا هو ما ارتبط بالفعل بعلاقة إسنادية، سواء أكان فاعلا حقيقة أم لم يكن، وبهذا يتساوى عندهم مثلا الزجاج والطفل، في مثل «تحطم الزجاج» و «أكل الطفل»، مع أن (الزجاج) لم يفعل شيئا، بل وقع عليه في الحقيقة الواقعة فعل فاعل، وقل مثل ذلك في تحديد المفعول به، فهو عندهم ما تأثر بالفعل تأثرا نحويا، سواء أوقع عليه أم لم يقع، وكذلك الجملة، إنها علاقة إسنادية، أو قل ، إنها وحدة لغوية تقوم على الإسناد، وهذه الوحدة قد تكون مستقلة، وقد تكون جزءا من جملة أكبر منها، قد تكون طرفا في الإسناد، وقد تكون متممة لعنصر من عناصر الجملة.

هذا المعيار الذي يجمع العلاقة النحوية إلى الصورة البنيوية يسقط اعتراض بالمير على حد الجملة بتضمنها مسندا ومسندا إليه، فهو يرى أن مثل هذا التحديد يعني أن في الجملة شيئا نتحدث عنه، وشيئا ننسبه إليه، فإذا قلنا ، الشتاء مقبل، فإن «الشتاء» متحدث عنه، و«مقبل» منسوب إليه. ويرى أن الصعوبة في تطبيق هذا التعريف هي تحديد المتحدث عنه، إذ كثيرا ما نتحدث في الجملة الواحدة عن عدة أشياء، مثل ، أعطى

الأستاذ طالبه كتابا. فمن الواضح - في رأيه - أننا نتحدث هنا عن : الأستاذ. والطالب. والكتاب. وكلها يصح أن يكون متحدثا عنه (33).

قلت ، إن المفهوم الشكلي النحوي في الحد العربي يسقط هذا الاعتراض. لأن المسألة تنحصر حينئذ بالمسند إليه بحسب العلاقات النحوية. لا بحسب المفهوم الذهني. فالأستاذ في الجملة السابقة هو المتحدث عنه. و «أعطى» وتوابعه هو الحديث.

غير أن بالمير لم يفته مثل هذا الاعتراض. فقد تنبه إليه ورده بأن المسند إليه ربما كان لا يدل على «ما نتحدث عنه. ففي قولنا ، إن الطيور أكلت جميع الفاكهة. من الممكن أن يكون ما نتحدث عنه هو فقدان الفاكهة. لا الطيور غير المحددة».

وأكثر من ذلك في رأيه قولهم في الإنكليزية ،

It's raining

فأين المسند إليه ؟ أهو الضمير « It » ؟ ولكن علام يدل ؟ أيدل على الجو ؟ على الكون ؟ على شيء مبهم ؟

وهنا الكلام لا يخفي سيطرة الدلالة على بالمير. وتوجيهها له في نقد هذا المفهوم. إلا أن التحديد العربي لا يأبه لدلالة الكلمات المعجمية في داخل البنية. لأنه يقوم - كما قلت - على نظرة شكلية صرف. فالمهم فيه أن يكون هناك مسند نحوي. ومسند إليه نحوي أيضا. ولا قيمة بعد ذلك لتحديد الدلالة.

---

(33) كتابه ، Grammar ص ، 71 ـ 72.

ولكن لا يعني هذا أن النحاة العرب يبيحون للمتكلم أن يركب من المفردات ما لا قبل للغة به. فمنذ القرون النحوية الأولى قسم سيبويه الكلام إلى ، مستقيم حسن، ومحال غير مستقيم، ومستقيم كذب. و...الخ (34) وكان هذا من بديهيات التحليل.

ومهما يكن من أمر هذا الاعتراض فإن مفهوم الإسناد يظهر أكثر حسما وتحديدا من مفهوم مييه وبلو مفيلد مثلا. ذلك أن المفهوم الثاني لا يعني في ظاهره غير الاستقلال والاكتفاء الذاتي. وذلك يجره إلى اختلاطات كثيرة. ولا سيما إذا مارسنا المبادئ البنيوية التي كان عليها البلومفيلديون. إذ قد تكون الجملة حرفا واحدا. أو ظرفا. أو فعلا. أو شبه جملة. كما في هذا الحوار ،

« ـ أخذت هذا الكتاب.

ـ ممن ؟

ـ من علي.

ـ هل قرأته ؟

ـ لا !!

ـ لماذا ؟

ـ لانشغالي بغيره الآن.»

إن كل تعبير هنا مستقل. ولا تتضمنه بنية أكبر منه. بحسب أصول البنيويين. فهو بهذا جملة تامة. وبهذا تتضمن ملامح الجملة التركيبية.

---

34) سيبويه. الكتاب، 1 / 25.

على حين نجد مفهوم الإسناد يميز الجملة من هذه الاختلاطات، ويقيمها على أساس نحوي ثابت.

3) ولعل نظم العربية هي التي أوحت إلى النحاة القدماء بسلوك هذه السبيل. أعني جعلهم الجملة قائمة على أساس الإسناد. ولو كانت من حيث التركيب جزءا من غيرها. فالنحاة العرب كما يبدو لاحظوا مجموعة من الجمل على هذا الغرار :

- أعبد الله هنا أم غيره ؟
- أي الحزبين أحصى لما لبثوا ؟

فلا شك أن كلا من هاتين البنيتين جملة تامة التكوين من حيث العلاقات النحوية. ومن حيث الظواهر الإعرابية العارضة التي تخضع غالبا لنظام التركيب البنيوي (35). فإذا صارت جزءا من جملة أكبر منها لا يتغير شيء في بنيتها وفي علاقاتها النحوية. وفي ظواهرها الإعرابية. إذ يقال مثلا :

- (علمت «أعبد الله هنا أم غيره».)
- (لنعلم «أي الحزبين أحصى لما لبثوا»).

صحيح أن كلا من الجملتين ارتبطت بالمعنى الكلي. إلا أنها حافظت على استقلالها البنيوي محافظة تامة. وهذا يشجع على اعتبارها جملة. ولا يغري بإطلاق مصطلح جديد عليها.

35) انظر : د. محمد خير الحلواني. أصول النحو العربي. ص : 131 وما بعدها.

4 ـ الجملة التابعة لجملة :

وهذا الذي سبق يؤدي إلى وقفة متأنية من طبيعة الجملة التابعة لجملة أخرى، كالجملة المعطوفة، والجملة التي يسميها النحاة العرب بدلا من جملة أخرى. فقد كان أصحاب النحو التقليدي في أوربا، وكذلك مييه وبلومفيلد، يعتبرون الجملة المعطوفة بالحرف جملة جزئية Clause مثلها في ذلك مثل صلة الموصول. أما التقليديون فيقودهم إلى ذلك معيار الدلالة، وأما الآخران فتقودهما مقولة الرابط النحوي. فقولنا مثلا :

ـ «جاء الشتاء، وتهيأ الناس للقائه.»

كله جملة واحدة عند هؤلاء جميعا. على حين هو جملتان في مفهوم النحو العربي ارتبطت إحداهما بالأخرى برابط نحوي.

ولا نرمي هنا إلى المفاضلة بين المفهومين، بل غرضنا من ذلك أن نكشف عن المعيار العربي ليس غير، من خلال مقابلته بمعايير أخرى. فهم ـ كما وضحنا غير مرة ـ لم يأبهوا للدلالة، وجعلوا أحرف العطف مجرد روابط لا تربط في هذه الحال بين جزأي جملة « « Tow-Clauses » » بل تربط بين جملتين متكافئتين أو أكثر، تتساوى في القيمة والتكوين « Co-ordinate – sentences »

أما الجملة التابعة لجملة على أسلوب البدل، كما في الآية القرآنية : «أمدكم بما تعلمون، أمدكم بأموال وبنين.» (الشعراء : 132 و 133) فبحسب المعيار الذي وضعه التقليديون الغربيون، أو الذي وضعه مييه وبلومفيلد سوف تكون جملة تامة. لأنها من حيث الدلالة مستقلة عن الجملة السابقة، وليست مطابقة لها تمام المطابقة، ولأنها أيضا مكتفية

بذاتها من حيث الروابط النحوية. على الرغم من أن صلة هذه الجملة بما قبلها أشد من صلة الجملة المعطوفة بما قبلها. لأنها تكاد تكون هي هي.

وربما رجع ذلك إلى طبيعة كل لغة. ففي الإنكليزية مثلا لا يكاد يقع العطف بين الجمل بالمفهوم البلومفيلدي. وإذا قامت بينها روابط لفظية فهي روابط قريبة إلى مفهوم روابط الاستئناف في النحو العربي. أما في العربية فيختلف الأمر تماما. فقد يستمر العطف بين الجمل على امتداد مقطع يربي على عشرة أسطر نثرية. كما قد يستمر في الشعر فيربى على سبعة أبيات. كما في قول البحتري يصف الذئب ،

عوى ثم أقعى فارتجـزت فهجته	فأقبل مثل البرق يتبعه الرعـد
فأوجرته خرقاء تحسب ريشهـا	على كوكب ينقض والليل مسـود
فما ازداد إلا جرأة وصرامـــة	وأيقنت أن الأمر منه هو الجـد
فأتبعتها الأخرى فأضللت نصلها	بحيث يكون اللب والرعب والحقـد

فقمت ... الخ..

ومما ينقض معيار التقليديين خاصة أن الدلالة في الجملتين قد تكون غير متجانسة. ولا ترتبط بما قبلها إلا برابط التسلسل الزمني والسببية. وهذا يعني أن الدلالة ليست مفردة كما ينص تعريفهم أحيانا. فلو أننا أخذنا هذين الحدثين من أبيات البحتري السابقة ،

- أقعى الذئب.
- ارتجز الشاعر.

لوجدنا حدثين مستقلين لا تجانس بينهما. ولكنهما في الأبيات يرتبطان برابط التعاقب. ويجمع بينهما الموقف أو المقام. فهما إلى أن يكونا جملتين أقرب منهما إلى أن يكونا جملة واحدة.

5 ـ الجملة الناقصة :

ودرس القدماء العبارات الناقصة دراسة مفصلة ومعظمها من قبيل الجمل. وانطلقوا في ذلك من نظرية راسخة في أذهانهم منذ أيام الخليل وتلميذه سيبويه. هي أن «اللغة نظام مطرد» وأن المظاهر الكلامية في الشعر أو في الحديث اليومي تتطابق مع اطراد هذا النظام تطابقا ظاهريا أو تطابقا تأويليا.

وتفسير هذا أنهم جعلوا المادة اللغوية المدروسة التي هي الكلام Parole غير نهائية ـ إن صح التعبير ـ بل هي بنيات سطحية يكمن وراءها نظام ثابت مستقر في أذهان المتكلمين هو اللغة Langue . وهم مع ذلك لم يدرسوا اللغة وحدها على طريقة دي سوسور بل درسوا الكلام نفسه، وحللوا تراكيبه باعتباره ظاهرة حسية بادية تنم على ظاهرة أخرى يتجسد فيها النظام الكامل، حتى كأن الكلام بناء يستمد مظاهره الشكلية من الأسس التي يقوم عليها، أي من اللغة. فهي ما في ذهن المتكلم المبدع من أسس الجملة المثالية. ولهذا لا تكون إلا مركبا إسناديا كاملا. فإذا لم يظهر طرفاها كلاهما، بل ظهر طرف واحد، أو جزء متمم له، فإن ذلك لا يعدو أن يكون ظاهرا لا يشكل وحده جملة، بل تتشكل الجملة منه ومما استقر في ذهن المتكلم والسامع معا، أي من اللغة والكلام جميعا.

ويتضح لك هذا كله في قول سيبويه : «وهذه حجج سمعت من العرب، وممن يوثق به يزعم أنه سمعها من العرب، من ذلك قول العرب في مثل من أمثالهم : (اللهم ضبعا وذئبا) إذا كان يدعو بذلك على غنم رجل، وإذا سألتهم ما يعنون، قالوا : اللهم اجمع أو اجعل فيها ضبعا وذئبا.

وكلهم يفسر ما ينوي. وإنما سهل تفسيره عندهم لأن المضمر قد استعمل في هذا الموضع عندهم بإظهار (36)».

ومع كل هذا لا أزعم أن النحاة العرب درسوا الجملة الناقصة دراسة مباشرة. أو أنهم كانوا أصحاب نظرية خاصة في مفهوم الجملة. فأنا أعرف تماما أن هذه الدراسة النظرية للجملة لم تأخذ من آثارهم حيزا يليق بها. واكتفوا بتحديد الوظائف المنوطة بعناصرها. وما يصحب ذلك من ظواهر الإعراب. ومن أجل ذلك فاتهم أن يدرسوا بدقة طبيعة الجملة الناقصة. وألوانها المتنوعة. وتركوا ذلك لعلماء البلاغة المتأخرين.

على أننا يمكن أن نقيم هيكلا ما من المادة الفكرية التي نثروها في مواضع متفرقة من كتبهم. نوضح فيه مذاهبهم في سياق الحذف وألوانه. ولكن لا بد لنا قبل أن نشرع في هذا من أن نوضح أن ما قالوه في هذا الباب لم يصدر عن نظرية راسخة. بل لم يصدر عن رؤية ثابتة لهذا النوع من الظواهر اللغوية. كما أنهم لم يدرسوه في إطار دراسة الجملة. بل في أبواب متفرقة من أبواب النحو.

بعد هذا الاحتراز يمكن أن نكشف عن لونين من ألوان النقص في الجمل. أولهما سياقي. وثانيهما نحوي.

ا) ـ النقص السياقي :

وهذا نفسه يتوزع في ثلاثة أنماط. هي : السياق الكلامي. والسياق الحالي. والسياق العرفي.

36) سيبويه. الكتاب : 1 / 255.

1 ـ أ) السياق الكلامي أو البنيوي :

ويعني أن مجرى الكلام وعناصره السابقة تتيح للمتكلم المبدع أن يحذف من الجملة أحد ركنيها. وقد عبر النحاة عنه بقولهم : «يحذف الشيء إذا دل عليه دليل» وقد ساقوا هذه العبارة في أبواب نحوية كثيرة. كالمبتدأ. والخبر. والفاعل. والمفعول به. وعوامل كثيرة من المرفوعات والمنصوبات.

ويتسم موقفهم هنا بالوصفية التامة. إذا تجاوزنا المبالغة التي لا تقر القول بالحذف البتة. لأنهم لم يزيدوا على أن وصفوا ألوان القول كما تقع في الحدث الكلامي. فهم مثلا يقدرون مبتدأ محذوفا بعد فعل القول في هذه الآية : «سيقولون ، ثلاثة رابعهم كلبهم» (الكهف ، 22) أي هم ثلاثة. ويقدرون جملة فعلية تامة بعد فعل القول في هذه الآية : «وقيل للذين اتقوا : ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا : خيرا» (النحل ، 30). أي أنزل ربنا خيرا. وعلى هذا تكون «ثلاثة» في الآية جملة اسمية مع تقدير مبتدأ يحتفظ به المتكلم. وتكون «خيرا» كذلك جملة فعلية مع ما حذف قبلها. أو قل : إن كلا من «ثلاثة» و «خيرا» بقايا جملة يلتمس كمالها في نظام اللغة الماثل في ذهن المتكلم والسامع كليهما.

2 ـ أ) سياق الحال :

وهذا الضرب من النقص يرتبط بالحدث الاجتماعي. أو بالظرف الذي يقع فيه الكلام. ويتحدث عنه سيبويه في غير موضع من كتابه. وكذلك يفعل الفراء في كتابه «معاني القرآن». ثم صار مشاعا بين

الدارسين الخالفين. ويكفينا هنا أن نلم ببعض ما جاء به سيبويه ليكون نموذجا عما لم نحتج به.

وقبل كل شيء يرتبط مثل هذا الحذف في النحو العربي بعملية التبليغ ، Communication ارتباطا وثيقا. وقد صرح بذلك سيبويه غير مرة. كأن يقول ، «هذا باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره. إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل.» أو يقول ، «أو قدم رجل من سفر فقلت ، حديثك. استغنيت عن الفعل بعلمه أنه مستخبر. فعلى هذا يجوز هذا وما أشبهه (37).

وقد يستخدم سيبويه لفظا قريبا من المصطلح اللساني المعروف ، سياق الحال. « Context of situation » كما فعل في تحليله لهاتين العبارتين ، أقائما وقد قعد الناس. وأقاعدا وقد سار الركب. يقول ، «وذلك أنه رأى رجلا في حال قيام أو حال قعود. فأراد أن ينبهه. فكأنه لفظ بقوله ، أتقوم قائما. وأتقعد قاعدا. ولكنه حذف استغناء بما يرى من الحال (38)».

ويستند سياق الحال عند سيبويه على حاسة البصر. أو على حاسة السمع والبصر معا. فمثال النوع الأول قوله ، «وذلك قولك إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحاج. قاصدا في هيئة الحاج. فقلت ، مكة ورب الكعبة. حيث زكنت أنه يريد مكة. كأنك قلت ، يريد مكة والله» أو «رأيت رجلا يسدد سهما قبل القرطاس. فقلت ، القرطاس والله. أي يصيب

37) سيبويه ، الكتاب ، 1 / 253.
38) نفسه ، 1 / 340. وانظر أيضا ، 1 / 275.

القرطاس». ومثال الثاني قوله : «ولو رأيت ناسا ينظرون الهلال، وأنت منهم بعيد، فكبروا، لقلت : الهلال ورب الكعبة. أي أبصروا الهلال (39)».

3 ـ أ) السياق العرفي :

وأعني به ما يلمس في تلك المنطوقات التي تعارفت عليها الجماعة اللغوية، واستعملتها استعمالا واحدا، حتى صارت كأنها عبارات محنطة، أو بحسب تعبير دو سوسور : عبارات مستظهرة، تقال في مناسبات خاصة. من ذلك : أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك. وكليهما وتمرا وكل شيء ولا شتيمة حر. ويدخل في هذه العبارات المصادر الدعائية والطلبية، أو تلك التي تستعمل استجابة لموقف ما، مثل : سقيا، ورعيا، وعفوا، وشكرا، وأمثالها.

على أن هناك نماذج أخرى تختلف عنها، فهي قياسية « Analogic » أولا، ولا تخلو من جانب إبداعي ثانيا، لما فيها من حرية التركيب على قلتها، كتلك العبارات التي نجدها في باب الإغراء والتحذير، وباب الاختصاص.

هذه العبارات لا يعالجها النحو العربي على أنها عبارات محنطة من قبيل «الكلام» بل يردها إلى حقل «اللغة» أو يجمع فيها ـ على الأصح ـ بين وجهي الكلام واللغة فيكشف عما ينتويه المتكلمون في أنفسهم، ويؤلف منه ومما يظهر منها جملة ذات إسناد.

39) نفس المصدر : 1 / 257.

ب ـ النقص النحوي :

آثرت أن أسمي هنا الضرب من النقص نحويا لأنه يختلف عن السابق. فهو لا يخضع لأي سياق. بل يستكمل جميع مقومات التبليغ المطلوبة. ولكن النحاة ردوه بغير قليل من الكلفة إلى علاقة الإسناد. وسوف أقف عند ثلاث ظواهر فقط. وأدع غيرها لأنها لا تختلف عنها.

1 ـ ب) النداء :

النداء ظاهرة طبيعية في جميع المجتمعات البشرية. ولذلك كان أسلوبا مشتركا في جميع اللغات البشرية. بل إن أساليبه فيها أقل اختلافا من أساليب التعبير الأخرى. وهو فيها جميعا تعبير إنشائي صرف. لا يختلف في ذلك لون من ألوانه الإنسانية المتعددة. وتقتصر دلالته على الاستدعاء ليس غير. مع تجاوز المعاني المجازية كالمناجاة و... وهو في ظاهره وباطنه يخلو من العلاقة الإسنادية.

غير أن النحاة أعادوه إلى علاقة الإسناد. وجعلوا عبارته الإنشائية مثل : يا أحمد. تساوي العبارة الخبرية : أنادي أحمد.

ولا شك أن هذا الموقف يصدر عن تعميم الاستقراء. فقد وجد النحاة العرب أن الجمل في نصوص العربية تتألف من :

أ) اسم + اسم.

ب) اسم + فعل.

ج) فعل + إسم.

فعمموا الحكم، وشملوا به اللغة كلها، وما يمكن أن يصدر عنها من كلام. ولما وجدوا في المادة اللغوية المتداولة تركيبا تاما يقوم على :

د) حرف + إسم،

وهو أسلوب النداء، تأولوه على إضمار الفعل، بحسب ما يدل عليه الموقف العام. وههنا احتاجوا إلى تفسير ظاهرتين مفتعلتين، هما : تقدير الفعل، ووجوب حذفه.

أما التفسير الأول فقد أعانتهم عليه نظرية العامل. فالمنادى منصوب (وهذا الافتراض نفسه تعميم)، ولا بد لهذا النصب من عامل، وعامل النصب واحد من ثلاثة : الفعل، وما يشبه الفعل (إن وأخواتها، وما : النافية) والإسم المبهم (خمسة عشر، وعشرون)، ولما كان العاملان الثاني والثالث لا يمكن أن يعملا فيه، لأنهما لا يعملان مضمرين، فلم يبق إلا العامل الأول وهو الفعل لقدرته على العمل مع الإضمار.

وأما التفسير الثاني، وهو حذف الفعل، فمصدره فيما ذهبوا إليه هو أن استعماله يحول الجملة من أسلوب الإنشاء إلى أسلوب الخبر، ويسوغ هذا أكثر أن في نصوص اللغة إضمارا للفعل من دون هذا التحويل، كما في أساليب الإغراء والاختصاص. ومن هنا كان حذف ما يؤدي ظهوره إلى ذلك أولى.

وفي هذا التفسير ظاهرتان لا تخلوان من غرابة :

الأولى أن النحاة العرب لم يتحدثوا في هذا كله عن الشيء المنطوق، ولا عما في ذهن المتكلم، أي لم يتحدثوا عن الكلام، ولا عن اللغة بالمفهوم السوسوري، بل تحدثوا عن الدلالة الذهنية التي يمكن أن

تجرد من عبارة النداء، والتي لا تتصل به إلا كما يتصل نمو الوردة بالغمامة الممطرة.

والثانية أن هذا التحليل لا يتفق ومنهاجهم العام، فالمعروف أنهم يميزون المعاني النحوية من المعاني الذهنية، وقد أشرنا إلى هذا إشارة سريعة من قبل حين ذكرنا أن الفاعل عندهم هو الفاعل النحوي لا الفاعل الذهني، وكذلك الأمر في المسند إليه، والمفعول به. غير أنهم في النداء لم يتجاوزوا هذا المجال الشكلي فحسب، بل أوغلوا في التجريد والاستنباط الفلسفي.

2 ـ ب) الشرط الامتناعي :

أما هذا فلا يهمنا منه إلا التركيب الذي تقع فيه الأداة «لولا» في مثل : لولا المشقة ساد الناس كلهم. فمعظم النحاة متفقون على أن المشقة وأمثالها مبتدأ، وخبره محذوف وجوبا، وتقديره عندهم : موجودة.

وعلة ذلك أنهم لم يستطيعوا أن يجعلوا مثل هذا الإسم فاعلا لأنه غير مسبوق بفعل، ولا أن يجعلوا ما بعده خبرا، في حال كونه مبتدأ، لأن ما بعده جواب الشرط، فلم يبق أمامهم إلا أن يكون مبتدأ، ويكون خبره محذوفا.

والحق أن تقدير خبر هنا لا يعدو أن يكون افتراضا، لا يتطلبه نظام اللغة، ولا تستدعيه الدلالة، لأن «لولا» نفسها تدل على معنى الخبر المقدر.

3 ـ ب) فاعل الفعل المعطوف :

حين نقول ، جاء أحمد وذهب. أو جاء وذهب أ حمد. أفيكون في الفعل «ذهب» أو «جاء» فاعل مستتر أم أن فاعل الفعلين هو الإسم الظاهر نفسه ؟

طبعا النحاة القدماء يقدرون فاعلا للفعل لأنهم لا يخلونه منه البتة. وعلى هذا يكون الأصل في الجملتين ، جاء أحمد وذهب أحمد. أو ، ذهب هو. وجاء هو وذهب أحمد. أو ، جاء وذهب هو أحمد. على اختلاف في ذلك بين المذهبين البصري والكوفي.

ومهما يقال في الدفاع عن هذا المذهب فإنه يبقى غارقا في التعسف إلى أذنيه. ولا حجة في أن بعض الأبيات الشعرية لحقت فيها ألف الإثنين أو واو الجماعة. أحد الفعلين المتنازعين. فمن الممكن تحديد وظيفة هذين الصوتين على غير الصورة التي حددت لهما في النحو العربي.

والصورة الكلية التي نراها فيما سميناه النقص النحوي هي ، أن النحاة قدروا شيئا لا يحتاج إليه. ولا يتطلبه نظام اللغة. لأن العبارات فيه مستقلة. ومن أجل ذلك يمكن أن تسمى هذه الجملة ناقصة في ظاهرها وباطنها. أي في بنيتها السطحية بمفهوم تشومسكي. إذ قد تكون محولة عن بنية عميقة تامة. وتقدير النحاة لا ينتهي إلى هذه البنية العميقة. ولكنه يفترض شيئا آخر.

ج ـ النقص الكلامي :

عني النحاة العرب باللغة المنطوقة مثلما عنوا باللغة الأدبية. والتراث الذي خلفته طبقة سيبويه والأخفش والكسائي والفراء حافل جدا بالكلام اليومي المنطوق. على عكس ما روج بعض الباحثين المتسرعين. وهذا الموضوع يحتاج إلى دراسة مطولة منفصلة تقول الكلمات الأخيرة في هذه المشكلة.

ولكن من الحق أن نقول ، إن النحاة القدماء لم يأبهوا لظاهرة كلامية كثيرة الشيوع. هي تقطع الكلام. وتذبذب الحديث بين جمل تامة. وأخرى ناقصة. وذلك لأسباب قد تكون نفسية. أو حوارية. وذلك أن تبدو للمتكلم فكرة أخرى قبل أن يتم الجملة. فيعدل عن متابعة كلامه. ويقطعه ويبتدئ كلاما جديدا. أو أن يعارضه محاوره فلا يتيح له أن يكمل جملة من كلامه. كما يوضح هذا الحوار ،

« ـ الأم : أحمد !! جئت ؟

الولد : نعم. أنا فقط..

الأم : أسرع. و... يجب أن ندرك الحافلة. وإلا...

الولد : ولكن ثيابي... انتظريني قليلا من فضلك.»

قلت : إن العرب لم يأبهوا لمثل هذه الظاهرة في الكلام المنطوق. ولا شك أنها كانت في كلام العرب الذين شافهوهم ونقلوا عنهم اللغة. ولعلهم اعتبروا مثل هذه الظاهرة لغوا لا يستحق الدراسة. لأنها لا تقدم شاهدا فصيحا على صحة قاعدة. أو على صحة قراءة قرآنية.

6 ـ المصدر المؤول والجملة :

وهذا موضوع آخر يستحق الإلمامة السريعة في هذا البحث. فالقدماء فرقوا بين الجمل وما سموه المصدر المؤول الذي يتشكل من جملة فعلية. أو اسمية مسبوقة بحرف من هذه الأحرف الخمسة التي سموها الأحرف المصدرية. وهي : «أن. أنَّ. ما. لو. كي.» وجعلوه ملحقا بالأسماء دون الجمل (40). أما التركيب الإسنادي بعد هذه الأحرف فقد جعلوه من الجمل التي لا محل لها من الإعراب. وسموا الجملة «صلة موصول حرفي». لم يستثنوا من ذلك إلا ما وقع بعد «أن» المشددة. لأنها من نواسخ الا بتداء.

والذي حملهم على ذلك أمران :

الأول : أن هذه الجمل مسبوقة بأحرف خاصة يمكن سبك الكلام بعدها بحيث يتأول على صورة الإسم. كما في العبارات التالية :

1 ـ أردت أن أذهب ـــ أردت الذهاب.

2 ـ توقفت عن العمل لأني تعبت ـــ توقفت عن العمل لتعبي.

3 ـ حضرت لكي أستفيد ـــ حضرت للاستفادة.

4 ـ الـــخ....

والثاني أن ما سموه مصدرا مؤولا ينزل من حيث التوزيع منازل لا تنزل فيها الجملة. فيكون مثلا في موضع جر بحرف الجر. كما في المثال الثاني. ويكون مبتدأ. ومفعولا به بعد أفعال لا تعمل في الجمل. وهكذا.

---

40) أنظر : سيبويه : 1 / 131. والأخفش : معاني القرآن : 1 / 10. 59. 217. والبطليوسي. كتاب الحلل : 191.

والحقيقة أن المسوغين لا يدلان على صحة ما ذهبوا إليه.

أما تأويل ما بعد هذه الأحرف أو سبكه فلا دليل فيه، لأن الجمل التي تقع موقع الأسماء تؤول أيضا، كما في الجدول التالي :

1 ـ جاؤوا أباهم عشاء يبكون ـــ جاؤوا ... باكين.

2 ـ رأيته حين ذهب. ـــ رأيته حين ذهابه.

3 ـ ظننت العمل يسرني. ـــ ظننت العمل سارا لي.

4 ـ الـخ ...

وأما أن هذه الجمل مسبوقة بأحرف خاصة فليس في ذلك ما يدل على أنها ليست بجمل إذ من الممكن أن توضع قاعدة بسيطة جدا لحل هذه الظاهرة، هي : «أن الجمل إذا وقعت مواقع الأسماء تقدمها أحيانا حرف من الأحرف التالية : أنّ ـ أنْ ـ ما ـ كي ـ لو. وقد تكون مجردة منها».

وهذه القاعدة تشمل المصدر المؤول والجمل ذات المحل. ولا تحتاج إلى أكثر من تعداد المواضع التي لا تسبق فيها بواحد من هذه الأحرف. والمواضع التي تسبق فيها بها. وقد فعل النحاة هذا دون أي عناء حين رصدوا المواقع التي يقع فيها المصدر المؤول. ولم يبق إلا دمج الحقلين في حقل واحد.

وبهذه القاعدة البسيطة التي تلغي المصدر المؤول تحل مشكلة تركيبية أخرى اضطربت فيها آراء النحاة. هي وقوع بعض الجمل في مواقع حارت فيها أصولهم القديمة. كوقوعها في المثل العربي المشهور «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه».

وفي الآية القرآنية :

«أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون».

وفي قول جرير :

نفاك الأغر ابن عبد العزيز وحقك تنفى من المسجد

وفي قول جميل بثينة :

جزعت حذار البين يوم تحملوا وحق لمثلي يا بثينة يجزع

ففي المثل العربي وقعت الجملة «تسمع» مبتدأ. أي : سماعك بالمعيدي خير....

ووقعت في الآية موقع المنصوب بنزع الخافض : «أفتأمروني بعبادة الله» ووقعت في قول جرير موقع الخبر : وحقك النفي من المسجد. وفي قول جميل وقعت فاعلا : وحق الجزع لمثلي.

وهذه المواقع - باستثناء الخبر - للمفرد لا للجملة بحسب الأصول النحوية القديمة. ولهذا اضطر النحاة إلى تقدير حرف مصدري هو «أنّ» واختلف في المسألة البصريون والكوفيون. كما اختلفوا في رواية المثل العربي، ورواية بيت طرفة الذي يحمل الظاهرة نفسها (41)، وهو قوله :

الا أيهذا اللائمي أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي (42)

41) أنظر الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة : 57. الجزء الثاني. ص : 559.
42) أنظر : د محمد خير الحلواني. المختار من أبواب النحو. ص : 150 وما بعدها.

وأعتقد أن ضم المصدر المؤول إلى بحث الجمل التي تقع مواقع الأسماء لا يخرج على نظام العربية. بل لعله أدق وصفا لهذا النظام. كما أنه يجاري منهج النحاة الذي يؤثر البنيوية الشكلية غالبا. ولا يقع في وهدة الدلالة الذهنية إلا حين يضطره النص إلى التأويل.

الربـاط **د. محمد خير الحلواني**

المصادر والمراجع

أ ـ العربية :

1 ـ الأخفش (سعيد بن مسعدة) :

ـ معاني القرآن. تحقيق : فائز فارس. الطبعة الثانية. الكويت 1401 ـ 1981

2 ـ ابن جني :

ـ الخصائص في سنن العربية. تحقيق محمد علي النجار. القاهرة : 1274 هـ

3 ـ ابن هشام :

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق : د مازن المبارك وحمد الله. بيروت : 1979.

4 ـ الانباري (أبو البركات) :

ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. تحقيق : محيي الدين عبد الحميد. القاهرة. بلا تاريخ.

5 ـ أبو علي الفارسي. المسائل العسكريات. تحقيق : د علي جابر المنصوري. الطبعة الثانية. بغداد : 1982.

6 ـ البطليوسي (محمد بن عبد الله).

ـ كتاب الحلل. في إصلاح الخلل. من كتاب الجمل. تحقيق : سعيد عبد الكريم سعودي. بغداد : 1980.

7 ـ الجرجاني (علي).

ـ التعريفات. الدار التونسية للنشر : 1971.

8 ـ الحلواني (محمد خير) :

ـ أصول النحو العربي. جامعة تشرين. اللاذقية. سورية 1979.

ـ المختار من أبواب النحو. بيروت. دار الشرق : 1975

9 ـ سيبويه :
ـ الكتاب. تحقيق محمد عبد السلام هارون. القاهرة : 1960.
10 ـ المبرد : (محمد بن يزيد).
ـ المقتضب. تحقيق عبد الخالق عضيمة. الجزء الأول. القاهرة : 1962
11 ـ مونان (جورج)
ـ علم اللغة في القرن العشرين. ترجمة : د. نجيب غزاوي. دمشق 1981
12 ـ النحاس (أبو جعفر) :
ـ إعراب القرآن. تحقيق : د. زهير غازي زاهد. بغداد 1977

ب ـ المراجع الإنكليزية :

1 – Bloomfield (Leonard) :
– Language – Fourteenth impression 1977
2 – Chomsky (Noam) :
– Syntactic Structures 1957
3 – Crystal (David) :
– Linguistics – England 1977
4 – De saussure (Ferdinand) :
– Course in general linguistics. Translated by : w. Baskin. New York : 1960.
5 – Lyons (John) :
– Introduction to theoritical linguistics. London 1977.
6 – Mattheuis (P.H) :
– Syntax. Combridge. 1981
7 – Palmer (Frank) :
– Grammar. Penguin Books. 1976
8 – Patter (Simeon) :
– Modern linguistics. London 1957.
9 – Robins (R.H) :
– General linguistics. Third edition. London 1980.
10 – Strank (Barbara) :
– Modern Engligh structure. London 1962.

مطالعات في المسرح الإسباني:

أليخاندرو كاسونا ومسرحيته "الأشجار تموت واقفة"

د. حسن الوراكلي

- 1 -

أسهم المسرح الإسباني، منذ عهوده الباكرة، وعلى عصره الذهبي بخاصة، في إغناء التراث المسرحي العالمي إسهاما جيدا لافتا للأنظار. ومن يذكر أسماء ثرفانتس (1547 ـ 1616) ولوبي دي ڤيگا (1562 ـ 1635) وطيرسودي مولينا (1583 ـ 1648) وكالدرون دي لا باركا (1600 ـ 1681) يذكر، بلا شك، أعمالهم التي تألق بها الأدب المسرحي، مدى زمن غير قصير، ليس في اللغة الإسبانية وحدها، بل وفي غيرها من اللغات كالفرنسية والانجليزية، والإيطالية، مما كان له أثره

البعيد. كما يجمع دارسو الأدب المقارن. على نتاج الأعلام من كتاب المسرح في تلك اللغات. مما لا يتسع المقام. هنا. لتفصيل القول عنه (1).

وإذا كان شأن المسرح الإسباني في هاتيك العصور على تلك الصورة من القوة. والخصب. والتأثير. فماذا ياترى. كان شأنه. مطالع هذا القرن. وفيما تلى ذلك من عقود ؟

إننا إذا أخذنا بعين الاعتبار الجوائز الأدبية معيارا لجودة أدب ما فإننا لن نتردد في التأكيد على أن الأدب المسرحي الإسباني في العقود الأولى من هذا القرن ظل يحتل مكانا مرموقا بين الآداب المسرحية في مختلف اللغات بدليل أنه ظفر مرتين. في مدة لا تتجاوز العقدين. بأكبر جوائز الأدب العالمية على الإطلاق ونعني بها جائزة نوبل. فلقد منحت سنة 1904 للكاتب المسرحي خوسي إتكاراي José Echegaray (2) (1832 - 1916). وسنة 1922 لكاتب آخر هو خائنتو

---

1) ان الدراسات والأبحاث التي كتبت عن هؤلاء المؤلفين والمسرحيين سواء في الاسبانية أو في غيرها من اللغات وافرة. متنوعة. ونحن نكتفي. هنا. بإحالة القارىء على كتابين يفيان بالحاجة. هما :

- Valbuena part historia del teatro español. ed. Noguer - Barcelona (1957).
- José Simón Diaz, manual de bibliografia de la literatura española. ed Gustavo Gili Barcelona (1966).

2) جاء في رسالة لجنة الجائزة إلى اتكاراي أنها منحت له (تقديرا لنتاجه المسرحي الفنيه والمبدع الذي أحيا على نحو متميز وأصيل التقاليد العظيمة والأمجاد القديمة للمسرح الإسباني).

أنظر :

- Julio Mathias, Echegaray (Grandes escritores contemporaneos) N° 24. ed. Espesa Madrid.

بنافنتي Jacinto Benavente (1866 ـ 1954) (3). ولعل في هذا ما يحمل على الزعم بأن المسرحية كانت أرقى الأجناس الأدبية في اللغة الإسبانية يومئذ، غير أن المعرفة بما كانت عليه الغنائية، والرواية، والقصة من ازدهار وتألق يدحض ذلك الزعم ويبطله (4). ومع ذلك فإن الأغلبية من مؤرخي المسرح الإسباني بخاصة والأوربي بعامة ليس يسعها، كلما عرضت للفائزين بجائزة نوبل، إتكاراي وبنافنتي، إلا أن تنوه ببعض ماكتباه من أعمال مسرحية ما فتيء الناس، على مضي الأعوام، يجدون في قراءتها كما يجدون في مشاهدتها متاعا غير قليل. وفي رأي أغلب الدارسين أن بنافنتي ظل خير ممثل للمسرح الإسباني نحو أربعين سنة أي منذ أن عرض أولى مسرحياته سنة 1894 ـ وهذه المسرحية هي مسرحية (عش الآخرين El nido ajeno)، وهي عند ناقد مشهور هول. طورنطي بايسطير شهادة ميلاد مسرح اسباني حديث شكلا ومضمونا (5) ـ إلى سنة 1934 ـ وفيها زاحمه في مكانته تلك كاتب مسرحي شاب هو الياخاندرو كاسونا حين عرض مسرحيته الأولى (الحورية الهاربة) (La sirena varada)

---

3) جاء في تقرير اللجنة أن الجائزة منحت له (النبوغه الذي يجعل منه استمرارا للتقاليد المجيدة للمسرح الإسباني).
أنظر :

– Julio Mathias, Benavente (Grandes escritores contemporaneos) Nº 7 – p. 28 ed. Espesa. Madrid.

4) انظر سلسلة أحاديثنا عن الأدب الإسباني المعاصر في مجلة (دعوة الحق) الأعداد : 3، 4، 6، 7، 8، س 8 والأعداد : 1، 4، 6، 7، 9، س 9، والأعداد : 1، 2، 3، س 10.

5) انظر :

– Torrente Ballester, G. – Teatro español contemporáneo, p. 127. Madrid (1968).

ومنذ هذا التاريخ أو قبله بقليل بدأ شباب النقاد يشنون حملة شعواء على مسرح بنافنتي. يصفه بعضهم بالجمود وينمي عليه آخرون عدم قدرته على التطور والتجديد، بل كان من هؤلاء وأولئك من ذهب إلى القول بأن مسرحيات بنافنتي، ومثلها مسرحيات عصريه إتكاراي، يجب أن تكدس في أعلى رف من رفوف المكتبات حتى يعلوها غبار النسيان !.

وعلى الرغم مما بذله بعض عصريي بنافنتي من أعلام جيل (6) 98 من محاولات لتجديد الكتابة المسرحية وتطويرها من مثل ما رأينا في المسرح التاريخي والميثولوجي الذي كتبه خاثنتو جراو والمسرح السريالي الذي عالجه رامون جومث دي لا سيرنا وخوسي مارثينث رويث المعروف بـ (أثورين) فإن الفضل ليس يعود إليهم فيما عرفه المسرح الإسباني من تجديد في الأسلوب، والمعالجة، والمضمون، والتقنية، تجاوز به حدوده الاقليمية إلى مكتبات العالمين القديم والجديد ومسارحهما. وإنما يعود الفضل في ذلك إلى كتاب ثلاثة، طليعة جيل الاحفاد، كما كان يسميهم أنامونو، هم الذين أقالوا هذا المسرح من عثرته (7)، بتعبير القدامى، وانهضوه من كبوته. هؤلاء الكتاب هم :

6) يشكل هذا الجيل وثبة أدبية عظيمة في تاريخ الآداب الإسبانية المعاصرة ظهرت في أعقاب سقوط الإمبراطورية الإسبانية سنة 1898. وإلى أفراد هذا الجيل، من أمثال أونامونو، وأورطيكا أي كاسيط، وأنطونيو ماتشادو، وخوان رامون خمينث، وغيرهم يرجع الفضل في إلحاق إسبانيا بعجلة الثقافة والأدب العالميين.
انظر دراستنا المنشورة في مجلة (دعوة الحق) بعنوان (أضواء على الأدب الإسباني المعاصر) الحلقة الثانية - ع 4 س 8 (شوال 1384 - فبراير 1965) ص 81 - 84.

7) راجع كتاب Torrente Ballester عن المسرح الإسباني المعاصر Teatro español contemporaneo.

فديريكو غرسية لوركا (1898 ـ 1936) وانريكي خارديل بونثلا (1901 ـ 1952). وأليخاندرو كاسونا (1903 ـ 1965).

ـ 2 ـ

اسمه الكامل. اليخاندرو ردريجث الفاريث. أما (كاسونا). وهو الإسم الذي ذاعت به كتاباته وطارت شهرتها. فهو اسم مستعار يحدثنا عنه هو نفسه في رسالة بعث بها إلى الأستاذ وليام. هـ سهوماكر (ولدت ودرجت في دار قديمة موروثة. ولأنها أكبر دار في القرية فلقد كان الجميع يدعونها (الدار الكبيرة) Casona ويشيع في القرى بسبب أن السكان يكادون يكونون كلهم أقارب أن تتكرر أسماء الأسر كثيرا فيميز بعضها عن بعض بإضافتها إلى المكان الذي تقيم فيه. وهكذا يقال : آل الينبوع وآل الوادي. وفي حالتي آل الدار الكبيرة. وحين نشرت أول كتاب لي على الناس قررت أن يحمل هذا الإسم المستعار فنتهى بي إلى استبدال اسم أسرتي حتى في حياتي مع الآخرين) (8).

كانت ولادة كاسونا في الثالث والعشرين من مارس سنة 1903 بقرية صغيرة تسمى (بيسوليو) بإقليم اشتورياش من أبوين كانا يشتغلان بالتدريس. وهي مهنة بقدر ما ازعجتهما بالتنقل من مكان إلى آخر أتاحت لوليدهما. وهو يخطر في أبراد طفولته. أن يتعرف على مناظر ريفية متنوعة. ويحتك ببيئات حضرية متعددة. وفي سن مبكرة تعلم كاسونا القراءة والكتابة. وكان تعلم. قبل ذلك. وأثناءه. كيف يحلم وهو يقظان. وإنه ليذكر. دائما. في طليعة ما يذكر. من ألوان لعبه. عهد

8) انظر. مقدمة الأستاذ فديريكو كارلوس ساينث دي روبلس لأعمال كاسونا الكاملة
Obras completas, tomo I p. XII

الطفولة. لعبه في جذع شجرة قسطل هرمة. طالت عليها العصر. يدخل يده في ثقب غائر بجذعها ليحلم. وهو يقظان. بالأشباح والعفاريت. والتوابع. والساحرات. وإنه ليذكر. أيضا. كيف أنه لم يكن يرهب هذه المخلوقات. بل كان يشعر بالرغبة الملحة في أن يصادقها ليصاحبها في مغامراتها العجيبة التي تتهاوى فيها الحدود بين الأمن والخوف. وبين الرجاء واليأس. وبين الحياة والموت. وعبر لعبته المحببة تلك. وعبر ما قرأه وشاهده. حين يفع، من أعمال مسرحية من مثل (الحياة حلم) La vida es sueño لكالدرون دي لا باركا (9). و(مجنونة البيت) La loca de la casa لبنيتو بريث كالدروس. كانت الرغبة تستبد بـ (كاسونا) في استكشاف عالم غير مرئي ولا محسوس. يستقل. إلى آفاقه. مراكب سحرية مجنحة بالحلم والخيال. وهي رغبة ما لبثت أن انعكست. على صورة لافتة. في كثير مما كتب (كاسونا) من أدب مسرحي منذ السنة التي عرض فيها على الناس باكورة نتاجه (الحورية الهاربة).

وسواء حين انتقل (كاسونا)، في ميعة الشباب. من (أوفييدو) حيث كان يدرس الآداب بجامعتها. إلى مرسية. أو من هذه إلى مدريد بعد ذلك. يدرس أصول التربية وعلومها. فإنه لم ينقطع عن المسرح قراءة ومشاهدة. بل ومشاركة في التأليف والعرض. ففي مرسية وجد (كاسونا) في شاعريها اندريس سوبخانو ويدروخر اكاريو خير مشجع وراع لمواهبه المسرحية. وإليهما يرجع الفضل في اطلاع (كاسونا) على روائع ما كتبه أعلام المؤلفين المسرحيين في اللغة الإسبانية وفي غيرها من اللغات.

(9) ترجمها إلى العربية وقدم لها بدراسة قيمة الدكتور صلاح فضل. ونشرت في الكويت ضمن سلسلة (من المسرح العالمي) رقم 87.

وخلال المدة التي امضاها (كاسونا) في مرسية من سنة 1917 إلى سنة 1922 شارك في بعض العروض المسرحية التي كان ينظمها المعهد الموسيقي. كما انضم إلى فرقة مسرحية، انشأها بعض أصدقائه. قدمت مسرحيات هزلية في القرى القريبة. أما في مدريد التي انتقل إليها سنة 1922 فقد وجد (كاسونا) في ندواتها الأدبية، وما أكثرها يومئذ. كما وجد في مسارحها ما أثرى موهبته وأغناها. فإذا بها تتفتق بالنتاج الجيد الذي ارهص، على نحو قطعي، بالمكانة المرموقة التي ستتبوأها مسرحيات (كاسونا) من أدب لغته، ومن أدب غيرها. ومن ذلك النتاج مسرحية (الحورية الهاربة) La sirena varada ومسرحية (الشيطان مرة أخرى) Otra vez el diablo ومسرحية (جريمة اللورد آرثر) El crimen de Lord Arturo هذا فضلا عن أعمال أخرى يعود تاريخ كتابتها إلى تلك الفترة من مثل ديوان (الحاج ذو اللحية الشيباء) ودراسته عن (الشيطان في الأدب والفن) ومترجماته عن موليير.

حتى إذا حلت سنة 1928 ازعجته ظروفه المهنية - كما كانت تزعج (لس) من أعمال مدينة لاردة Lérida حيث أمضى سنوات حافلة بالعطاء والنشاط المسرحيين. كان من أبرز مظاهرهما إنشاؤه
حافلة بالعطاء والنشاط المسرحيين. كان من أبرز مظاهرهما إنشاؤه
مسرحا للأطفال أطلق عليه إسم (الطائر الأحمر) وتشكيله فرقة مسرحية من الأطفال جعل يكتب لها مسرحيات قصيرة استلهم فيها الخيال والتراث الشعبي وصاغها في لهجة سكان وادي (أران) Valle de Arán حيث تقع قرية (لس). وقد اعجبوا، صغارا وكبارا، بهذا المسرح. فقدروا

صاحبه لذلك ولغير ذلك مما كان ينهض به في سبيل تعليمهم ورفع مستواهم الثقافي.

وقد استرعت أنظار المسؤولين في وزارة التربية والتعليم جهود (كاسونا) في حقل المسرح فما كان منهم إلا أن أسندوا إليه إدارة مسرح الشعب والمسرح المتجول. وهما مسرحان كانت غاية الوزارة منهما حمل ما في الأدب المسرحي الإسباني من تربية للنفس. وامتاع للوجدان. إلى جماهير البدويين. في القرى القريبة منها والنائية. المحرومين من مثل تلك التربية. وهذا الامتاع. وسرعان ما جعل (كاسونا) يجوب مختلف القرى على رأس فرقة مسرحية مؤلفة من تلامذة المدارس أيام الأعياد والآحاد والعطل. وهكذا شهدت أزيد من ثلاثمائة قرية هذه الفرقة المسرحية ـ تحل بها ليكب ممثلوها على نصب خشبة مسرحهم في الساحة العمومية وفي بضع دقائق ـ يقول (كاسونا) نفسه ـ نكون قد شرعنا في مزاولة عرضنا المسرحي. نهدي به إلى تلك الجماهير البائسة. المنسية قليلا من الترفيه والرغد الروحي. فإذا ما انتهينا من العرض أهدينا لهم بعض الكتب. ثم عزفنا لهم قليلا من موسيقى فلكلورية من القرن الذي تعود إليه المسرحية التي شاهدوها. وبقدر ما اجتهد (كاسونا) في اسعاد جماهير البوادي بما قدم لها من عروض مسرحية وموسيقية بقدر ما أفاد من احتكاكه بها من خبرات وتجارب تحدث عنها فقال : (إنه إذا كان لي أن أفخر بعمل قدمته في حياتي لأخدم به وطني حق الخدمة فهو ذلك العمل. وإذا كنت قد تعلمت شيئا خليقا بأن اعتبره عماد ثقافتي وتجربتي سواء في المسرح أو في الحياة فهو الذي تعلمت وأنا أجوب تلك القرى على رأس تلك الفرقة المدرسية المجهولة. أجل.

ثلاثمائة عرض مسرحي قدمناه في تلك الجولات أمام جمهور ساذج. ولكن سذاجته تنطوي على الحكمة العميقة. والعاطفة المتأججة. والتعبير الصادق مما يتميز به ذلك الجمهور البدائي الذي يعيش على الفطرة... ثلاثمائة عرض كانت بالنسبة إلي تجارب لا تنسى. ودروسا أدين لها بكل فضل) (10).

وما هي إلا سنوات بعد ذلك حتى دخل (كاسونا) منطقة الضوء في تاريخ المسرح الإسباني الحديث. وذلك حين ظفرت مسرحيته الرائعة (الحورية الهاربة) بأكبر جائزة عرفها ذلك المسرح. وهي جائزة (لوپ دي ڤيجا). ولما عرضت مسرحية (كاسونا) الفائزة على خشبة المسرح الإسباني بمدريد (17 مارس 1934) أجمع النقاد على الإشادة بها. مؤكدين على أنها عمل يختلف اختلافا جذريا عما كان يكتب يومئذ للمسرح سواء من حيث الأسلوب. أو الرؤية. أو المضمون. ولم يتردد أحد من هؤلاء النقاد في أن يعلن من خلال رأيه في (الحورية الهاربة) عن ظهور مؤلف مجدد جرىء سيحمل إلى المسرح الإسباني دما وطاقة كانت حاجته ماسة إليها.

على أن (كاسونا) لم ينعم طويلا تحت سماء بلاده بالمجد الذي أخذت بيده إليه (حوريته الهاربة) إذلم تكد تمضي على ذلك سنتان حتى غرقت اسبانيا خلالهما في حرب أهلية طاحنة (36 ـ 1939) اكتوى بنارها. فيمن اكتوى. طائفة من الأدباء والكتاب. آثروا. مكرهين. أن يعيشوا في مهاجر نائية على أن يظلوا يقيمون في بلد. تصادر فيه الحريات. وتكمم

(10) انظر. مقدمة أعمال كاسونا الكاملة ص ص. XVIII - XIX

الأفواه. وتخرس الأصوات. كان من أولئك خوان رامون خمينث. ورفائيل ألبرتي. واليخاندرو كاسونا.

وبعد أن أمضى (كاسونا) نحوا من ثلاث سنوات يطوف ببلدان أمريكا الجنوبية. متنقلا بين فنزويلا والبيرو. والشيلي. والأرجنتين. يعرض أعماله في مسارحها. ويلقي محاضراته في جامعاتها. القى عصا تسياره في (بوينس ايرس) حيث اشترى دارة جميلة أطلق عليها اسم (الحورية) اعترافا بالجميل. وإقرارا بالشكر للمسرحية التي منحته المجد. وأعطته الشهرة. وهاهنا. وعلى مدى عشرين سنة. أكب (كاسونا) على الكتابة للمسرح. ومن هنا.. من (الحورية) خرجت روائع (كاسونا) لتطير باسمه كل مطار. وتشرق بذكره وتغرب.

وأيا كانت الأسباب والدواعي التي حملت (كاسونا) على ترك المهجر. والعودة إلى الوطن الأم بعد غياب استغرق من العمر أزيد من عشرين سنة. فإننا نفاجأ. مع مطالع سنة 1961. بالكاتب في مدريد. ظاهرة في الكتابة المسرحية لافتة للنظر مسترعية للانتباه. وكيف لا وقد نيف عرض بعض مسرحياته من مثل (الأشجار تموت واقفة) على ألف مرة. وعرض بعضها الآخر من مثل (الفارس ذو المهماز الذهبي) مئات المرات.

على أن العمر لم يمتد طويلا بـ (كاسونا) بعد عودته إلى وطنه. فلم تكد تمضي سنوات خمس على ذلك حتى لفظ نفسه الأخير (17 شتمبر 1965) وهو في أوج المجد والشهرة. والناس. يومئذ. يتسابقون على حجز تذاكرهم في مسرح (لارا) لمشاهدة مسرحيته (ثلاث زوجات

صالحات) أو في مسرح الفنون الجميلة لمشاهدة مسرحيته (الفارس ذو المهماز الذهبي).

ـ 3 ـ

تدور أحداث مسرحية (الأشجار تموت واقفة) في مجتمع من مجتمعات المادة والاستهلاك حيث يعيش أغلب الناس في قلق وتأزم. وحيرة وتمزق. ينشدون الراحة. والطمأنينة. والأمن. فلا يهتدون سبيلا. تبتلعهم سراديب ملتوية. مظلمة. يتراءى لهم فيها الجنس. والمخدر. والعنف. مرابع أمل وسلام. لكنهم لا يلبثون. بعد حين. يطول أو يقصر. أن يكتشفوا عقمها. وجدبها. وتكون خيبة أملهم مريرة تسلمهم. في الأغلب. إلى... الانتحار !

في مثل هذه المجتمعات لا تعدم فئة من الناس تنطوي جوانحهم على الخير. والطيبة. والإحسان. يؤرقهم ما يعاني الآخرون من البؤس. والحرمان. والضياع. فإذا بهم يسارعون إليهم. يبذلون جهدهم في المضي بهم. في رفق وسعة صدر. إلى ظل وارف في قيظ الحياة. يجدون فيه راحتهم وأمنهم. وسلامهم.

كان هذا. بالضبط. هو ما فكر فيه رجل عرف بالغنى والسخاء هو الدكتور أربيل ـ الذي سبق أن تحدث عنه (كاسونا) في مسرحيته (ممنوع الانتحار في الربيع) (11) ـ وقد هداه تفكيره إلى إنشاء مؤسسة للبر. والخير. والإحسان. على نمط غير مألوف فيما نعرف. ويعرف الناس. من مؤسسات البر والخير. والإحسان. فإذا كانت مهمة هذه تنحصر. عادة. في

---

11) هي ضمن ما ترجمناه من المسرح الاسباني إلى العربية. ولم تنشر بعد.

إيواء العجزة والمستضعفين من الرجال والنساء. والولدان الذين لا يستطيعون حيلة. توفر لهم الطعام. والكسوة. والرعاية فإن مؤسسة الدكتور آرا ييل لا تأوي. ولا تطعم ولا تسقي. وإنما تسمى أو قل يسمى القائمون عليها جاهدين في صدق وإخلاص إلى الأخذ بأيدي الأشقياء والبؤساء. والمحرومين الذين يعيشون في قلق وحيرة يقضان عليهم مضاجعهم ويحرمانهم من متع الحياة ومباهجها. ينقذونهم من التردي في المهاوي التي أشرفوا عليها. ويعيدون إليهم الإحساس بالأمل. والشعور بالتفاؤل. والرغبة في الحياة.

وإذن فمؤسسة الدكتور آريل التي يرتفع عنها ستار الفصل الأول من المسرحية ليست إلا مؤسسة خيرية على نمط حديث. وبأسلوب جديد. يسهر على تنفيذ برامجها ومشاريعها خليط من الناس قد تحملك لأول وهلة. ملابسهم وتصرفاتهم الغامضة على الظنون. ولكنك لا تلبث أن تتأكد بأن أصحاب تلك الملابس والتصرفات أشخاص في منتهى الطيبة. والفضل. وحب الخير. يجهدون نفوسهم. ويسخرون مواهبهم ومعارفهم في إسعاد الأشقياء من الناس والمحرومين. يبحثون عنهم. ويتجسسون عليهم إن اقتضى الحال. متقصين دواعي شقائهم وبواعثه وظروفه ومضاعفاته المتوقعة ليستطيعوا. بعد ذلك. معرفة الداء وتشخيص الدواء. وهذا إذا كان يتنوع بتنوع الظاهرة المرضية عند الفرد أو الجماعة التي يراد إلى علاجها فإنه في جانب كبير منه يقوم على كلمة طيبة تحمل إلى النفس القلقة فيضا من الأمن. وعلى تبسم صادق في الوجه الآخر يشيع في الروح المعذبة دفقا من الراحة. يعيد بهذا وذاك إلى العينين نورهما. وإلى القلب نبضه. وإلى الخطو ثباته.

وأول ما يسترعي الانتباه في مؤسسة الدكتور آرابيل الخيرية هي هذه الجدية التي تسيطر على جو العمل هناك. وهي جدية نلمحها أول ما نلمحها. في شخصية السكرتيرة. وهي امرأة أنضجتها السنون والمسؤولية. تتحدث باتزان. وتأمر بحزم. ولا تتسامح في ارتكاب أي خطأ بالبطائق أو الأوراق، لأن (الاستهانة بأية جزئية صغيرة هنا يمكن أن تؤدي إلى حدوث كارثة. إن حيوات كثيرة مرتبطة بنا. لكن الطريق مليء بالأخطار. وتماما كما يمكننا أن نستحق شكر الإنسانية يمكن أيضا أن نساق جميعا إلى السجن في هذه الليلة ذاتها. لا تنسى هذا) (12).

وفي صدر الفصل الأول ووسطه نتعرف على نماذج من أعضاء هذه المؤسسة والعاملين بها من مثل الساحر. والمتسول. والصياد. والقسيس. تروعنا أول الأمر هيئتهم. ويريبنا سلوكهم. ويخيفنا حوارهم. غير أننا حين نتعرف على ما يبذلونه من جهد في سبيل إنقاذ الاخرين واسعادهم لا نملك إلا أن نعجب بما يذخرون في أعماقهم من خير وطيبة وإنسانية.

وفجأة تدخل مؤسسة الدكتور أرييل حسناء ذات عينين حزينتين. إنها مارتا ايزابيل. فتاة اصطلت طويلا في منطقة الظل. فلما أنهكها الألم. وأمضها العذاب. التمعت في ذهنها فكرة الانتحار، كانت اقتنعت فيما بينها وبين نفسها بفشلها وعدم جدواها حين طردت من العمل. ولم يعد في وسعها أن تتحمل أكثر.. لقد عاشت حياتها محرومة من أشياء كثيرة يستمتع بها الناس. لم يكن لها بيت ولا أخ ولا حتى صديق.

---

12) هذا النقل وما يرد بعده من نقول من مسرحية (الأشجار تموت واقفة) هي من النص العربي بترجمتنا.

وبرغم ذلك كله ظلت تنتظر... الذي يأتي. فلما يئست قررت أن تتخلص من حياتها المعذبة (لم يكن ثمة ما يصلني بالحياة وينقذني من التردي في الهاوية. لا ذكرى من الماضي ولا أمل في المستقبل.. امرأة انتهت قبل أن تبتدىء) وبينما كانت تتأهب لتجرع كأس ماء ذوبت فيه أنبوبة كاملة من أقراص (الڤرونال) المنومة إذ سمعت وقع حصاة على زجاج نافذة غرفتها أعقبه صوت سقوط شيء داخل الغرفة... إنها باقة ورود حمراء مرفقة بورقة كتبت فيها كلمة واحدة (غدا).. منحتها هذه الكلمة إحساسا عميقا بالتشبث بالحياة فأغمضت عينيها تستسلم للنوم (معانقة ورودي. ورودي أنا.. الورود الأولى التي استلمت في حياتي في حين كانت الكلمة الطيبة تملأ علي السمع والفؤاد كالمطر الذي ينزل في الخارج. غدا. غدا. غدا.) ولما استيقظت في الصباح وقعت عيناها على بطاقة زرقاء تحت باب غرفتها قرأتها فإذا هي دعوة لزيارة مؤسسة الدكتور أريبل.

وهاهي ذي في المؤسسة لا تكاد تدرك أي معنى لما ترى وتشاهد. ولولا دخول شيخ في اثرها إلى المؤسسة يحمل هو الآخر بطاقة زرقاء مثل بطاقتها لانسحبت لتوها أو لجن جنونها.

جلس السيد بلبوا ـ وهو إسم الشيخ ـ بجانب إيزابيل. يتأملان. في شيء غير قليل من الدهشة. هذه النماذج البشرية التي تذهب وتجيء أمامهما وتتصرف تصرفات محيرة. وتتحاور فيما بينها على نحو يبعث على الريبة.

وحين خلا المكان للفتاة والشيخ دار بينهما حوار بدأه الشيخ إذ قال للفتاة كمن يفضي بسر :

بلبوا ـ قولي لي يا آنسة. هل لديك فكرة عن المكان الذي نوجد فيه ؟

ايزا بيل ـ أنا. لا ...لا فكرة لدي إطلاقا. وأنت ؟

بلبوا ـ ولا أنا أيضا. إنه لأمر عجيب. أليس كذلك ؟ لا أحد منا. نحن الإثنين. يعرف حيث نحن. ومع ذلك هنا نوجد نحن الإثنين.

إيزا بيل ـ أليس من الممكن أن نكون اخطانا العنوان ؟

وبعد أن يتأكدا من العنوان الذي يحملاه يصبح أشبه بالأكيد لديهما أنهما وقعا في فخ جماعة من المحتالين الارهابيين. ثم يدور بينهما هذا الحوار بعد أن كاد الفزع يكتم أنفاسهما وهما يبصران تصرفات المتسول والصياد ويصغيان إلى حديثهما المريب.

بلبوا ـ كل ما فكرنا فيه غير مجد. رهذه ليست طائفة دينية. ولا هي جمعية ارهابية سرية... لا ...لكن. ما هي ؟ رحمتك يا إلهي وهدايتك.

إيزا بيل ـ (تقترب منه وصوتها يرتعش) لعلنا في حلم. من يدري ؟

بلبوا ـ ولكن. أونحلم معا وفي وقت واحد ؟

إيزا بيل ـ ومع ذلك. فهذا العالم اللامشروع. وهذا الخليط من البذل والشخصيات لا يمكن مشاهدته إلا في الحلم.

وينفذ صبرهما فيقرران الفرار.

وفي تلك اللحظة بالذات يدخل عليهما رجل في مطلع شبابه. مشرق المحيا. تفيض أعطافه باللطف. يرتدي ثيابه بأناقة لا أثر فيها للتكلف. أنه موريثو مدير المؤسسة. لم يشك لحظة وهو يتطلع إلى ملامح الفتاة والشيخ. في أنهما اساءا التفكير والتفسير. فأسرع يلتمس من

الشيخ أن يتركه مع الفتاة على انفراد فلما انسحب الشيخ بعد تردد أقبل موريثو على إيزابيل يشرح لها فكرة مؤسسة الدكتور اربيل وكيف أنها ليست ملجأ لايواء العجزة ولكنها مؤسسة لعلاج الأرواح والنفوس (أجل. فالذين ينهضون بمعالجة أمراض الجسم كثير. لكن من فكر في الذين يموتون دون ذكرى واحدة. جميلة. بهية ؟ من فكر في الذين لم يبصروا حلما واحدا من أحلامهم يتحقق ؟ من فكر في الذين لم تعتر وجدانهم. أبدا. رعشة غيب وإيمان ؟

ومن خلال الحوار الذي يدور بين موريثيو وإيزابيل يتبدى لنا بوضوح أن مورثيو هو الذي رأى إيزابيل تسير أمس في الشارع. حزينة الوجه. كاسفة البال. شاردة اللب. فاقتفى خطواتها. ثم رآها تدخل صيدلية وتشتري أنبوبة أقراص منومة. وأيقن. لحظتئذ. أنه مدعو لإنقاذها. فتابع السير وراءها حتى إذ احتوتها غرفتها في الفندق الذي تقيم فيه رمى لها بعد ذلك من تحت باب حجرتها ببطاقة زرقاء يدعوها للقدوم للمؤسسة.

استرسل مورثيو يشرح لإيزابيل فكرة المؤسسة وأهدافها ويحدثها عن مساعيه ومساعي زملائه من أجل اسعاد الناس. تلك المساعي التي تكلل بالنجاح مرة وتمنى بالفشل أخرى. ثم انه لايكتفي بذلك. بل يؤكد لها أن ابتسامتها ترشحها للعمل بجانب العاملين بالمؤسسة. ولأنها ابتسامة فاتنة فهي مجدية ونافعة. ولكن إيزابيل تصر على عدم جدواها وصلاحيتها للعمل. فيقول لها مورثيو. (أولا آمني بأنك تصلحين. ثم بعد ذلك ستصلحين. ولا تحسبي أن الأمر يستلزم أشياء فوق المعتاد. لقد رأيت أنه. أحيانا. تكتفي باقة ورد لإنقاذ حياة. أنت في البداية تملكين بسمة فاتنة).

وتوافق إيزابيل على العمل في المؤسسة.

ثم يأتي دور الشيخ السيد بلبوا.... إنه رجل يكتنف حياته شيء غير قليل من الضيق. ويكتنفها حظ غير يسير من الصعاب. ومن خلال ما يدور من حوار بين الشيخ وبين مورثيو نعلم أنه يعيش مع زوجته العجوز وحيدين. تمضي بهما الأيام رتيبة. مملة. وقد كانا. قبلا. يعيشان في كنف أسرة كثيرة الأفراد. تغمرها السعادة وتظللها. وعلى حين غرة أجهز عليها القدر فلم يبق غير الجدين وحفيد واحد. وقد حملهما الإحساس بالخوف من فقد هذا الحفيد الوحيد الذي تبقى لهما على معاملته بشيء من التسامح والتساهل. فيه كثير من الإفراط، الأمر الذي كان سببا في انحرافه وانضمامه إلى جماعة من رفاق السوء. يقامر. ويسرق. ويمضي لياليه خارج البيت في سهرات العربدة والعنف والسطو. حتى حدث ذات صباح باكر أن فاجأه جده السيد بلبوا وهو يحاول فتح خزانة نقوده في مكتبته. فلم يستطع أن يسيطر على أعصابه. فصفعه صفعتين ثم طرده من البيت شر طردة. وكانت الصفة الحميدة الوحيدة التي يتحلى بها الحفيد هي صفة الاعتزاز بالنفس. وهي التي دفعت به يومئذ إلى أن يهجر البيت ويركب باخرة سلع إلى كندا.. وهناك جعل يمضي أيامه على نحو ما كان يمضيها في مسقط رأسه. يمارس التهريب. والقمار. والعنف. كانت أخباره تنتهي إلى الجد فيخفيها عن زوجه حتى لا تثقل عليها وطأة الحزن والأسى، وبرغم ذلك فقد كان البيت الذي يظللهما سقفه يتراءى (مهدما) متداعيا. (لم تقل لي أبدا كلمة عتاب أو توبيخ. لكن ذلك البيانو المغلق. تلك الأريكة وقد استدبرت النافذة. ذلك الصمت القاتل الذي خيم على البيت سنوات وسنوات. كل

ذلك كان يشكل أبشع اتهام لي كما لو كنت أنا المسؤول عن كل ما حدث). كان السيد بلبوا يرى زوجه العجوز وقد أمضها الحزن فيتألم في أعماقه ويتمنى لو يجد سبيلا إلى إسعادها. وكان أن اهتدى إلى وسيلة حسب أنه يحقق بها ذلك. فكتب رسالة إلى الجدة على لسان الفتى العاق. الهارب. يستغفر. ويعتذر. ويلتمس العفو عما كان بدر منه. وقد نجحت وسيلة السيد بلبوا إذ أن الجدة العجوز حين قرأت الرسالة (استعادت بعض ما فقدته من حيوية ونشاط. واستعاد البيت بعض ما فقده من اشراقة ومرح. وبفضل تلك الصفحات الثلاثة امتدت الأيدي إلى البيانو تفتحه، وإلى الأريكة تديرها جهة الحديقة).

وبالنظر إلى هذا التأثير الطيب الذي أحدثته رسالة الاستغفار في نفس الجدة. فإن زوجها السيد بلبوا واظب على كتابة الرسائل إليها. (في كل شهرين أو ثلاثة رسالة جديدة من كندا لاذكاء الجذوة). وكانت الجدة (تجيب في سعادة غامرة على كل رسالة تصلها). وملأ عليها فكرها. ونفسها أمل كبير في عودة حفيدها وهو يحمل شهادة في الهندسة من جامعة مونتريال ويتأبط ذراع حسناء كندية شقراء، أحبها. وأحبته. فتزوج بها...

لكن الواقع المر سرعان ما اقتحم مسرح الخيال و(التمثيل) ليفسد على السيد بلبوا أمره، ويعكر صفوه. وقد كان ذلك حين تسلمت الجدة تلغرافا بعث به إليها حفيدها الحقيقي - وليس حفيد الرسائل المزعوم يخبرها فيه بأنه عائد على متن الباخرة (ساتورينا).. وبقدر ما أثار الخبر في نفس الجدة من بهجة وفرح أثار في نفس الجد السيد بلبوا من حزن وأسى. أجل. (إن ستار الدخان يزاح. وليس يجدي لحظتئذ إغماض

العينين. قاعة الدرس في الجامعة ستتحول إلى زنزانة محكوم عليه بالأشغال الشاقة. والسفر عبر غابة السرو والبحيرات ستتحول إلى مطاردة بوليسية على الاسفلت. وذلك الفتى الغض الأهاب الممتلىء عافية وفرحا سيتحول إلى هذا المخلوق القذر).

فكر الجد طويلا عساه يهتدي إلى وسيلة يمكنه بها أن يحول دون وصول الحفيد إلى البيت. لكن بدون جدوى. غير أن الواقع يتدخل، مرة أخرى، ليحسم الأمر. ويقدم الحل. فلقد نشرت الصحف خبر غرق الباخرة ساتورينا في عرض البحر. ولم ينج أحد من المسافرين الذين كانت تقلهم على ظهرها !

وحقا أن حادث غرق السفينة أنقذ السيد بلبوا من ورطته. ولكن، ما العمل مع الجدة ؟ إنها لتنتظر وصول الحفيد في شوق وفرح. ولو انتهى إليها خبر غرق السفينة لكان في ذلك حتفها. واقتنع السيد بلبوا فيما بينه وبين نفسه أن الحفيد لا بد أن يصل إلى البيت. كيف والحفيد غرق فيمن غرق من ركاب الباخرة ؟ ليس من أهمية لحفيد الدم (إن الذي يجب إنقاذه هو الآخر.. حفيد الرسائل اللطيفة. حفيد القلب المفعم بالإيمان. والنفس الممتلئة بالفرح... الحفيد الحقيقي والوحيد بالنسبة لها ! هذا هو الذي يجب أن يصل).

لم يجد السيد بلبوا غير هذا الحل وإلا فإن خبر غرق الحفيد سيكون ضربة قاضية على الجدة (أتدري ما معنى أن ينتظر إنسان عشرين سنة من أجل أن يحيا يوما واحدا. وحين يطل هذا اليوم يطالعه قاتما. موحشا ؟).

من أجل ذلك كله جاء السيد بلبوا إلى مؤسسة الدكتور آريل يلتمس العون والمساعدة. ويرجو من مدير المؤسسة مورثيو أن يمثل شخصية الحفيد العائد مؤكدا له أن السنوات العشرين التي مرت على ذهابه كفيلة بأن تغير سحنة حفيد الدم.. وهو لا يطلب منه أن ينهض بهذا (التمثيل) على الدوام والاستمرار... فقط. أسبوع. أيام... ليلة واحدة على الأقل. ويتشبث السيد بلبوا بمورثيو، مدير المؤسسة، متضرعا ألا يحرم الجدة العجوز ساعة واحدة مفعمة بالسعادة قد تكون هي ساعتها الأخيرة !

تستبد بمورثيو الحيرة، ثم لا يلبث أن يستجيب بالموافقة على طلب السيد بلبوا. ويقع اختياره على مارتا إيزابيل للقيام بدور زوج الحفيد. ولكي ينهضا بدورهما على أحسن وجه جلس إليهما السيد بلبوا يعرفهما بالبيت الذي سيذهبان إليه وما يسود الحياة فيه من نظام وعادة، كما وضع بين أيديهما رسائل الحفيد (الزائف) إلى الجدة ليدرساها ويعرفا محتواها. وتم الاتفاق، بعد ذلك، على أن يصلا إلى البيت في اليوم الذي تنتظر فيه الجدة وصول حفيد (الدم)...

وهنا ينتهي الفصل الأول.. وينزل الستار.

ثم يرفع، ويبدأ الفصل الثاني....

نحن الآن، في بيت الجدة نترقب، كما تترقب هي، من حين لآخر، وصول حفيدها الذي ترك هذا البيت منذ عشرين سنة... وتتحدث الجدة في غبطة (إن لحفيدي أن يترعرع.. وإن له أن يسلخ من أعوام العمر ما شاء أن يسلخ فلن يصبح بحال أكبر من أن تحتضنه ذراعي ويسعه صدري)، وتمر بها لحظات الانتظار بطيئة، وئيدة (ولكنها مفعمة بالحياة،

طافحة بالبشر. كما لو كان هو بشخصه ماثلا فيها بيننا... لقد انتابني هذا الإحساس أكثر من مرة. لحظة كنت أتسلم رسائله لم أكن أسرع إلى فض الغلاف. بل كنت أقلب الرسالة في يدي ظهرا لبطن مرات ومرات. ثم أغمض عيني محاولة أن أتنبأ بما احتوته الرسالة قبل قراءتها... قد يبدو هذا تصرفا أبله. لكن الرسائل. هكذا. تطول ويمتد تأثيرها...).

وأخيرا...

يصل ممثلا (الملهاة)...

يدخل مورثيو ويرتمي في حضن الجدة التي تتألق ملامحها بإشراقة الفرحة. فتعانقه في حرارة. وتقبله في حرارة. وتتفرس فيه من خلال الدمع الذي فاضت به عيناها. وتحدر على ثغرها الباسم. ثم تعود لتعانقه. وتقبله.

ويمسك القلق بتلابيبنا ونحن نصغي إلى الجدة وهي تقول لحفيدها :

- دعني أتأملك... إن عيني لم تعودا تقويان على التمييز كثيرا. لكنهما تذكران. تذكران (تتأمله طويلا) كم تغيرت يا طفلي الكبير !

يجيبها مورثيو :

- إنها عشرون سنة ياجدتي... إنها حياة !

ثم يقدم إليها زوجه المزعومة مارتا إيزابيل.. وتتأملها الجدة بإمعان. ثم تقبلها على جبينها في اغتباط وإعجاب. كل ذلك والجد السيد بلبوا واقف يتتبع مراحل (الملهاة) الأولى في صمت وتهيب... وحين تدعو الجدة زوج حفيدها للطواف بالبيت يعترض مورثيو على الإقتراح لعدم فائدته. فإن مارتا إيزابيل تعرف هذا البيت جيدا لكثرة ما حدثها عنه.

وبوسعها «الآن أن تطوف بأجزائه وزواياه كلها وهي مغمضة العينين !». ولا يكاد ينهي كلامه حتى تتقدم زوجه إلى وسط الخشبة وعيناها بين الإغماض والانفتاح. ثم تشرع في وصف البيت والحديث عن زواياه وحجراته !

ويسترسل الحوار...

ومن خلاله يبدو جليا أن الجدة لا تخالجها ذرة من شك في أنها أمام حفيدها الذي غاب عنها منذ عشرين سنة...

وحينما تصعد الجدة تصحب معها زوج حفيدها إلى الطابق العلوي يخلو الجو لمورثيو وللسيد بلبوا. ويدور بينهما هذا الحوار.

مورثيو - كيف تجدك... ؟

بلبوا - في منتهى العجب... أية طاقة من الغبطة. وأية نار ! إنها امرأة أخرى... (يصافحه في تأثر) أشكرك من صميمي. إنني لن أستطيع. أبدا. أن أرد لك ما تسديه من معروف لهذا البيت.

مورثيو - أما من جهتي فإنك لن تتصور مبلغ فرحي. إنني في العمق فنان. وليس ثمة ما يثيرني مثلما يثيرني التغلب على العراقيل. إن إحساسي. الآن. يتجمع في نقطة واحدة هي أنه ابتداء من هذه اللحظات سيصير كل شيء في منتهى اليسر والسهولة.

بلبوا - أوتعتقد أننا اجتزنا أخطر المراحل وأعسرها ؟

مورثيو - ما في ذلك شك. إن أخطر مرحلة وأعسرها كانت هي مرحلة اللقاء الأول. ولولا أنني بدوت متأثرا حين عانقتها ولم ادع لها فرصة النظر إلي في هدوء واطمئنان لكنا خسرنا كل شيء. من أجل

ذلك ضممتها إلي بقوة حتى حملتها على البكاء... عينان مغرورقتان بالدموع وعشرون سنة من الفراق. كل ذلك ساعد كثيرا.

وإذن. فليس من شك في أن الحيلة قد نجحت. وما عاد. ثمة. خطر في انكشاف الأمر. لكن مورثيو. وهو الممثل البارع. لا يبدو مطمئنا. مع ذلك. كل الاطمئنان. فالجدة. على تقدمها في السن. ذات ذكاء شديد. وقدرة على الملاحظة قوية. وأية هفوة ترتكب في هذه (الملهاة) قد تؤدي إلى كارثة يكون من ضحاياها الجدة والسيد بلبوا. ثم إن مورثيو. إلى ذلك. قلق من تصرفات إيزابيل، بل إنه غير واثق في قدرتها على الاسترسال في (التمثيل) دون تعثر أو سقوط. ولقد كاد الزمام يفلت من يدها في المشهد الأول حين ارتمت بين دراعي الجدة تبكي في غير تصنع أو تكلف. وقد صدق ظن مورثيو حين حدثته إيزابيل فيما بعد بأنها حين اجهشت بالبكاء بين ذراعي الجدة كانت فقدت السيطرة على نفسها ولم يعد بوسعها أن تتحمل أكثر (ليس لك يا مورثيو أن تنسى أنني بدوري أعرف ما معنى أن يعيش إنسان وحيدا... ينتظر !).

ويسدل الستار وكل شيء على ما يرام...

لكنه بعد أن يرفع... يكون حدث ما أثار شك الجدة وقلقها !.

إن الارتياب داخل الجدة منذ الليلة الأولى. غير أنه كان يمكن أن يخطر ببالها كل شيء إلا ما حدثتها به خادمتها. وكان ما حدثتها به هذه الأخيرة هو أنها وجدت إيزابيل نائمة وحدها في حجرة، ومورثيو نائما في حجرة مجاورة.. ولكن الأمر لم يبلغ من التعقيد مبلغا يفسد معه على (الممثلين) أمرهم، بل إنه مر بسلام بفضل ذكاء إيزبيل وتداركها له بابتكارها أكاذيب بيضاء أقنعت بها الجدة وأعادت إليها طمأنينتها.

وإلى منتصف الفصل الثالث يكون كل شيء يسير سيره الطبيعي...

وفي غمرة السعادة الشاملة التي كانت اظلت البيت منذ وصول مورثيو وزوجه يحدث، فجأة، ما لم يكن منتظرا أن يحدث...

في حين كانت الجدة - التي أمضت عشرين سنة تتعذب وتتألم في صمت - تنعم بما أفاضته عليها عودة الحفيد من بهجة وغبطة، وتستمتع بالإصغاء إليه أو إلى زوجه إيزا بيل.

وفي حين كانت إيزا بيل - الفتاة التي عاشت حياتها محرومة من الحب، والعطف، والحنان - قرت عينا (في حضن حياة جميلة، مشرقة، أعطتها كل ما حرمت منه في ماضي أيامها ، أسرة، بيت يطل على حديقة جميلة، حب امرأة حديثة عهد بالزواج... حقا، لم يكن ذلك كله إلا أدوارا تؤديها في (ملهاة) لكن المسكينة نسيت، فيما يبدو، أنها تمثل، فارخت العنان لعواطفها، واندفعت مستسلمة بإفراط. وهكذا تحول ما كان ينبغي اعتباره خشبة مسرح إلى منزل حقيقي، وتحولت كلمة (جدتي) التي كانت تخاطب بها السيدة الكبيرة من مجرد كلمة يتلفظ بها إلى صرخة تنبعث من حناياها، ونداء يأتي من بعيد... من بعيد، وحتى حينما كان الزوج المزعوم يقبلها كانت شرايينها تنبض بالبهجة والمتعة كأنما كل شيء أصبح حقيقة لا تمثيل فيه !).

ليس هذا فحسب...

بل إننا نسمع إيزا بيل فيما بعد تصارح مورثيو بحقيقة دخيلتها، انها لا تستطيع الاسترسال في التمثيل... تريد أن يكون كل شيء حقيقة أو تعود إلى حياتها الأولى بما فيها من عذاب، وألم، وبؤس... ويصارحها مورثيو بمثل ذلك ! لقد جرفه التيار، ولم يعد بدوره يستطيع الاسترسال

في التمثيل. لقد أحب إيزابيل حبا حقيقيا، وأحب الجدة كما لو كانت جدته حقا، وأحب هذا البيت، ولا يستطيع تصور فراقه...

في تلك الأثناء بالضبط ضحكت الأقدار بملء فيها من تقديرات السيد بلبوا وورثيو !

لقد وصل الحفيد الحقيقي... إلى البيت !

لم يسافر على ظهر الباخرة (ساتورنيا)... فنجا من الغرق !

وها هو ذا وقد اكتشف سر (اللعبة) يحرص على استغلالها لصالحه، المال أو مواجهة الجدة بالحقيقة كلها !

وقد عرفت الجدة أن الزائر حفيدها الحقيقي حين استرقت السمع إلى ما دار بينه وبين زوجها وورثيو وإيزابيل من حوار دل على خسته وضعته. وذات مرة، وبينما كانت إيزابيل تحاوره في محاولة يائسة لصرفه ظهرت الجدة، متماسكة، قوية، لتواجهه مواجهة صارمة، عنيفة، أنهتها بأن طردته من البيت، فخرج صاغرا، ذليلا !

ولما أقبل عليها ورثيو وإيزابيل لم تحك لهما شيئا مما دار بينها وبين الغريب الزائر، بل تظاهرت أمامهما بأنها لم تعرف شيئا عنه، واكتفت بأن قالت لهما بأن الرجل وقف بازائها صامتا لحظة ثم انصرف دون أن ينبس بكلمة !

ثم خاضت معهما في حديث يقطر مودة وحبا كما لو كانا حفيديها بالفعل...

إنها (مدينة لهما بأجمل أيام حياتها، وهي لا تريد أن يبصراها، وهما على أهبة السفر متهالكة، متداعية. صحيح إنها ميتة من الداخل، لكن واقفة... كالأشجار تموت واقفة !).

ـ 4 ـ

وقبل أن نذيل مسرحية (الأشجار تموت واقفة) بجملة ملاحظات، نحب أن نقدم لذلك بكلمة موجزة في مسرح كاسونا بعامة.

لقد ظفر هذا المسرح، كما لم يظفر مسرح مؤلف آخر من عصريي كاسونا، بعناية النقاد واهتمام الدارسين سواء في اللغة الإسبانية أو في غيرها من اللغات التي ترجم إليها هذا المسرح (13). ومع ذلك فما نظن

(13) من هذه الدراسات في :

أ ـ الاسبانية :

- Peña y Torres, Maria de Soledad, El teatro de Alejándro Casona.

(وهي أطروحة دكتوراه قدمت بكلية الآداب ـ جامعة مرسية)

- Rodriguez Richart, J. Vida y teatro de Alejándro Casona. Oviedo (1963).
- Sainz de Robles, Federico Carlos. Estudios en las obras completas de Alejandro Casona ed. Aguilar. México (1954).

ب ـ العربية :

ـ د. محمود علي مكي، مقدمة ترجمته لمسرحية كاسونا (مركب بلا صياد) سلسلة (مسرحيات عالمية) رقم 13 (15 شتنبر 1965) ص ص 7 ـ 50.

ـ د. حسن مؤنس، كتب وكتاب ج. ط دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ص ص 56 ـ 69، 120 ـ 130 ـ 171 ـ 183.

ـ توفيق عاشور، مقدمة ترجمته لمسرحية كاسونا (قارب بدون صياد). ط. الدار التونسية للنشر.

د. عماد الدين خليل، القيم الايمانية في مسرحية «مركب بلا صياد» في كتاب (في النقد الإسلامي المعاصر) ط. مؤسسة الرسالة ـ بيروت (1392 ـ 1972) ص ص 67 ـ 99.

د. حسن الوراكلي، المسرح الاسباني المعاصر في اللغة العربية (مخطوط).

ج ـ الفرنسية :

- Farrast, Robert, Situation du théâtre espagnol. en « théâtre populaire ». Paris (1955).
- Inghent, Rosemarie, Théâtre d'Alejandro Casona : Realité et evasion. وهي رسالة إجازة في الآداب قدمت بجامعة بروكسيل

د ـ الانجليزية :

- Schwarz, Kessel, Reality in the Works of Alejandro Casona. En « Hispania » 1957
- Wilson Server, Alberto, Notes on the contemporary drama in Spain. En « Hispania » 1959.

أن هذا المسرح استوفى حظه من البحث والدرس. ومما لا شك فيه أن هذا التراث المسرحي الوافر والغني الذي تركه كاسونا جدير بأن يعاد فيه النظر من واجهاته المختلفة. ويعكف عليه الدارسون والنقاد بالدرس والتحليل،وفي رأي بعض الدارسين أنه ليس ثمة مسرح مؤلف اسباني آخر هو بحاجة إلى ذلك مثلما هو مسرح كاسونا. ليس فقط لأنه أكثر ذيوعا وانتشارا من غيره. وليس لأنه أثقل وزنا من غيره في ميزان المسرح العالمي، ولكن لأنه قد انتهى. قبل أن تنتهي حياة صاحبه. إلى درجة من الاكتمال والنضج. أصبح معهما من الميسور تشكيل احكام. لا نقول نهائية. ولكنها أقرب ما تكون إلى ذلك. حول هذا المسرح.

ويكاد النقاد الذين تناولوا مسرح كاسونا يجمعون على جملة قيم في المضمون. وبضع مميزات في الشكل. ليس يدور مسرح كاسونا إلا في إطارها.

وقد رصد الناقد فديريكو كارلوس ساينث دي روبلس القيم المضمونية لهذا المسرح في دراسة هامة صدر بها أعمال كاسونا الكاملة (14). وعنده أن هذه القيم تمثل في مجموعها خيطا ينتظم أعمال كاسونا كلها انطلاقا من (الحورية الهاربة) La sirena varada وانتهاء بـ (الفارس ذو المهمازات الذهبية) El caballero de las espuelas de oro

وهذه القيم هي :

1 ـ مزج ما هو واقعي فيما هو وهمي، والعكس.

2 ـ شخصيات واقعية في عالم الوهم.

---

14) انظر، ص XL وما بعدها من مقدمة الاعمال الكاملة لكاسونا.
Obras completas de Alejandro Casona.

3 ـ شخصيات وهمية في عالم الواقع.

4 ـ الانسجام والتوافق بين الخيال والحقيقة.

5 ـ اضفاء المثالية على الانفعالات والاهواء والاحلام.

6 ـ المدلول الواقعي لما هو شعري.

7 ـ الإنسانية والشاعرية.

8 ـ الرقة والفكاهة.

9 ـ التوسل بالمسرح في مجال التربية.

10 ـ الكراهية الشديدة للقيم الروحية السلبية ، الحقد والتشاؤم والأنانية والحسد والنفاق الخ.

11 ـ أبطاله : الله، الموت، الحب.

12 ـ التعبير الواقعي والتعبير الشاعري.

وإذا كان بوسعنا أن نلحظ تداخل هذه القيم وتمازجها بحيث يعسر، في كثير من الأحيان، فصل إحداها عن الأخرى، فإن مما لا شك فيه أن (الواقعية) من نحو، و(اللاواقعية) من نحو ثان، يمثلان طرفي المعادلة في مسرح كاسونا، وينتظمان في سلكهما مجموع تلك القيم بدون محاشاة أو استثناء.

وإذا كانت (الواقعية) في مسرح كاسونا تعني أن ما يعرض على الخشبة ليس تنكره الحياة أو ترفضه فإن (اللاواقعية) تكاد تكون في هذا المسرح ذات مدلول مرادف. ذلك أن كاسونا لا يعتبر من (اللاواقع) أو (الوهم) في شيء ما يسترعي النظر في مسرحه من خروج على الواقع المتعارف يتمثل في (التركيبة) الغريبة لبعض شخوصه، أو في بعض الممارسات وألوان السلوك التي تشذ عن القاعدة، وانما هو يسمى ذلك

واقعا يسمو على المألوف. وأغلب ظننا أن كاسونا كان ينطلق في فهمة لمدلول (اللاواقعية) من إيمانه بأن الإنسان الذي منحه الله سبحانه وتعالى القدرة على التفكر والتدبر يستطيع أن يستكشف في أعماق نفسه آفاقا للحياة رحيبة. يحقق فيه مثله العليا. ومبادئه السامية التي تحول ظروف حياة (الواقع) ومواضعاتها دون تحقيقها !

ولعلنا إن نلمح في الملاحظات التالية حول مسرحية (الأشجار تموت واقفة) ما نستكمل به تصورنا لمسرح كاسونا ككل لا يتجزأ.

1 ـ من أبرز خصائص مسرح كاسونا ـ كما أسلفنا الإشارة ـ جمعه الواقعية واللاواقعية أو بين عالم الواقع وعالم المثال. والحق أنه مهما تكن الدوافع التي حملت كاسونا على الجمع بين العالمين في مسرحه ومهما يكن حظ عالم المثال في هذا المسرح من القوة والتأثير فإن الحضور الإيجابي للواقعية فيه ليس يضمر ولا يتقلص عما يفسحه له المنطق وطبيعة الصراع من حيز؛ ومن هنا فإن أشد الناس تعصبا للواقعية لا يستطيعون الزعم بأن المثالية التي تسود الجو العام لمسرحية (الأشجار تموت واقفة) تنزع عنها صفة الواقعية كما أنهم لن يستطيعوا الزعم بأن مشروع الدكتور آريل ليس إلا ضربا من الحمق. وأن النتائج المحصل عليها من طرف مورثيو. مدير المؤسسة. ومساعديه مستحيلة التحقق.

وحقا أن حظ (الأشجار تموت واقفة) من اللاواقعية أو عالم المثال قد يكون دون حظ غيرها من مسرحيات كاسونا الأخرى من مثل (الحورية الهاربة) أو (ممنوع الانتحار في الربيع) ولكن هذا لا يحول بينها وبين الانتظام في الخيط الذي ينتظم تينك المسرحيتين وسواهما من أعمال كاسونا. وهو خيط المثال. والرمز. والشاعرية.

لقد ألح كاسونا في هذه المسرحية على إمكان خلق عالم يطفح بالأمل والعزاء يهزمان أحزان عالم الواقع ومعضلاته. ولنصغ إلى مورثيو. مدير مؤسسة الدكتور آريل. يلخص هدف المؤلف في بضع كلمات :

(أجل. فالذين ينهضون بمعالجة أمراض الجسم كثير. لكن من فكر في الذين يموتون دون ذكرى واحدة. جميلة. بهية ؟ من فكر في الذين لم يبصروا حلما واحدا من أحلامهم يتحقق ؟ من فكر في الذين لم تعتر وجدانهم أبدا رعشة غيب وإيمان ؟)

وإذا كان لذلك من دلالة فهي أن كاسونا إنما كان يريد أن يبلور في هذه المسرحية ملامح من تفكيره الذي يمكن تصوره على هذا النحو. (لا واقع + مثالية = علاج النفوس الشقية والأرواح المعذبة).

وليس من شك في أن الناس وجدوا في هذا التفكير حظا موفورا من (الواقعية). فتجاوبوا معه كأشد ما يكون التجاوب وأقواه. وهذا هو ما يفسر لنا ذلك الإقبال العديم القرين الذي ظفرت به هذه المسرحية حين عرضت على أكثر من خشبة. وترجمت إلى أكثر من لغة. ومن أجل ذلك رأى النقاد فيها أثرا من الآثار المسرحية التي بوأت أصحابها مكانا مرموقا في المسرح العالمي.

2 ـ يمكن القول بأن مسرح كاسونا ليس مسرح أبطال طالما أن عناية صاحبه لا تنصب على بطل له من الخصوصيات ما يميزه عن الآخرين. وإنما تتوزعها ـ أي العناية ـ شخوص مسرحه جميعها باعتبار أنها تسهم. وبحظوظ متفاوتة. في بلورة تفكير المؤلف وفلسفته.

على أننا في مسرحية (الأشجار تموت واقفة) قد نجد أنفسنا مدعوين في إطار العرف المسرحي إلى تسمية مورثيو وإيزابيل بطلين

ليس لتميزهما عن الآخرين بهذه الخصوصية أو تلك. وليس لأن الصراع الدرامي يتصاعد من حولهما، ولهما، أو عليهما، دون الآخرين. ولكن لأنهما عبرا، أكثر من غيرهما، من خلال الحدث، والحوار، عن تداخل الحقيقة والخيال، والواقع باللا واقع. لكن الشخوص الأخرى في المسرحية يظل لها، مع ذلك دورها غير المنكور في الكشف عن القيم التي يؤمن بها المؤلف. ودون أن نستكثر من الأمثلة نكتفي بالنظر في بعض الشخوص في المسرحية من أمثال الجدة التي ترمز إلى النفس الإنسانية حين يمنعها الأمل من التداعي والسقوط. حتى إذا تكشفت لها الأشياء من حولها على حقيقتها البشعة، وبدا لها أن ما يشبه الإعصار يتهددها، ظلت صامدة، في استعلاء وشموخ بالغين. والراهب، وهو، في الأصل، أستاذ كرسي، ولكنه، الآن بلا كرسي، غير أنه يظل، مع ذلك، يفيد من موهبته التربوية في إخصاب الأذهان والنفوس بلا شروح بلاغية. والساحر الذي يحيا بلا أمل يزرع الآمال في الأعماق، والصياد الذي يتعقب الصيادين الفاشلين حتى إذا اطلقوا رصاصهم على أرنب، مثلا، ولم يصيبوه، أسرع فوضع أرنبا حيث يظنون أن رصاصهم أردى صيدهم، يذكي حماسهم ويؤجج جذوة الأمل في نفوسهم. فهؤلاء الشخوص قد يحسبهم القارى المتعجل، ومثله المتفرج المتعجل كذلك، على غير شيء من الأهمية والشأن، بيد أنهم، في الحقيقة، رموز يمتزج فيها الخيال بالحقيقة امتزاجا، يتغلغل من خلاله المؤلف إلى مكنونات النفس الإنسانية وطبائعها. وقد يكون لنا أن نستخلص من ذلك أنه في مسرحية (الأشجار تموت واقفة) كما في غيرها من أعمال كاسونا حيث تنسجم الحقيقة بالخيال، ليس يهم ما للشخوص من مميزات بشرية ولكن الذي يهم هو ما ترمز إليه من التبشير بقيم الإيمان والحب والخير.

3 ـ وإذا عرفنا أن كاسونا بدأ حياته الأدبية شاعرا. وأن أول ما كان نشره هو مجموعة شعرية سماها (ناي الضفدع) La flauta del sapo أدركنا السر في هذا النفس الشعري الذي تتألق به مسرحيات كاسونا. ومن ضمنها (الأشجار تموت واقفة)، وهو نفس ليس يكمن في الأحداث. والمواقف. وألوان الصراع. أيا كان حظها من الأهمية. وإنما يكمن في اللغة التي لا تعتمد الشعر وسيلة تواصل. ولكنها تتوصل إلى ذلك بنثر (الذي يتعمقه وينعم تامله لا يلبث أن يرى جذوره متصلة بتلك التي تفرع منها الشعر) (15).

تطوان   د. حسن الوراكلي

15) انظر. مقدمة د. محمود علي مكي لمسرحية (مركب بلا صياد) ص 24.

عاريتان (*)

علي الصقلي

كانتـا جمرتيـن تتّقـدانِ كانتـا ماستيْـن تأتلقـانِ
يالـه مـن توقـد وائتـلاق لـم يُقاسـا بساعة أو مكـانِ !
فـإذا الأرضَ والسمـاءَ بِسـاطٌ وإذا الليـلُ والنهـارُ سِيّـانِ
وكـنا كـلّ سافـلٍ، كـل عـالٍ كـلُّ نـاءٍ، مهمـا نـأى، كـل دانِ
في صفـاءٍ كمينِ ديكٍ، كإيما ضـةِ برقٍ، كقطرِ ماءِ الجِنـانِ
كانتـا تُوغـلانِ في النجم. إمّا عجزتْ عـن شهودِهِ عينـانِ !
وبـأدنى الشِّهـابِ من فوق أقصى هضبـةٍ... كلّ ما بـه تريـانِ !
بل تميزانِ فلّه من خزامـا هُ. ونسرينَه من الأقحوانِ !
وبقلب العُبابِ في جوف بحرٍ كانتا عن كُنوزه تبحثـانِ !
كانتا لي جسرا إلى كل مغنى هو سؤلي من بين شتى المغاني

(*) كان يوجد الشاعر بإسبانيا حين ضاعت منه نظارتاه . فتعذر عليه أن يجد لهما خلفا. فقال هذه القصيدة، متحدثا عن عينيه.

ولسانَ الهوى إذا شئتُ. يالي	منهما في الهوى أرق لسانِ
عن هنائي وشقوتي ترجمان	لم يقصر في شرحه عن بيان !
واشياً بالذي تكن الحنايا	لحبيبي من صبوة وتفان

٥ «» ٥

كان للشمس فيهما وجهُها الآ	خرُ عند الضحى، ولا تطرِفانِ !
أي بابٍ سُمّ الخياطِ ! لكَمْ فيـ	ـه بخيطٍ كَشمرةٍ تَلجَانِ !
لو تعودُ الزّبَاء للأرض قالت :	ما كهاتينِ لي، أناه مقلتان

٥ «» ٥

وأطل الخريفُ في وَجهه الكا	لح أطيافُ ماردٍ جوعانِ
يملءُ أبرادهِ اصفرارٌ وهمّ،	وغول، ورعشة في الجَنَانِ
آهِ، ما للوجودِ غامٌ ؟ أأضحى	للشجا منتدىً، وللأحزان ؟!
أين في الجمرتين سِحرُ اتقادٍ ؟	أين للماستين باللمعان ؟
آه !..لمّ عاد كلُّ دانٍ قصيا	عنهما ؟ بل يلوح منه إثنان !
لم تراءى الوجود في حضن أرجو	حة طفلٍ ؟ يهتز دون توانِ
ربِّ. ماذا دهاهما ؟ ما الذي حـ	ـول خالا تثير حتى الشاني

٥ «» ٥

يالَعينين حَوّم الغيمُ في أفـ	ـقهما، عابثا بأسنى الأماني
هو غيمٌ قضى بعينينِ للعيـ	ـنينِ. يامرحباً خريفَ زماني
عاد حتما عليّ تحيلَ عيني	عينَها كي تسيرَ بي في أمانِ
وإلى عالمي مع الحرف تسري	بي. فأهفو بخاطري وجناني
ليس كالحرف لي أجلّ صديق	عشتُ أصبو إليه في كل آنِ

إيه عَيْنَيَّ بالهنا... شَرَّ عينيـ ـن، بما جادتـا بـه تقنعـانِ !
واحذرا الغيم أن يعـود إذا أر زئتَمـا فِيهمـا علـى يد جـاني
الحياةَ النعيـمَ طـرقٌ بصيـرٌ فـإذا كلّ فهْي محبِسُ عانـي
آهِ ما أهونَ الحيـاةَ لِـراءٍ متمـلٍّ، عينـاهُ عاريتـان !

فوانخرولا (إسبانيا) علي الصقلي

قضايا مسيرة التعريب في التعليم الجامعي والعالي (•)

د. حمزة الكتاني

بسم الله أبتدئ، وعلى رسوله أصلي وأسلم، وبعد ، ماذا نقول عن التعريب ؟ وماذا جد في قضايا التعريب، وخصوصا منها المتعلقة بالتعليم الجامعي والعالي ؟

إن من سبقونا بالدراسة، أو بالتحليل، أفرادا كانوا أم هيئات، قد لمسوا خطورة الموضوع، نظرا للصراع العنيف الذي تخوضه لغة القرآن في مختلف العصور من أجل رد الاعتبار، والسير قدما نحو إنجاز ما أثبته الله من فوق سبع سموات في حق القرآن الكريم. يقول جلت قدرته ، «إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون».

(•) ألقيت هذه المحاضرة بقاعة المحاضرات بوزارة الشؤون الثقافية بتاريخ 27 رجب 1402 (21 ماي 1982).

إن لغة الذكر الحكيم هي لغة يعرب. ولقد حفظ الله الذكر الحكيم على مر العصور، وأعطى للغة القرآن بعدا خاصا لم تحظ به أية لغة من اللغات الأخرى.

فهذا التحدي نعيشه اليوم من جديد، في خضم كل الصراعات المنيفة، مؤمنين كل الإيمان مسبقا بأن حفظ لغتنا ملازم لحفظ الذكر الحكيم. وهذا ما أردت أن أبدأ به في هذا العرض، كمقدمة متفائلة بالنصر الحتمي لما نحن مقدمون عليه من تحقيق تعريب شامل كامل، من القمة إلى القاعدة، أو من القاعدة إلى القمة.

1) دور الجامعة في المجتمع ومشاكلها من خلال الإحصاءات المتعلقة بالتعليم العالي بالمغرب :

سأقتصر في حديثي إليكم عن التعريب في التعليم الجامعي والعالي، نظرا للأهمية القصوى التي يكتسيها الموضوع في الظروف الراهنة، التي تميزت بالدور الجديد والخطير الذي تقوم به الجامعات في تطوير الأمة. إذ لم تعد الجامعة المكان المخصص للصفوة القليلة من الشباب المحظوظين بل صارت المنتدى الكبير لتكوين الأعداد الكبيرة من الشباب الذي سيتقلد تدبير شؤون البلاد في مختلف الميادين.

لم يكن التعليم العالي بالمغرب يجلب إليه في أوائل الاستقلال أكثر من بضع المئات من الطلاب. وفي بداية الستينات، التحقت به بعض الآلاف. أما في بداية الثمانينات فصار عدد الطلاب يعد بعشرات الآلاف، وبالضبط فقد كان عدد الطلاب بالتعليم العالي يناهز 4961

طالبا في السنة الجامعية لعام 1961 ـ 1962. أما في السنة الجامعية لعام 1980 ـ 1981 فقد وصل عدد الطلاب إلى 112.718 أي أن عدد الطلبة قد تضاعف بـ 23 مرة خلال عشرين سنة.

إن هذه الأعداد الهائلة من الشباب التي تلتحق بجامعاتنا ومدارسنا العليا كل سنة، تنتظر منا الكثير في التأطير السليم، والتكوين الصحيح القويم.

فبأية لغة ستُكوَّنَ هذه الأجيال داخل جامعاتنا ومدارسنا ؟ إن السيل العارم من الأفواج الهائلة من الشباب التي تلتحق سنويا بتعليمنا العالي، ينتظر منا أن نجيبه عن هذا السؤال المطروح. علما بأن الإسقاطات في القطاع الطلابي تنبئنا بأن عدد طلاب التعليم العالي سيصل إلى حوالي 675.000 طالبا في نهاية هذا القرن أي في أقل من عشرين سنة.

إن الاستثمار الضخم الذي تحققه الدولة في ميدان التعليم عامة، والعالي منه خاصة يعني أن الدولة اختارت بكل وضوح أن تستثمر، وبسخاء، في هذا القطاع البشري، ضمانا لمستقبلنا، وتأكيدا لأحسن اختيار يمكن أن تتبعه دولة نامية كبلدنا.

إن أهم ركيزة في هذا الاختيار هو ذلك الذي يضمن لهذا الاستثمار البشري نتاجا طبيعيا طيبا، ونعني بذلك، التكوين الصحيح الذي يجب أن نؤمنه لكل شاب أو شابة، احتضنته مدارج أو قاعات الدرس، أو مخابر الكليات والمدارس.

وعليه فإن نقطة البداية في هذا المجال، تتعلق بمعرفة قيمة نتاج هذه الاستثمارات الهائلة. وللتوصل إلى النتيجة التي تجيب على هذا

التساؤل يلزم تقييم هذا النتاج وذلك من خلال دراسة دقيقة لكل الجوانب والمقومات التي تهم الموضوع من قريب أو بعيد.

وحتى لا نتشعب في الموضوع أكثر من اللازم، يكفي أن نسلك مسلكا سهلا، ينير لنا الطريق، وييسر لنا سبل المعرفة، والإلمام بالتساؤل المطروح، والذي يمكن أن نصوغه بشكل آخر، وهو كيف يمكن تحقيق تكوين الفرد في الجامعة بدون فهم أو استيعاب لما يقدم إليه ؟ إن ذلك غير ممكن أبدا.

فبدون استيعاب الطالب لما يقدم إليه، لا يمكن أن ننتظر النتاج الطبيعي الطيب كيفما كانت الجهود المبذولة والطرق المستعملة.

وما دام التلميذ في الظروف الراهنة، وفي الطور الابتدائي والثانوي يلقن التعليم بلغة قومه في أكثر المواد المدرسة، فعبثا أن نتوقع استيعابا كاملا أو قابلية للإبداع في الطور الجامعي والعالي إذا كانت لغة التدريس غير لغة قومه.

وهذا ما نلاحظه فعلا في تعليمنا العالي حاليا، إذ الطالب وخصوصا منه الذي يتابع تخصصات علمية أو تقنية، أو اقتصادية وتجارية يعاني الأمرين في التكوين، فلا هو يملك اللغة الفرنسية كما يجب ولا هو يتوفر على المراجع المتخصصة باللغة التي يدرس بها لأن أكثر هذه المراجع وأحسنها هي في الغالب باللغة الإنجليزية.

وتكفي هذه الوضعية لأن تعطي صورة قاتمة غير متفائلة لدرجة الاستيعاب والفهم والتمكن من المواد الملقنة لطلابنا على المستوى الفردي أو الجماعي، وبالتالي ما يمكن أن نجنيه من استثمار بشري يتميز فيه الإنسان الطالب بأنه لا يستوعب إلا النزر القليل مما يستوعبه

قرينه في جامعة غربية أو شرقية لا تعرف نفس المشكل المطروح حاليا على جامعاتنا ومدارسنا الفنية.

وقد أردت بهذا العرض الأولي للمشكل أن أعبر وبدون التباس عن ضرورة التعجيل بالتعريب في جامعاتنا ومدارسنا المغربية على كل المستويات، كحل عقلاني لهذا المشكل على المدى الطويل.

2) ضرورة التعريب في التعليم العالي والجامعي :

وطبعا فلن نسلم بهذا إلا إذا تعرضنا بتفصيل إلى الجوانب والأسباب التي تجعلنا نؤمن بهذه الضرورة الملحة لتعريب تعليمنا العالي.

من أهم هذه الجوانب في نظرنا، نشير :

- **أولا :** إلى الأسباب التعليمية.
- **ثانيا :** إلى الأسباب الاقتصادية المتعلقة بالتنمية والتقدم.
- **وأخيرا :** الأسباب الوطنية.

وحالما نخلص من توضيح هذه الأسباب واحدة تلوة الأخرى، يكون لزاما علينا أن نتطرق **إلى الشروط** التي يجب أن تتوفر **لضمان نجاح عملية التعريب** في التعليم الجامعي والعالي، قبل أن نتعرف في النهاية إلى **الاقتراحات العملية** التي يمكن اتباعها في مسلسل تعريب التعليم العالي والجامعي.

2 ـ 1) أولا : الأسباب التعليمية : نعود الآن إلى الأسباب التعليمية، فنجدها تتعلق أساسا بالإشكاليات التالية :

- القدرة على التحصيل.
- القدرة على الاستيعاب.

- توفير الوقت الضائع والبحث عن معاني الألفاظ في المراجع والقواميس.
- القدرة على زيادة السرعة في فهم الأمور الغامضة والشائكة.
- الانطلاقة المتحررة للطالب في الفهم والاستيعاب.
- وأخيرا إمكانية المبادرة عند الضرورة.

كل هذه الإشكاليات متعلقة أساسا بالإنسان الذي نريده أن يكون المحور الأساسي في مسلسل التقدم والنمو. فإذا وفرنا عليه الجهد كل الجهد. وساعدنا انطلاقة تعلمه. بلسان قومه. كان الربح كل الربح في أن نراه بكل سهولة. ينطلق انطلاقة السهم في التحصيل والاستيعاب. يستفيد ويفيد. ويستحق أن ينضم إلى حلقات دائرة النظام الحضاري والإنساني. في تناسق متكامل ونمو مضطرد.

وهذا ما نسميه **بالانطلاقة الصحيحة** لمسلسل التقدم الحضاري. إذ المكونات التعليمية للفرد. إذا كانت متينة. **وأساسها طبعا اللغة** فسوف نتطلع إلى عبور كل الجسور الأخرى المؤدية إلى النمو والتطور. ولم لا. حتى عبور الجسور المؤدية إلى التجديد والابتكار وبدون مركب.

وأمام كل التحديات. لا يسعنا إلا أن نقتنع **وبشكل جدلي**، أن ارتباط اللغة بحضارة الأمة هو ارتباط عضوي. إذن. فلا غرابة في أن نجر إلى قبول حضارة الآخرين على حساب حضارتنا. وذلك عن طريق لغاتهم التي هي لغة التكنولوجيا والتقدم الصناعي.

فلنوقف هذا المسلسل الهجومي على حضارتنا والذي ندفع إليه دفعا عن طريق الثقافة والتعليم. وبواسطة الوسائل السمعية والبصرية.

إن معرفة اللغة، والدراسة بها، هما أمران مختلفان. إننا لسنا من دعاة الانكماش والانغلاق. بل نحن نريد أن نتقدم ككل الأمم التواقة إلى النمو وفي أحسن الظروف. وبنفس الحماسة. وبنفس المردودية العالية.

إن إجبارية تعلم لغة ثانية وثالثة بعد اللغة العربية. شيء ضروري وأساسي فلقد عبر صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله عن هذا المعنى بقوله « إن المتكلم بلغة واحدة في هذا العصر يعد جاهلا». وإننا لنربأ بأنفسنا فنكون جهلة لا قدر الله.

وما الهبوط المستمر للمستوى التعليمي في المدارس والكليات بصفة عامة. والعلمية والتقنية منها بصفة خاصة. بالإضافة إلى الضعف في قدرة التحرير باللغة العربية. وحتى بلغة التلقين أي الفرنسية حاليا، إلا نتيجة هاته الازدواجية في تدريس العلم والمعرفة في الجامعات وفي مدارسنا بلغة أجنبية غير لغة الوطن.

وإذا أضفنا إلى ماسبق إشكالية هيئة التدريس، وخصوصا منها المكونة في الجامعات الأجنبية للدول الصديقة، تلك الهيئة التي تجد نفسها مجبرة على التدريس بلغة مسيطرة، لا هي لغة البلد، ولا هي اللغة التي تكون بواسطتها، وإنما لغة ثالثة محكوم عليه مسبقا أن يتكلم بها مع طلابه. وأن يؤلف بها. لضرورة التدريس. وأن يبحث بها لضرورة التأطير والتأهيل.

فهكذا نرى أن المشكل يتعقد أكثر فأكثر بالنسبة للبلد الذي يعمل جاهدا لتحقيق الاكتفاء الذاتي من الأطر التدريسية العليا. عندما يستعين بعدة جامعات أجنبية صديقة. وخصوصا عندما تعجز جامعات الدولة ذات

الأولوية في لغة التلقين عن سد الفراغ أو تقديم العون في التكوين حسب الإرادة.

إذن فلا مناص من شق الطريق الصعب، ولو تطلب الأمر جهدا مرهقا غاليا، وقاسيا، ونعني بذلك تعريب التعليم العالي والجامعي تعريبا كليا، لتحقيق نتيجة في نهاية المطاف، محمودة ومضمونة، ولو تطلب الأمر أجيالا من التضحية بينما العكس، لن يزيد في الطين إلا بلة كما يقال، ولن يعمل إلا على تعميق جذور المشكل، والاندفاع نحو الانسلاخ نهائيا من حضارة عريقة، والتمسك بأذيال حضارة أخرى لن تقبل مجتمعنا فيها أصيلا، مهما طال الزمن.

2 ـ 2) ثانيا : الأسباب الاقتصادية والتنموية :

ولنتابع الآن المسيرة في عرضنا عن الأسباب التي تجعلنا نؤمن بضرورة التعريب، بعدما انتهينا من الأسباب التعليمية، فنتطرق ثانيا إلى الأسباب الاقتصادية المتعلقة بالتنمية والتقدم.

إن العلاقة بين **التنمية، وبين التربية والتعليم العالي والجامعي** هي علاقة عميقة وأساسية، وتعد الآن من الحقائق الثابتة التي لا تحتاج إلى أي نقاش.

ولهذا فكل سياسة تهدف إلى توسيع التعليم العالي والجامعي، هي سياسة أخذت حتما، في حسابها، معطيات القوى العاملة، والحاجة إليها والدور الذي تلعبه في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الحاضر والمستقبل وذلك ضمن الأهداف الإنسانية الرفيعة التي تنشد رقي الفكر الإنساني والحضارة الإنسانية في جميع الجوانب.

ولنا في تجربة اليابان والصين، وكوريا، ورومانيا، وغيرها كثير، أحسن قدوة وأبلغ مثل.

فالأمة اليابانية مثلا في أوائل هذا القرن، وكذلك الأمة الصينية في النصف الثاني من هذا القرن، كل منهما اجتاز مرحلة التخلف، وتمكن من دخول ميدان الثورة الصناعية والعلمية، بعد أن رفع لواء العلم للتنمية في المجتمع.

ومن الطبيعي أن تدخل هاتان الأمتان وغيرهما من الأمم النامية مضمار هاته الثورة العلمية والصناعية من خلال لغتها الوطنية.

وما كان من الممكن أن تصل اليابان إلى ما وصلت إليه من ذروة في العلم والتقنيات الحديثة، إلا من **خلال اللغة اليابانية، وكذلك** الصين، وقد ورثت قرونا ثقيلة من التخلف تراكمت على إرثها القديم من حضارة إنسانية عريقة في القدم، أقول إن الصين أيضا لم تصل إلى عصر الذرة والأقمار الصناعية إلا من **خلال اللغة الصينية**.

وتجدر الإشارة في هذا الباب، إلى أن تخريج أجيال من المتعلمين، من مهندسين، وعلميين، وتقنيين، وغيرهم من يتلقون دراساتهم التقنية والعلمية باللغة العربية، ليعتبر من الدعائم الأساسية **لخلق المجتمع الصناعي المتكامل** الذي نصبو إليه.

فلا مفر إذن، من وجود قاعدة عريضة من المتعلمين والمتخصصين والباحثين، والفنيين الذين يستخدمون نفس اللغة والمصطلحات في دراساتهم وتطبيقاتهم على حد سواء.

وهذا الاتجاه الطبيعي في تكوين القاعدة العريضة السابقة، يلغي الهوة بين الجامعيين والمهندسين وغيرهم، وبالأخص الجهاز الفني والتقني

الذي يتماونون معه في الإنتاج والتطبيق من الفنيين والعمال والمساعدين بالإضافة إلى سهولة التعاون والتفاهم فيما بينهم، وخلق أحسن الفرص للارتباط والتآزر، مع تحسين سير العمل، والتغلب على العقبة الرئيسية التي تتجلى في تحقيق تسلسل الأوامر والتعليمات على المستويات المختلفة، مما يؤدي وبشكل طبيعي، إلى زيادة الإنتاج.

وبعد هذا العرض السريع للأسباب الاقتصادية التنموية، وعلاقتها بضرورة استعمال لغة الوطن، علينا أن نشير إلى أن السبيل الذي سلكته أمم كاليابان والصين، وبولونيا، ورومانيا، وغيرها، هو أنها أعادت النظر في جميع أنظمتها الجامعية والتربوية، ووضعت خططا بعيدة المدى، وأخرى قريبة المدى أو متوسطة المدى، آخذة بعين الاعتبار ما تتطلبه التحولات الجذرية في الثورة العلمية والصناعية سواء منها ما يتعلق بسيطرة الآلة، والتحكم الآلي، أو التسيير الذاتي، أو فيما يتعلق بالمكانة الخاصة التي يحتلها البحث العلمي والتقني، من حيث كونه عنصرا أساسيا في زيادة الإنتاجية، وتحسين المردودية.

وفي جميع الأحوال كانت اللغة الوطنية المنطلق الأساسي الذي تنطلق منذ هذه الأمم جميعها في ثورتها العلمية والتقنية والاقتصادية.

فنرى إذن، أن اللغة الوطنية هي أساس كل الانطلاقات، فيها يعبر عن حاجات الفرد أحسن تعبير، وحولها يجتمع شمل الأمة، وإليها يعود كل الفضل في تذليل العقبات، وتقبل كل التضحيات.

2 ـ 3) ثالثا : الأسباب الوطنية :

بقي علينا الآن أن نتعرض إلى الأسباب الوطنية كضرورة من ضرورات التعريب الشامل للتعليم العالي والجامعي، بعد أن سلمنا بجدواه من خلال الأسباب التعليمية والاقتصادية التنموية.

وذلك يعود بالأساس إلى أن الوحدة الفكرية للبلاد، شيء أساسي في نموه وتطوره. والوحدة الفكرية، إن تمت، فهي التعبير الأمين عن وحدة الأهداف وتجسيد التضامن بين أعضاء الأسرة، في العائلة الصغيرة في البيت مرورا بأسرة المجتمع في الحي، وفي القبيلة والمدينة، وبالتالي في كل أرجاء البلد الذي يضم الأمة بكاملها.

إن هذا التسلسل الطبيعي لتضامن كل الخلايا المكونة لمجتمع الأمة لن يتم إلا عن طريق قاسم مشترك للتفاهم، يعبر عن الشعور الداخلي لكل فرد فرد، وينبىء عن فرحه وآماله وآلامه. إن هذا القاسم المشترك هو لغة القوم جميعهم، لغة الوطن ولغة الأمة بأكملها.

وما إشكالية الازدواجية اللغوية التي يعيشها مجتمعنا المغربي في عصرنا هذا، إلا نتيجة للتكوين الذي تلقته مختلف طبقات شبابنا في عهد الحماية، وفي عهد الاستقلال وحتى الآن. والساحة الوطنية تعرف صراعات متعددة من جراء هذه الازدواجية تبلورت فيما ينشر من أفكار، كتبت باللغة العربية أو الفرنسية أو الإسبانية.

فقد كان حريا بنا أن نقطع أشواطا بعيدة في التقدم، في كل من الميادين الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، ولكن مع الأسف، لم نهتد لحد الساعة إلى الحل الناجع، فنتلافى كل تعثر، ونصل إلى الهدف المنشود والمتجلى في تحقيق وحدة فكرية وطنية، خصوصا وأن هذه الإشكالية

حللت من زوايا متعددة. واتخذت فيها مواقف متضاربة. للارتباط الوثيق بين مشكل التعريب. ومشكل الازدواجية اللغوية. من جهة. والوحدة الفكرية للأمة من جهة أخرى.

وفي الحقيقة فما دمنا ننشد وحدة فكرية. لا بد وأن تعم كل أرجاء الوطن. فإن حل مشكل الازدواجية اللغوية والثقافية رهين بتغيير الهياكل التعليمية الحالية التي ورثنا أكثرها من الاستعمار البغيض. وهذا يعني بكل بساطة. الاعتماد الكامل والإيمان الكامل. بأن التحرر اللغوي والثقافي مواز تماما للتحرر الاقتصادي.

إننا نعيش مرحلة انتقالية في تاريخ أمتنا. ظهرت فيها نتاجات كل التجارب. ولا أدل على ذلك ما يزخر به سوق الثقافة والمكتبات. من مختلف هذه النتاجات. المعبرة عن مشاعر جيلنا المعاصر. سواء منها المكتوب بالعربية. أو باللغة الفرنسية أو الإسبانية.

وعلينا أن نستخلص العبرة. بعد الدراسة والتمحيص. لنقول للأجيال المقبلة كلمة الفصل. ونجعلها تسير بكل إيمان مسرعة في طريق النمو. ومبتعدة عن المشاكل الجانبية والمعارك الجانبية. ومتوجهة بكل قواها إلى خوض معركة التحرر من التخلف. واللحاق بالركب الصناعي والحضاري العالمي في أقرب الآجال.

وكلمة الفصل في هذا المجال هي بأيدينا جميعا. فكلنا ننشد وحدة فكرية قوية. وكلنا نرفض كل شكل من أشكال التخلف سواء كان ثقافيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا. وكلنا نريد الخير كل الخير لأجيالنا القادمة. فعلينا إذن. أن نكثف الجهود فنتابع مسيرة التعريب في تعليمنا الابتدائي. ولندخل معركة التعريب في تعليمنا الثانوي. ولنبدأها في

تعليمنا العالي والجامعي. ولنعممها في مختلف مجالات حياتنا الفكرية والاجتماعية والإدارية، مع الاعتناء اللازم باللغات الأجنبية الحية والمفيدة. وإحلالها في المكان المناسب واللائق بها. حتى تكون كأداة فعالة. ونافعة تساعد على بلوغ ما نصبو إليه.

وفي هذا المجال أيضا. لا يمكننا بحال من الأحوال أن ننسى ارتباطنا بعالمنا العربي. الذي تعيش كل بلدانه نفس المشاكل. مع مشاكل أخرى نوعية تخص البلد الواحد إذ المشاكل موضوعة بصفة عامة على درجات متفاوتة في الخطورة.

والأمل الوحيد في التغلب على كل هذه المصاعب. يتجلى في كون اللغة العربية هي للجميع. فخدمتها هي في مصلحة الجميع. وتطويرها فيه نفع للجميع.

وهكذا نرى بأن الأسباب الوطنية لضرورة التعريب. هي في الحقيقة اسباب موضوعة ليس فقط على مستوى دولة عربية واحدة. ولكنها موضوعة على مستوى العالم العربي بأجمعه. نظرا للتضامن والتكامل، المرفوعين كشعارين ساميين يعمل الجميع على بلوغها على مستوى المجتمع العربي بأكمله من المحيط إلى الخليج. خصوصا وأن إمكانيات العالم العربي هائلة. وموارده ضخمة. يتحتم أن تستعمل. وتسخر لخدمة كل ما يساعد على نموه وازدهاره وتقدمه.

3) - شروط إنجاز عملية التعريب في التعليم الجامعي والعالي :

وبعد هذا العرض السريع الذي حاولنا فيه جهد المستطاع توضيح الأسباب التي تجعلنا نؤمن بضرورة التعريب الشامل. وعلى الخصوص منه تعريب التعليم العالي والجامعي. علينا أن نتقدم الآن إلى الأمام. لمعرفة ما يجب أن نعمله لنجاح عملية التعريب على هذا المستوى. وسوف لا نتعرض إلا للخطوات الهامة التي يجب اتباعها قصد تحقيق تعريب كامل لكل مستويات التعليم العالي والجامعي.

ونجمل هذه الخطوات في سبع نقط هامة. نوردها بالتالي كما يلي :

● **النقطة الأولى : وتتعلق بترجمة أهم الكتب والمصادر العلمية والتقنية، ذات المستوى الجيد**، نظرا للفراغ الهائل الذي تعرفه خزاناتنا العلمية والتقنية ونقصد هنا بالمصادر العلمية. كل مصادر المعرفة الإنسانية والاقتصادية والثقافية والعلمية البحثة.

● **النقطة الثانية : وهي المتعلقة بتأليف الكتب العلمية والتقنية** باللغة العربية. مع المحافظة على المستوى الجيد. والاستفادة مما هو موجود من المصادر الأجنبية سواء منها المعرب أو غير المعرب.

ويمكن تحقيق هاتين الخطوتين الأوليتين. في إطار جامعاتنا المتخصصة أو بواسطة الأكاديميات العربية المتخصصة. وقد سبق لبعض المفكرين الأجلاء أن اقترحوا **تكليف جامعة متخصصة بدون طلاب**، تناط إلى أساتذتها والباحثين فيها مهمة التأليف والترجمة وذلك على صعيد العالم العربي.

● **النقطة الثالثة :** تكوين الأطر التدريسية الجامعية والعليا على أن لا يتساهل بأي وجه من الوجوه في هذا التكوين. بل الإطار التدريسي الكفؤ هو أساس كل عملية رائدة في التعريب.

● **النقطة الرابعة :** وهي المتعلقة بتوفير التجهيز الكامل للمختبرات. ووضع الإمكانيات المادية اللازمة من أجل تطوير هذه التجهيزات وصيانتها.

● **النقطة الخامسة :** تهييء إطار العمل لتحقيق **بحث علمي وتقني عن طريق :**

أ) ـ سن قوانين مشجعة تحث على البحث العلمي.

ب) ـ الانتقاء الأحسن للأطر الباحثة.

ج) ـ تحديد الأسبقيات في البحوث.

د) ـ مراقبة التطور عن طريق هيئات متخصصة وكفؤة.

النقطة السادسة : وهي المتعلقة بالتعاون والتنسيق مع **الهيئات المتخصصة** داخل الوطن وخارجه.

ـ **النقطة السابعة :** تطبيق سياسة موحدة وملتزمة في إطار شمولي وعلى صعيد العالم العربي. سيمته التكامل على كل المستويات الاقتصادية والعلمية والتقنية والتجارية والإدارية.

إن هذا العرض السريع لهذه **الخطوات** المقترحة **لتحقيق تعريب التعليم العالي والجامعي،** لن ينسينا في ابراز جوانب أخرى جد هامة ومرتبطة تمام الارتباط بالشروط الناجعة والكفيلة بتحقيق مسلسل التعريب في التعليم العالي والجامعي. إن هذه الجوانب تتعلق

بالخصوص بالمفهوم الحديث لنوعية التعريب الذي نطمح إلى تحقيقه.

ولنا في تجربة معهد الدراسات والأبحاث للتعريب التابع لجامعة محمد الخامس بالرباط. خير مثل. يحتذى به في هذا الميدان.

وسأكون مطمئنا غاية الاطمئنان. إذا ما تمكنت ولو بعجالة. من عرض أهم الأفكار النيرة التي يقترحها هذا المعهد في هذا المضمار. والتي قدمت ضمن وثيقة وطنية **لمؤتمر كاستعرب الأول** الذي انعقد بالرباط في غشت من عام 1976 م. يقول هذا التقرير في ضرورة تعريب التعليم العالي العلمي ما يلي :

أ) ـ ليس هناك استقلال حقيقي ما دام تلقين العلم والتكنولوجيا منوطين بلغة أجنبية عنه

ب) ـ إن الحصول على تكوين علمي أو تكنولوجي في مستوى عال عن طريق لغة أجنبية يؤدي بالفرد والمجتمع المهني كله. إلى ازدواجية ثقافية ونفسية سيئة العاقبة

ج) ـ تؤدي الازدواجية ـ إلا فيما قل ـ إلى النزاع **بين العلم والإنسية العريقة** مما يؤدي إلى إهمال التراث. وقيم الماضي. وإلى انفصال بين ميدانين من نشاط الفكر الإنساني يجب أن يكونا متكاملين.

د) ـ اللغة العربية أداة كاملة الصلاحية. من حيث البنيان. ومن حيث المعجم. لتستوعب تمام الاستيعاب المحصول العلمي والتكنولوجي الحديث.

4) ـ التعريب المواكب للتقدم العلمي والتقني المعاصر :

وبناء على ما سبق يقترح التقرير الوطني مفهوما جديدا لنوعية التعريب المراد تحقيقه، وهو ما يسمى **بالتعريب المواكب** نظرا لأن استعمال اللغة العربية في التعليم العالي والجامعي ليس إلا مظهرا من مشكل أوسع، تعيشه البلاد منذ الاستقلال، ألا وهو استعمال اللغة الوطنية كأداة لتكوين فعال، تكون له نفس المزايا التي يتصف بها التكويـــن باللغات التكنولوجية الأخرى، وكذلك في جميع مستويات التعليم ودرجاته أي من مدارس الحضانة، إلى الجامعة، إلى البحث بدون إهمال التربية الأساسية ومحاربة الأمية وتكوين الكهول واستجداده.

يقول هذا التقرير في :

4 ـ 1) تعريف التعريب المواكب، أو التعريب ذو المستوى النوعي المعادل حسب تعبير «اليونسكو» ، إنه التعريب الذي يجب أن يقوم على أساس **تحديد لغة عربية، مضبوطة الألفاظ، محكمة التعابير، طيعة منقادة،** ليصبح بها تعليمنا العربي على الصعيد الوطني وعلى صعيد العالم العربي، **في نفس مستوى التعليم الأجنبي المتقدم.**

4 ـ 2) شروط تحقيق التعريب المواكب : ويؤكد التقرير على ثلاثة شروط أساسية لتحقيق تعريب مواكب وفي مستوى طموحاتنا ،

أ) أولهما : شروط بنيوية : وهي متعلقة بتحقيق هذا التعريب بواسطة مؤسسات علمية وتكنولوجية متخصصة بالتعريب ومتوفرة على

كفاءات وموارد مالية كافية. لأن التعريب قبل كل شيء، قضية علمية وتقنية. يجب أن تعالج بطريقة علمية وتقنية.

ب) ثانيها : شروط اختصاصية : متعلقة بالعلوم اللسانية، وبتكوين أصحاب الاختصاص، وهم **الاصطلاحيون** أو اللغويون الذين يتخصصون في مثل هذه القضايا.

ج) ثالثها : شروط متعلقة بمهام التعريب المواكب : وهي جمع المدونات اللسانية لجميع أنواع المصطلحات. وللمادة اللغوية الخام التي تنهل منها مراجع المعاجم والقواميس.

هذه هي أهم الأفكار الواردة في هذا التقرير الوطني الذي قدم في عام 1976 إلى أول مؤتمر جمع الوزراء العرب المسؤولين عن تطبيق العلم والتكنولوجيا على التنمية والذي أطلق عليه اسم كاستعرب الأول.

وخلاصة القول في هذا المضمار. يمكننا بالإضافة إلى ما سبق ذكره. أن نعتبر بأن أهم ضمان لنجاح تعريب تعليمنا العالي والجامعي. يكمن في تأمين شيئين أساسيين هما :

أ) إرادة سياسية دائمة.

ب) إدارة جماعية فعالة لأساتذة التعليم العالي متعلقة بالتزامهم وتجندهم لتحقيق هذا الهدف النبيل. فبدون هذه الضمانة اعتقد أن لا تعريب ممكنا لا على المدى القريب أو البعيد.

5) اقتراحات لتحقيق تعريب التعليم العالي والجامعي بالمغرب :

ليس لنا من الوقت متسع، يسمح لنا بالتعمق في الموضوع أكثر مما سبق ذكره. وعلينا الآن أن نتقدم باقتراحات عملية من أجل تحقيق تعريب تعليمنا العالي والجامعي في أحسن الظروف.

ونبدأ اقتراحاتنا بالحيثيات التالية :

أ) حيث إن الدولة قد خططت لتعريب التعليم وبدأت بإنجازه على المستوى الوطني منذ عام 1978.

ب) وحيث إن عملية التعريب في التعليم الابتدائي ستنتهي في متم السنة الدراسية للعام الدراسي 1982 ـ 1983.

ج) وحيث إن العزم قائم على الاستمرار في هذا المسلسل بالنسبة للتعليم الإعدادي، والثانوي، وذلك ابتداء من السنة الدراسية لعام 1983.

د) وحيث إنه من المتوقع، أن يتم تعريب التعليم الثانوي في نهاية السنة الدراسية لعام 1990.

وهذا ما يجعلنا نتفاءل ببداية تعريب التعليم العالي والجامعي بعد ثمان سنوات من تاريخ هذه السنة الدراسية الحالية.

فماذا يجب أن نعمله خلال هذه الحقبة التي تفصلنا عن بداية مسلسل التعريب في التعليم العالي والجامعي ؟

نعتقد أن الوقت كاف، والمدة التي تفصلنا عن عام 1990م كافية أيضا لبداية مسلسل تعريب التعليم العالي والجامعي، وذلك إذا ما **اتخذت الاحتياطات التالية :**

● **أولهما :** اتمام عملية الاكتفاء الذاتي من الأطر التدريسية التقنية والعلمية اللازمة للتعليم الثانوي خلال هذه المدة بواسطة ما يتخرج من أطر تعليمية متخصصة تتكون في المدارس العليا للتعليم العلمي، والتقني.

● **ثانيها :** إعطاء تكوين صحيح باللغة العربية لكل المتخرجين من المدارس العليا العلمية أو التقنية حتى يتمكنوا من مباشرة تدريس الدروس العلمية والتقنية باللغة العربية لما يصل مسلسل التعريب في المدارس الإعدادية لمستوى الشهادة الثانوية أي ابتداء من سنة 1987. مع الافتراض بأن الأطر المكونة في مدارس تكوين المعلمين، أو المكونة في المراكز التربوية الجهوية يراعي في تكوينها الحالي المسؤولية الملقاة على عاتقها والمتجلية في التدريس باللغة العربية سواء في سلك التعليم الابتدائي أو السلك الأول من التعليم الثانوي بالمدارس الإعدادية.

● **ثالثها :** الشروع حالا في ممارسة تدريس بعض المواد باللغة العربية في الكليات العلمية والمدارس، التي تتوفر على أطر وطنية قادرة على ذلك. وفي هذا الصدد نشير إلى أن هناك أعدادا هامة من هذه الأطر، لا تنتظر إلا إشارة الانطلاق لبدء عملية التعريب.

● **رابعها :** التعجيل بإصلاح هيكل الدراسات في السلك الثالث من التعليم الجامعي وجعله في المستوى، بحيث يقوم بكل وظائفه التخصصية وبالخصوص منها وظيفة تأهيل الباحث، ووظيفة التكوين البيداغوجي للأستاذ المساعد، بتعاون محكم مع المدارس العليا للأساتذة، أو إحدى كليات التربية المتخصصة، والاستفادة من تجربتها في مناهج التدريس والتبليغ.

● خامسها : الشروع حالا، باعطاء تكوين صحيح وبالطرق الحديثة، في اللغة العربية للأطر المغربية الموجودة الآن بالكليات العلمية والاقتصادية، والمدارس والمعاهد المتخصصة.

● سادسها : إجبارية تعليم اللغة العربية التقنية والعلمية، كلغة، ابتداء من الموسم الجامعي المقبل (1982 ـ 1983) وربط نجاح الطالب من سنة إلى سنة باستيعاب مقرر السنة في اللغة، على أن يدرس مقرر التكوين في اللغة خلال الثلاث سنوات الجامعية الأولى، وتترك السنة الرابعة أو الخامسة الجامعية، للاستدراك والتقييم.

● سابعها : توفير الشروط الكفيلة بإنجاح مسلسل التعريب في التعليم العالي والجامعي، من بين هذه الشروط، نشير إلى التدابير التالية :

أ) اتخاذ قرار نهائي في هذا الموضوع على مستوى حكومي.

ب) تكليف الجامعات المغربية ومجلس التنسيق بين المدارس والمعاهد المتخصصة، بالإشراف والتنسيق لمخطط التعريب،

ج) تكليف معهد الدراسات والأبحاث للتعريب التابع لجامعة محمد الخامس بالقيام بالمهام التقنية والتوجيهية والبحثية لإنجاح عملية التعريب المواكب، بعد إمداده بالإمكانيات البشرية والمادية اللازمة والكافية.

وهكذا، ومن خلال هذه الاقتراحات التي قد تبدو للبعض، وكأنها خيالية، لا يسعني إلا أن أقول لكم إن تغيير الوضع الحالي للتعليم العالي والجامعي صار أمرا حتميا، وليس خيالا أو حلما، وأن الموسم

الدراسي للعام الجامعي لسنة 1990 ـ 1991 ليبدو لي في الأفق جد قريب، وكأنه الموسم الدراسي للسنة المقبلة.

إن اقتراحاتي هذه، نابعة من صميم منطق الخطوات التي تخطوها الدولة في ميدان التعليم والتربية الوطنية، إن أول فوج من حاملي الشهادة الابتدائية الوطنية المعربة، سيلج أبواب المدارس الإعدادية ابتداء من السنة الدراسية لعام 1983. وسيصل هذا الفوج بدوره إلى أبواب الجامعات والمدارس متبوعا بالأفواج الأخرى المعربة ابتداء من سنة 1990 م.

فعلينا إذن، أن نعد العدة، ونتسلح بسلاح الإيمان والعقيدة، لمواجهة كل الصعاب، ما دامت بوادر الخير بادية، ولا ينقصنا إلا توفير الشروط اللازمة لإنجاح ما نحن بصدده. وهذا ليس بعزيز على شعب أصيل، حقق جيل الوطنية فيه، الاستقلال والانعتاق من عبودية الاستعمار، وسيحقق جيل الاستقلال جيل شعب **الحسن الثاني**، بحول الله النصر على التخلف، والتحرر من كل أشكال العبودية، وسينجز جيلنا بحول الله كل أهدافنا في التنمية، تاركا للأجيال القادمة تراثا سيفتخر به الخلف وسيذكره به كأحسن سلف.

وكما ابتدأت حديثي في البداية متفائلا بحتمية الانتصار لقضية التعريب، لا يسعني في الخاتمة، إلا أن أنهي حديثي بنفس التفاؤل والإيمان بالانتصار لأن وطننا العربي، مقبل لا محالة على ثورة علمية وتكنولوجية لا بد أن ترتكز على تعريب التعليم في جميع مراحله ومستوياته، وجعل اللغة العربية لغة التدريس والبحث العلمي في جميع حقول المعرفة، ومن أجل بناء حضارة أصيلة، تصل ماضي الأمة العربية بحاضرها، هذا الحاضر الذي نريده مشرقا، تحقق فيه الأمة العربية ما

تنشده من عز وتقدم، وتجتاز الدور الهامشي الذي يراد لها إلى دور الانطلاق والمبادرة والمشاركة والإبداع والاختراع.

إن كل مواطن، وفي أي قطر عربي كان، سيعمل لتحقيق عروبته تحقيقا كاملا، ما دامت العروبة بالنسبة للجميع هي انتماء حضاري مقدس، وليس أي شيء آخر.

ولا يسعني في النهاية، إلا أن أشكركم على حسن استماعكم، وتتبعكم لهذا العرض السريع لقضية التعريب في التعليم العالي والجامعي، وأغتنم هذه الفرصة فأشكر اللجنة الوطنية لتخطيط تعريب المصطلحات العلمية والتقنية، وعلى رأسها، معالي حضرة الأخ. الوزير الأستاذ محمد الدويري، هذه اللجنة التي أتاحت لي، هذا اللقاء معكم في هذه الأمسية التاريخية السعيدة، وأتمنى من أعماق قلبي أن تكون مشاركتي المتواضعة قد أسهمت في إنجاح هذه التظاهرة الثقافية التي ترجو اللجنة الوطنية لتخطيط تعريب المصطلحات العلمية والتقنية من ورائها، وبواسطتها، إشراك الجمهور المغربي العزيز، وخصوصا منه جمهور المثقفين والمختصين، في تحقيق تعريب شامل وكامل والله الموفّق لكل الجهود البناءة والسلام عليكم رحمة الله تعالى وبركاته.

الرباط　　　　　　　　　　د. حمزة الكتاني

مصادر المحاضرة

- دور الجامعات في عالم متغير ترجمة الدكتور عبد العزيز سليمان والدكتور ابراهيم عصمت مطاوع.
القاهرة - دار نهضة مصر للطبع والنشر - 1975.
- من أجل تعريب في المستوى : مقالة للدكتور مصطفى بنيخلف - المعهد الوطني للإحصاء والاقتصاد التطبيقي - 1980.
- مجلة اتحاد الجامعات العربية - خصوصا منها المقالات المتعلقة بتعريب التعليم الجامعي.
الأمانة العامة - شارع ثروت - الجيزة - جمهورية مصر العربية.
- التقرير الوطني حول استعمال اللغة العربية في التعليم العالي العلمي - مؤتمر كستعرب - غشت 1976 - الرباط.
- دراسات وأبحاث جمعها اتحاد الجامعات العربية في مجلد حول تعريب التعليم الجامعي والعالي - الأمانة العامة القاهرة 1980.
مسائل التعليم بالمغرب، محمد السواكي والمكي المروني
النشرة الاقتصادية والاجتماعية المغربية (العددين 143 و 144 لسنة 1981).

د. ح. ك

نص أندلسي لم يُنشر..!

قصيدة ابن عبديس

يستنجد فيها بابن الأحمر لإنقاذ مدينة جيان

عبدالقادر زمامة

1 ـ نص القصيدة :

أمير المسلمين ألا تعود   لأندلس بها مرض شديد
وأنت طبيبها والله يشفي   فمالك لا تطب ولا تعود
فجيان تناديك ، ابن نصر   ألامال يعود ألا جنود
وأنت مليكها الضرغام تدعو   لنصر الدين. لو نفس. تجود
حمى جيان ياسف لابن نصر   وهل يحمي الحمى الا الأسود
وقرطبة أقام الشرك فيها   وما يغزو القريب. ولا البعيد
وإن ثغورها. وثغور حمص   تملكها العدو ـ لنا ـ المبيد
وأبذة يعيث بها النصارى   ونار الكفر ليس لها خمود
وهل بياسة الا ببوس   فطب صدرا إذا طاب الورود
وما قيجاطة تركت شكاة   ويشكيها مهند من يسود
وشوذر. ثم مرتش لو تراها   ونار الكفر يضرمها اليهود

تراهم يخدعون الناس صلحا | وأمر الناس ليس به جحود
فلا مال بخدعتهم تبقى | ولا ناس. ولا نظر سديد
فلولا نصرة لـليل نصر | تملكها النصارى. والعبيد
إله العالمين إليك يشكو | فقير لا يقوم له قعود
فأنت المستجيب لمن دعاه | وكل الجند جندك يا مجيد
فنصرا يا إله الخلق نصرا | فأنت الله. تفعل ما تريد
ولطفا بالجزيرة يا إلهي | فما إن في مضرتها مزيد
فكم من فتنة عمياء فيها | شقيت بها. وما يشقى السعيد
وما المنصور إلا مستجيب | وعهد الناصرين له جديد
وجمع المومنين له انتصار | فألفنا بودك. يا ودود
ومن أمددته نصرا ورشدا | فذاك الندب - والله - الرشيد
فهل من يقظة تحيي نياما | فأيقاظ الجهالة. هم رقود
وما الكفار إلا في عذاب | وقد كشف الغطاء فلا محيد
وما الإسلام إلا في نعيم | توارثه الأكابر. والوليد
وغيظ صدورنا منهم مصيب | يصاب به من الكفر الوريد
وكم من نفحة لله تترى | فلولا اللطيف. ما بقي الوجود
فمتعنا بنصر منك يثري | فلولا القطر. أهلكنا المهود

2) صاحب النص :

ترددت طويلا في نسبة هذه القصيدة المتفجعة إلى شاعر معين. وبحثت جهد الإمكان في المخطوطات والمطبوعات الأندلسية. والدراسات التي خاض أصحابها في موضوع ، الفواجع والرواجف.

والروادف. التي تلاحقت بمدن وأمصار الأندلس فلم اهتد إلى من عرج على النص فيما أعلم...!

وكدت أطوي عنها صفحا وأعدها في قائمة القصائد التي جهل أصحابها... لكن البحث المتواصل هداني إلى نصها «في أوراق» منسوبة إلى أبي اسحاق ابراهيم بن عبيديس الأندلسي الذي عاش ما بين سنة 562 هـ وسنة 659 هـ والذي لم يهمل الحديث عنه المؤرخون.

ولكن برهان الدين ابن فرحون المتوفى سنة 799 هـ في كتابه «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» الذي أفادنا بشيء من ترجمته، وتاريخ ميلاده، ووفاته. وقع في نصه المطبوع ص 91 خطأ وهو أن عبيديس، صارت عبيدا..!! وذلك في طبعة القاهرة سنة 1351 هـ وإذا كان هذا الخطأ قد تلافته الطبعة الثانية سنة 1394 هـ وسمته باسمه الحقيقي وهو ابراهيم ابن عبيديس ج 1 ص 276 فإنها ذكرت تاريخ الميلاد هو سنة 562 هـ وأهملت تاريخ الوفاة وهو سنة 659 هـ الذي أفادتنا به الطبعة الأولى. وبذلك، حصل تكامل في ترجمة هذا الشاعر الذي غمرت اسمه أحداث الزمان... بين الطبعتين...!

وترجمة ابن فرحون في الديباج هي بطبيعة الحال مأخوذة من ترجمته عند لسان الدين بن الخطيب في «الإحاطة» ج 1 ص 367. ط 1973 م والغريب عند دراسة نصي الإحاطة. والديباج أن نجد تاريخ الوفاة. في الديباج لا في الإحاطة...!

فماذا وقع...؟ هل جاء ابن فرحون بتاريخ الوفاة من مصدر آخر...؟ أم انه نقل من النص الأصلي للإحاطة قبل اختصار تراجمها...؟

وابن الخطيب ترجم أبا اسحاق ابرهيم ابن عبيديس المستقر في غرناطة ترجمة مشرقة وأضفى عليها حلة من الأوصاف المشرقة..! فهو خاتمة الرحال. وشيخ المجاهدات.. وآية الله في الإيثار وكان فقيها.. أديبا.. غلب عليه التصوف. له شيوخ وتلاميذ ومؤلفات وأشعار بعضها «أنشده بعض المشارقة في رحلته في غرض اقتضى ذلك...!» هكذا يقول لسان الدين..! وقد افادنا في آخر الترجمة أن الحافظ القاضي محمد بن عبد الملك المراكشي ذكره ونوه به..! ومعلوم أن جزء الذيل والتكملة الذي به من سمي بابرهيم محجوب عنا إلى الآن...!

وابن عبيديس حج وجاور ولعله كرر ذلك مرارا واتصل بعدد من الأشياخ وروى عنهم وبذلك عرف خارج الأندلس كما عرف فيها بشعره ونثره ومنهجه الصوفي.

كل ذلك أفادنا به لسان الدين بن الخطيب. وابن فرحون إلا أننا لا نجد عندهما هذه القصيدة التي نقدمها اليوم هنا من نصها المخطوط...! بعد أن اقتنعنا أنها له...!

3) ظروف النص

عاصر ابن عبيديس الفترة التاريخية التي أعقبت انهيار النفوذ الذي كان لدولة الموحدين بالأندلس وقيام الزعامات والطموحات والصراعات التي أدت إلى سقوط عدد من الأمصار والمدن الأندلسية في قبضة الاسبان. وتمخضت الأحداث عن قيام دولة بني نصر في غرناطة بزعامة محمد بن يوسف المعروف بابن الأحمر سنة 635 هـ - 1238 م..

فابن عبيديس صاحب النص شبيه بأبي الطيب صالح بن شريف الرندي صاحب النونية الشهيرة...

لكل شيء إذا ما تم نقصان   فلا يغر بطيب العيش إنسان

الذي عاش من سنة 601 هـ إلى سنة 684 هـ في نفس الفـترة هذه الظروف. لكن ابن عبيديس جياني الأصل وصالح بن شريف رندي المولد. وكلاهما عاصر الفواجع وانتهى إلى المقام بغرناطة في ظل دولة بني الأحمر..! كما هو معلوم من حياتهما وترجمتهما...

وابن شريف الرندي متأخر عن ابن عبيديس في الوفاة بما يقرب من خمس وعشرين سنة. وهو معاصر له على كل حال. وليس من المستبعد أن يكون قد عرفه في غرناطة...!

وابن شريف الرندي شرق وغرب وأعجم وأعرب...! ونونيته سارت بذكرها الركبان وحفظها الشيوخ والولدان. فلا يذكر المؤلفون شعر رثاء المدن والتفجع على أمصار الأندلس إلا ذكروها ونوهوا بصاحبها.

أما ابن عبيديس الصوفي فلولا ترجمة الإحاطة والديباج المذهب. وهذه القصيدة الدالية لدخل عالم الإهمال والنسيان...!

وهناك بطبيعة الحال فروق ذاتية وثقافية بين الشخصيتين لا نريد الخوض فيها الآن...

ولعله من المتمين ونحن نـتحدث عن هذا العالم الصوفي صاحب النص الذي يتفجع فيه على ضياع مدن الأندلس وأمصارها. أن نشير إلى بعض من أخذ عنه من الأعلام المشهورين في الأندلس والمغرب مباشرة أو بواسطة...

فهناك علم من من أعلام سبتة - أبو الحسن علي بن محمد الغافقي المشهور بأبي الحسن الشاري مؤسس مدرسة سبتة الذي عاش من سنة 571 هـ إلى سنة 649 هـ فقد ذكر لسان الدين ابن الخطيب في

الإحاطة ج 4 ص 188 أنه أخذ عن ابن عبيديس...! وسبق شيخه إلى الوفاة...!

ـ وهناك أبو جعفر ابن الزبير المؤرخ الشهير الذي عاش من سنة 627 هـ إلى سنة 708 هـ وهو مؤلف كتاب «صلة الصلة» فقد ذكر كل من ابن عبد الملك في كتاب «الذيل والتكملة» ج 1 ق. 1. ص 41. وابن الخطيب في الإحاطة ج 1 ص 369. أنه أخذ عن أبي إسحاق ابراهيم ابن عبيديس

وهناك أبو العباس الغبريني الذي عاش من سنة 644 هـ إلى سنة 704 هـ مؤلف «عنوان الدراية» فإنه أخذ عنه بواسطة. حيث يقول في كتابه المذكور ص 309 ط الجزائر 1970 م، «ولقيت كثيرا من مشايخ التصوف استفدت منهم وأخذت عنهم وحدثوني عن أناس فضلاء فمن أحسن ذلك ما حدثني به غير واحد عن الشيخ أبي إسحاق ابن عبيديس... !!!»

فقد وقع خطأ مطبعي. والمقصود ابن عبيديس..!!

4) مضمون النص

كان محمد بن يوسف مؤسس دولة بني الأحمر في غرناطة ـ بعد طي صفحة دولة المستعين ابن هود ـ هو رمز الأمل الذي بقي يراود الأندلسيين بعدما شاهدوا العواصم الأندلسية تتساقط كأوراق فصل الخريف. فهو المؤمل لرسالة الإنقاذ. وهذا مضمون النص... حيث يعتبره طبيبا يجب أن يطب الأندلس المريضة ويعودها ويجيب نداء جيان. وهي مسقط رأس الشاعر..! ونحن نعلم من التاريخ أن هذه المدينة

سقطت سنة 643 هـ فالشاعر يستنجد بابن الأحمر ليحمي هذه المدينة وأهلها..! ويذكره بمأساة قرطبة. وحمص (اشبيلية) وأبذة. وبياسة. وقيجاطة.. وشوذر.. ومرتش...

ومن مضمون النص ما يشير إليه من دور اليهود وخداعهم للناس بأمر الصلح مع العدو. وهذه إشارة لها دلالتها في تلك الظروف حيث إن هؤلاء كانوا يستغلون حاجة الناس المنكوبين ويخدعونهم بشتى الأساليب... !

ويتجه الشاعر إلى ابن الأحمر قائلا :

فلولا نصرة لسليل نصر   تملكها النصارى والعبيد

فكون الشاعر لا يتجه بشكواه وتفجعه إلا إلى ابن الأحمر يدل على ما ألمحنا إليه من كونه أصبح في تلك الظروف القاسية هو المؤمل لرسالة الإنقاذ... !

ونحن نعلم مصاعب ابن الأحمر والجسر الشائك الذي عبر عليه سرا وعلنا للوصول إلى عرش غرناطة. بعد أن لم يترك له الأسبان أي اختيار للتسليم بالأمر الواقع والالتجاء إلى تلك الرقعة الضيقة من جنوب الأندلس التي تزاحم فيها من لم يقدر على مغادرة البلاد... !

لكن ظروف الشاعر وظروف أغلبية الناس كانت تدعوهم إلى الشكوى والاستنجاد ومخاطبة ابن الأحمر لكونه يمثل دولة ناشئة يعلقون عليها وعلى رجالها أكبر الآمال ولولا ذلك لكان اليأس يقضي عليهم قبل أن يقضي عليهم عدو دينهم ووطنهم... !

ورغم سقوط جيان سنة 643 هـ ـ 1245 م فإنها كانت محل نزاع وصراع واغارات وحصارات متعددة منذ تاريخ سقوطها إلى أن طويت صفحة بني الأحمر من تاريخ الأندلس بسقوط غرناطة...!

ويدل على ذلك ما نجده في رسالة ابن الخطيب إلى السلطان عبد العزيز المريني يبشره بفتح جيان وذلك سنة 769 هـ ـ 1367 م كما جاء ذلك في ريحانة الكتاب ج 1 ص 164. ط. القاهرة1400هـ/1980م.

أما القسم الثاني والأخير من هذه القصيدة فهو ذو نفس صوفي طويل حيث التجأ ابن عبيديس إلى الله يشكو، ويدعو، ويرجو، ويتفجع مستمطرا رحمة الله ولطفه ونصره لينقذ مسلمي الأندلس من هذه المحنة التي ضيعوا فيها كل شيء إلا الأمل في رحمة الله ولطفه...!

وهكذا نرى في هذا النص المخطوط لونا من ألوان التعبير عن مأساة الأندلس..! خلال القرن السابع الهجري... والثالث عشر الميلادي...!!

فاس عبد القادر زمامة

وثيقة
في ردّ المكائد (في البيع بالإكراه) في الأندلس
مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى
للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي الأندلسي.

دراسة وتعليق:
د. محمد عبد الوهاب خلاف

تمهيد :

تصور هذه الوثيقة التي بين أيدينا والتي استخرجناها من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل (تـ 486 هـ) تصور صورة من الواقع الاجتماعي الذي كانت تعيشه الأندلس في القرن 4 هـ / 10 م.

فعلى الرغم من رغد وسهولة الحياة وحلاوة العيش في الأندلس. إلا أنه كان هناك بعض البشر تواقين أحيانا إلى الانحراف واستغلال الغير والطمع إلى ما بأيديهم من ممتلكات أو غيره إذا ماسنحت لهم الفرصة بذلك. ولكن محاسبة الإنسان لنفسه وخوفه من عقاب الله ربما يحمله بعد ذلك إلى تعديل سلوكه وتهذيبه إلى الطريق السليم.

وتصور الوثيقة أيضا صورة من صور صراع الخير والشر في المجتمع الأندلسي وتتجمع الخيوط في النهاية لتمثل الجانب المشرق في النفس البشرية من الخوف من العقاب المادي والمعنوي.

وقد اعتمدنا في تحقيق هذه الوثيقة على نسخة مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت رقم 1189 من مخطوطات الأوقاف تحت رقم 838 ق. الخزانة العامة ـ الرباط. ورمزنا لها «بالأصل».

والنسخة الثانية من مخطوطات مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت تحت رقم 370 ق مخطوطات الأوقاف ورمزنا لها بالرمز «قج».

والنسخة الثالثة تحت رقم 55 ق المكتبة العامة ـ الرباط ورمزنا لها بالرمز «قب».

ويلاحظ أن القاضي عياض في كتابه (ترتيب المدارك) أثناء ترجمته للفقيه اللؤلؤي تعرض لهذه القصة وبمراجعتها على النص الأصلي وجدنا أنه لم يلتزم بالنقل منه كاملا وحرفيا ولكنه سرد أحداث هذه القصة مع الاستعانة ببعض التعبيرات التي أوردها ابن سهل. وهي أيضا غير مطابقة للنص الوارد في النسختين الأخريين.

دراسة الوثيقة :

يتلخص موضوع هذه الوثيقة في أن فقيها من فقهاء الأندلس يدعى أبو بكر محمد اللؤلؤي كان له حقل يجاور حقلا لجار له وكان تواقا إلى تملك حقل الجار ليضمه إلى حقله. وسعى إلى ذلك بكل وسيلة إلا أن صاحب الحقل المجاور أبى الاستجابة إليه إلى أن اصابه مرض فعاده اللؤلؤي متلطفا في اظهار الاهتمام بصحته والحرص على سلامته وهو يقصد من وراء ذلك غاية في نفسه هي استمالة جاره إلى تحقيق رغبته في بيع حقله له.

فما كان من الجار إلا أن تظاهر بالارتياح والرضى على هذا السؤال مما أطمع اللؤلؤي في قضاء حاجته في شأن هذا الحقل واغتنم الفرصة

فخاطب جاره في رغبته في تملكه وكاشفه باستمداده لدفع ثمنه أو معاوضته عنه.

وتظاهر الجار بالموافقة إزاء هذا الإلحاق طالبا الإشهاد على هذا الأمر بمن يرى اللؤلؤي استقدامه من الفقهاء.

فما كان من هذا الأخير إلا أن جاءه برهط من الفقهاء من أصحابه وأدخلهم عليه فلما رآهم الجار تظاهر بالضعف واشتداد المرض عليه. وعندما دنا منه الفقيه اللؤلؤي طالبا بره بوعده وإشهاد القوم على هذا البيع. رد الجار بأنه يشهدهم على أن الفقيه اللؤلؤي هو قاتله عن عمد المأخوذ بدمه إن وافته المنية وحملهم أمانة القصاص منه.

وقد دهش الفقيه وأصحابه من هذه المفاجأة وأقبل على الجار يستنهض ذاكرته في شأن ما جرى بينهما وما وعد به. لكن الجار أصر على موقفه وأبى الرجوع عنه. فما كان من اللؤلؤي إلا أن التمس منهم الخروج حتى ينفرد به على أن ينتظروا خارج الباب إلى أن يدعوهم بالدخول ثانية بعد أن يكون قد استنجز الجار وعده.

فلما خلى إليه عاتبه على ما رماه به في حضور الشهود فرد عليه بأنه لم يكن متجنيا في حقه إذ حسبه عند قدومه آتيا لزيارته مشفقا على صحته. فسر بذلك إلا أنه تكشف له أن قصد الفقيه لم يكن سوى اغتنام فرصة ضعفه لانتزاع ملكية الحقل منه مما كان له في نفسه وقع الكراهة والأسى. فما كان من اللؤلؤي إلا أن اعتذر وأشهد على توبته معترفا بخطئه معلنا رجوعه عما انعقد في نفسه من الرغبة في تملك حقله. وعندئذ طلب منه الجار أن يحلف بالإيمان اللازمة أمام الجمع أنه لن يلتمس هذا الحقل لنفسه في حياته ولا بعد مماته ولن يسعى لإضافته إلى ملكه بابتياعه أو تملكه بطريق آخر ويحرمه على نفسه ولو آل إليه

بميراث أو غيره وذلك دون حقد على الجار أو على ذريته. فأقسم له بذلك كله وأعطاه موثقه وعند ذلك أدن له بإدخال الفقهاء عليه.

فلما دخلوا عليه أشهدهم أنه قد عفى عنه وأسقط عنه تبعة دمه. فقال اللؤلؤي إنما أريد منك أن تكذب نفسك وتفيء إلى الحق. فرد عليه بأن هذه هو عين الحق فإن لم تقتنع فإني أرجع فيما أخذتك به. فرضي اللؤلؤي بذلك واتخذ منه عظة إلى أن توفي.

فسارت حكايته مثلا لما تضمنته من استحلاف الرجل له بالإيمان اللازمة وفي هذا دليل على إلزام الحالف لما أقسم عليه.

وإذا كان لهذه القصة مغزى فدلالتها تنحصر إجمالا فيما يلي :

1)ـ أن صاحب الرغبة يلجأ في ابتكار الحيل وأساليب الإقناع لحمل غيره على تحقيق رغبته ولو على كره منه وهذا مظهر للجشع وحب التملك.

2) ـ أن الأصل في العرف الأخلاقي أن لا يسعى راغب الشراء في حمل من لم يعرض ملكه للبيع على بيعه إليه على خلاف رغبته ولاسيما إذا كان طالب الشراء يطمع في مزيد من الثراء على حساب تجريد جاره من ملكه الذي يعتز به.

3) ـ أن مثل هذا السلوك من جار في حق جاره بعيد عن الرعاية التي يوصى بها الدين الإسلامي للجار ومبعث لأحقاد جرى على لسان الجار أنها مسته في سويداء قلبه.

4) ـ أن استغلال حالة المرض لاستمالة الجار إلى ما لا تهوى نفسه استضعافا له يتنافى مع مبادئ الأمانة في المعاملات.

5) ـ أن من كاد لغيره مصيره أن يرد كيده عليه، وهذا ما تحقق بالفعل بمسلك الجار في حضرة شهود اللؤلؤي من الفقهاء.

6) ـ أنه مهما يكن من أمر اللؤلؤي فإن اعتذاره عما بدر منه مما أساء جاره وإنابته وتوبته هي من أخلاق الإسلام التي تحمد اللؤلؤي في رجوعه إلى الحق.

7) ـ أن اللؤلؤي بعد إذ ندم على فعلته رضي بأن يقسم يمين على امتناعه عن السعي إلى تملك حقل جاره بأي طريق من الطرق سواء منه أو عن طريق ذريته بحال من الأحوال حتى يبعث الطمأنينة في نفس الجار ويبرأ من وزر دمه فيما لو تسبب الحزن في وفاته على نحو ما جاهر به.

8) ـ أن حلف اليمين على ما تقدم قد وضع حدا نهائيا للصراع بين الرغبة في الشراء من جانب اللؤلؤي والعزوف عن البيع من جانب الجار وبذلك اطمأن هذا الأخير وهدأت نفسه اعتزازا بهذا القسم.

نص الوثيقة (1)

وذكر بعض من ألف أخبار فقهاء الأندلس أن (أبا بكر (محمد) (2) بن أحمد اللؤلؤي) (3) شيخ القاضي (أبي بكر بن زرب) (4) والفقيه (أبي عبد الله بن أبي زمنين) (5) وغيرهما كان له حقل يجاوره حقل جار له. وكان حريصا أن يضيف حقل جاره إلى حقله فاحتال عليه (في ذلك) (6) بكل حيلة واستعمل فيه كل وسيلة فأبى صاحبه عليه ولم يجبه إليه إلى أن اعتل فعاده اللؤلؤي مستلطفا (له) (7) (محتفيا) (8) به. فأظهر له الرجل (من السرور) (9) (بعيادته) (10) والشكر على (مشاركته) (11) ما أطمع اللؤلؤي في قضائه لحاجته في ذلك الحقل

فكلمه فيه ورغب إليه في تصييره له بما رسم من (ثمن) (12) أو معاوضة فأظهر له الإسعاف لما (رأى منه) (13) من الالحاف وقال له ، اشهد علي بذلك من شئت من الفقهاء إلى أن استثل فتبلغ (ما تحبه) (14) (فاستر) (15) بذلك وجاءه بعدة من الفقهاء أصحابه وأدخلهم عليه.

فإذا به قد اظهر (انهزاء) (16) قوته وضعف (منطقه) ودنا الفقيه منه.

فقال له ، (يافلان) (17) اشهد الفقهاء ـ حفظهم الله ـ على بيعك مني.

فقال (لهم) (18) ، اشهدكم أن الفقيه اللؤلؤي (هذا) (19) قاتلي متعمدا لقتلي وأنه المأخوذ بدمي فإن حدث (لي) (20) حدث (موت) (21) استقيد منه لي فبعنقه دمي وأنتم رهنا بالصدق عني.

فدهش الفقيه ومن معه وأقبل على (الرجل) (22) (يستثبت) (23) ذهنه ويذكره ما جرى بينه وبينه ويخوفه الله ويعظه (ويسلك) (24) أصحابه (في ذلك) (25) سبيله فلم يرجع عن ذلك فخرجوا عنه وسألهم اللؤلؤي أن يتوقفوا عليه ساعة بالباب ليخلوا به (ففعلوا) (26) وتفرد به (وعزله) (27). وقال له ، تعصى الله في أمري وتدمى بغير حق علي.

فقال له ، وهل قلت إلا ما فعلت (بي) (28). ودخلت علي وأنا أحسبك عائدا مشفقا فسررت بذلك (وإذا) (29) بك باغي فرصة فلما مستني في سويداء قلبي في أمر هذا الحقل المشؤوم (فيما) (30) تعلم (كرهته) (31) التي (في عيني) (32) وأتيت علي فهل أردت إلا قتلي ؟ إذ طلبت أخذ كريمة مالي.

فاعتذر إليه اللؤلؤي. وقال ، (أنا تائب) (33) معترف بخطئي فاتق الله (في) (34) وراجع عقلك وارجع عما عقدته علي فما تدري ما يؤول إليه حالك فبعدلائي ما أجابه إلى ذلك.

(فقال) (35) له : أما وقد صرت إلى هذه الإنابة فاحلف (لي) (36) بالإيمان اللازمة أنك لا تلمس هذا الحقل في حياتي ولا بعد مماتي ولا تسعى لملكه وتصييره إليك ببيع ولا غيره وأن تحرمه على نفسك ولو (صار) (37) إليك بميراث أو غيره وإنك (لا تهم لي) (38) مع ذلك بمساءة ولا تحقد ذلك على ذريتي فحلف له بذلك كله وتوثق (منه) (39) وعند ذلك أذن له بإدخال الفقهاء عليه. فلما دخلوا عليه أشهدهم أنه قد عفا عنه لله تعالى وأسقط عنه تبعة دمه فقال له اللؤلؤي :

إنما أريد منك (40) أن تكذب نفسك وتعود إلى الحق.

فقال له : هذا هو الحق. فإن أقنعك عفوي عنك. وإلا (فإلى) (41) (ما عقدته) (42) عليك.

فرضي منه اللؤلؤي بذلك. وتوثق من الإشهاد (عليه) (43) واتخذ حديثه معه موعظة اعتقد بها ألا يفتى في تدمية بعدها.

وتوفي اللؤلؤي سنة خمسين وثلاثمائة وقيل سنة إحدى وخمسين بعدها أول دول (الحكم) (44) رحمه الله وأدخلت حكايته (هذه) (45) لما فيها من استحلاف الرجل له بالإيمان اللازمة ولست أعرف لها ذكرا في أبعد من (وقت) (46) هذه الحكاية وفيها دليل على إلزام الحالف فيما قد ذكرناه من وجوهها وأنها لم تكن عندهم كلاشيء كما يذكر عن بعض المستخفين من المتسمين (بالعلم من معاصرينا) (47).

منحنا الله بفضله هداه (وألهمنا) (48) تقواه وما ((نحوز) (49) به) (50) رضاه.

الكويت د. محمد عبد الوهاب خلاف

التعليقات والحواشي

1) وردت هذه الوثيقة في باب الحلف بالإيمان اللازمة والحنث فيها من مخطط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل. والمخطوط يجري تحقيقه بالاشتراك مع أستاذي الدكتور محمود علي مكي.

ولقد سعدت بمراجعة أستاذي الدكتور محمود مكي أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة القاهرة والأستاذ المستشار مصطفى كامل اسماعيل الخبير الدستوري بمجلس الأمة الكويتي لهذه الوثيقة وتخريجاتها. فلهما شكري وتقديري.

2) ساقطة في قج.

3) أبو بكر محمد بن أحمد اللؤلؤي ، ويقال أحمد بن عبد الله بن أحمد الأموي ، من أهل قرطبة. يعرف باللؤلؤي. ويكنى أبا بكر. كان مقدما في الفتيا على أصحابه ولم يزل مشاورا في الأحكام من أيام القاضي أحمد بن بقى إلى أن توفي. اختلفت المصادر في تحديد تاريخ وفاته بين 348 هـ ـ 350 هـ ـ 351 هـ انظر ترجمته في : ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس : ترجمة 122. الحميدي : جذوة المقتبس : ترجمة : 222. القاضي عياض : ترتيب المدارك : 4 / 414، 418. الضبي : بغية الملتمس : ترجمة 422. ابن فرحون : الديباج المذهب : 252 ـ 253.

4) أبو بكر بن زرب : أبو بكر محمد بن يبقي بن زرب : قاضي الجماعة بقرطبة. أعلم الناس بالفقه. توفي في رمضان سنة 381 هـ

أنظر في ترجمته : ابن الفرضي : ترجمة : 1363. ابن سهل : ورقة : 422. الحميدي : ترجمة : 170. القاضي عياض : ترتيب المدارك : 4 / 620 ـ 622. الضبي : ترجمة : 325. النباهي : المرقبة العليا : ص 77 ـ 82 ابن فرحون : الديباج المذهب : ص 268

5) أبو عبد الله بن أبي زمنين. أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد الله بن أبي زمنين. شيخ جليل من كبار المحدثين توفي سنة 368 هـ

أنظر في ترجمته : ابن سهل : ورقة 423. الحميدي : ترجمة رقم 57 •وذكر تاريخ وفاته في حدود 400 هـ. القاضي عياض : 4 / 672 ـ 674 ابن بشكوال : الصلة : ترجمة 1047. •ذكر تاريخ وفاته 398 هـ الضبي : ترجمة 160. الديباج المذهب : ص 269 ـ 270 وذكر تاريخ وفاته 399 هـ.

6) ساقطة في قج.

7) ساقطة في قج.

8) في قج : متحفيا.

9) في قج، قب : سرورا.
10) في قج : العيادة. في قب : لعيادته.
11) ساقطة في قب.
12) في قج : بيع.
13) في قب : رآه فيه.
14) في قب : ما حبه.
15) في قب : فر.
16) في قج، قب : انهداد.
17) ساقطة في الأصل والمذكور في قج. وفي قب : يا أبا فلان.
18) ساقطة في قج، قب.
19) ساقطة في قج، قب.
20) في الأصل، قج : بي.
21) في قب : الموت.
22) ساقطة في قب.
23) في الأصل : يشتت.
24) في قب : وسلك.
25) ساقطة في قج.
26) في قب : نفعل.
27) في قج : غزله.
28) مذكورة في قب.
29) في قج : فإذا.
30) في الأصل : فيه ما. وفي قب : ما والمذكور في قج.
31) في قج، قب : كرهه.
32) في قب : فزعتني.
33) في الأصل : أنائب والمذكور في النسختين الأخريين.
34) ساقطة في قج.
35) في قب : وقال.
36) ساقطة في الأصل والمذكور في قج، قب.
37) في الأصل، قب : وصل والمذكور في قج.
38) في قب : تتم لي بعد.
39) في قب : منه فيه.
40) ساقطة في الأصل، قب والمذكور في قج.

41) في قج. قب : فإني.

42) في قج : على ما عقدته.

43) في قب : به عليه.

44) الحكم : الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل كنيته : أبو المطرف. بويع بعد موت أبيه في رمضان سنة 350 هـ كان عالما فقيها بالمذاهب إماما في معرفة الأنساب حافظا للتاريخ جماعا للكتب. توفي في صفر سنة 366 هـ وعمره نحو من ثلاث وستين عاما. انظر في ترجمته : الضبي : ص 18 ـ 21، ابن عذارى : البيان المغرب : 3 / 233 ـ 253، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : 41 ـ 43، المقري : نفح الطيب : 1 / 382 ـ 396.

45) ساقطة في قج.

46) ساقطة في قج.

47) في قب : من أهل عصرنا.

48) في الأصل. قب : وألبسنا.

49) في قج : نحرز. وفي قب : يجري.

50) ساقطة في قب.

المصـــــادر

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك):

كتاب الصلة (جزءان). الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966. القاهرة.

ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني)

أعمال الاعلام (الجزء الخاص بالأندلس) تحقيق : ليفي بروفنسال. 1956. بيروت.

ابن سهل القاضي أبو الأصبغ عيسى...):

الأحكام الكبرى. مخطوط تحت رقم 838 ق الخزانة العامة. الرباط. المغرب.

ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد):

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب الجزء الثالث. تحقيق ليفي بروفنسال (دار الثقافة بيروت طبعة بالأوفست عن طبعة باريس 1930).

ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد):

الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب. الطبعة الأولى. 1351 هـ. مصر.

ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي).

تاريخ علماء الأندلس. الدار المصرية للتأليف. والترجمة. 1966م. القاهرة.

الحميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله)

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة. 1966. القاهرة.

الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة)

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس. دار الكتاب العربي. 1967. القاهرة.

عياض (القاضي أبو الفضل... بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي).
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. (4 أجزاء في مجلدين) تحقيق د. أحمد بكير محمود. دار مكتبة الحياة. بيروت. 1967.
المقري (أحمد بن محمد... التلمساني).
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر. بيروت. 1868.
النباهي (أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي... المالقي. تاريخ قضاة الأندلس المسمى بكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا. تحقيق ليفي بروفنسال. 1948. القاهرة.

د. م. ع. و. خ

المعيار الأخلاقي في النقد الأدبي

د. بهجت عبد الغفور

النقد الأدبي عملية معقدة، شأنها شأن أي تجربة شعورية مهما حاولت تأطيرها ووضع الأسس لها، فإن إشكالاتها تظل تشغل حيزا واسعا في الشعور الإنساني من الصعب سبر أغواره ومعرفة كنهه، واستشراف مضامينه وأبعاده، لا سيما حينما يأخذ النقد على عاتقه تحليل الشعور الجمالي ومحاولة كشفه والتوصل إلى تلك الخيوط التي تألفت وتناسقت في تشكيل الصورة الفنية ومدى تأثرها وتأثيرها في النفس الإنسانية التي تبقى مصدر الإلهام والحكم في العمل الأدبي.

ومن هنا تبدو لنا صعوبة العملية النقدية من جهة، وقصور النقد الأدبي القديم من جهة أخرى، حيث حاول النقاد القدامى تنظير النقد وصبه في قوالب معينة، وعدوا الشعر ضربا من الصناعة ومن البديهي أن لكل صناعة قواعد تحكمها وأصولا تضبطها وأسسا تسير وفقها، وليست العملية النقدية كسائر الصناعات، ولا يمكن بأي حال من الأحوال

إخضاعها لمقاييس وأسس ثابتة ذلك أنها تتعامل مع القيم الشعورية ذات الأفق الإنساني الرحب الذي يبدو من العسير رسم أبعاده وتحديد أطره ومحوره الذي يرتكز عليه.

ولهذا كانت أحكام النقاد القدامى ومعاييرهم تجري وفق تلك الأسس والقواعد الصناعية التي رسموها للنقد الأدبي. ولهذا أيضا كانت تلك الأحكام جزئية وسريعة. ظلت عائمة على السطح الخارجي دون التغلغل إلى أعماق النص لاستخراج الصور الفنية التي تختفي وراء الشكل الظاهري حيث رأوا الجمال في الشكل. في اللفظ. وفي العبارة وأن القلة منهم كلفوا أنفسهم عناء النظر وراء الأشكال الظاهرية (1).

وعلى أساس من هذه النظرة أخذ المعيار الأخلاقي طريقه إلى النقد الأدبي. كما تسربت معايير أخرى انصب اهتمامها على الشكل الظاهري وما يحمله من دلالات بعيدة عن القيم الفنية التي ينبغي أن تكون الغاية الأولى بالنسبة للناقد الأدبي الذي يحاول الكشف عن مواطن الجمال في النص الأدبي وما وراء ذلك الجمال من عوامل وأسباب.

ولعل المعيار الأخلاقي من أكثر المعايير النقدية التي شملت مساحة واسعة في تاريخ النقد. كما استأثر باهتمام كبير من لدن النقاد القدامى والمحدثين ذلك لأنهم ربطوا الفن بالحياة وقالوا بغائية الشعر أو نفعيته.

وهذه النظرة إلى الشعر باعتباره وجها من وجوه الخير أو النفع قديمة يمكن أن نعود بها إلى تلك الأناشيد والتراتيل الدينية التي كان

1) ينظر : الأسس الجمالية في النقد العربي : 78 / 79.

الإنسان الجاهلي يرددها في المعابد والهياكل الدينية تضرعا وتوسلا إلى الآلهة.. تلك الأناشيد التي تمثل على رأي بعض الباحثين النشأة الأولى للشعر (2) والتي تدل على ارتباطه بالدين لأن الشعر يعني في نظر الجاهليين نسكا وثنيا (3).

على أن ارتباط الشعر بالدين يعني ارتباطه بالأخلاق لأن الأديان كلها تنزع منزعا أخلاقيا تهذيبيا.

وقد عرف عن بعض الشعراء الجاهليين التزامهم الخلقي أو الديني ولهذا كان منهم من يتأله في جاهليته ويتعفف في شعره ولا يستبهر بالفواحش ولا يتهكم في الهجاء (4).

وقصة امرئ القيس مع أبيه معروفة حيث يروى ان أباه قد طرده لتعهره في شعره وتغزله بالنساء وفحشه (5).

ويروون عن النابغة الذبياني أنه قدم بعد وقعة حسي فسأل بني ذبيان عما قالوه لعامر بن الطفيل وقال لهم ، فأنشدوه فقال ، أفحشتم على الرجل وهو شريف لا يقال له مثل ذلك. ولكني سأقول ثم قال ،

فإن يك عامر قد قال جهلا ... فإن مطية الجهل السباب
فكن كأبيك أو كأبي براء ... تصادفك الحكومة والصواب
فلا يذهب بلبك طائشات ... من الخيلاء ليس لهن باب
فإنك سوف تحلم أو تناهى ... إذا ما شبت أو شاب الغراب

2) ينظر تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، 51.
3) ينظر اللسان مادة (قرأ).
4) طبقات فحول الشعراء 1 / 41 ـ 42.
5) الشعر والشعراء 1 / 54.

فلما بلغ عامرا ما قال النابغة شق عليه. وقال : ما هجاني أحد حتى هجاني النابغة. جعلني القوم رئيسا. وجعلني النابغة سفيها وتهكم بي (6).

ومعروف عن زهير بن أبي سلمى أنه كان يتحاشى الهجاء وإذا هجا لا يفحش ولا يقذع في الهجاء وكان لا يهجو إلا مضطرا. إذ يروى أنه هجا الحارث بن ورقاء حيث أغار على بني عبد الله بن غطفان فغنم واستاق إبل زهير وراعيه يسارا. فهدده زهير بأنه سوف يهجوه بهجاء (مقذع) إذا لم يرد عليه إبله وراعيه حيث يقول له (7)

تعلماهـا لعمـر اللـه ذا قسمـا   فاقصد بذرعك وانظر أين تنسلك
لئن حللت بجو في بني أسـد   في دين عمرو وحالت بيننا فدك
ليأتينك مني منطق قـذع   باق كما دنس القبطية الـودك

فلما سمع الحارث بهذا الشعر أعاد إلى زهير إبله وراعيه.

ونخلص من هذا إلى أن المعيار الأخلاقي قديم النشأة. عرفه العصر الجاهلي ووقع تحت تأثيره كثير من الشعراء الجاهليين.

على أن غياب أو ضياع كثير من الأحكام النقدية في العصر الجاهلي هو السبب الذي لم يضع بين أيدينا كثيرا من تلك الأحكام النقدية التي نلمح فيها أثر الأخلاق أو الدين.

علما أن واقع الشعر الجاهلي يشير إلى وجود تلك الصلة بين الشعر والأخلاق مما يساعدنا على القول بأن الجذور الأولى للمعيار الأخلاقي تمتد إلى ما قبل الإسلام.

6) العمدة 2 / 171 ـ 172.
7) شرح ديوان زهير / 164.

ومن البديهي أن يزدهر المعيار الأخلاقي في ظل الإسلام ويأخذ حجما أكبر في العملية النقدية وفي ترسيخ النظرة الأخلاقية أو الدينية في الشعر. ولا ريب فالإسلام دين عماده الأخلاق والأخلاق أساس من أهم الأسس التي يقوم عليها.

وفعلا كانت الإضاءة الأولى والحجر الأساس للمعيار الأخلاقي في الآية الكريمة التي تذم الشعراء الذين لا يلتزمون بمبادئ الأخلاق والدين والذين يقولون ما لا يفعلون. قال تعالى في سورة الشعراء : **(والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واذ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** (8).

وجاء الرسول (ص) ليلتزم بالنهج القرآني ويستمد أحكامه من وحي الآية الكريمة السابقة. فقال (ص) : إنما الشعر كلام ومن الكلام خبيث وطيب (9) وقال (ص) : «إنما الشعر كلام مؤلف. فما وافق الحق منه فهو حسن. وما لم يوافقه منه فلا خير فيه (10)» وقوله : «من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر (11) وقوله : «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا فيريه خير له من أن يمتلئ شعرا (12).

والمقصود هنا بالشعر هو شعر الكفار والشعر الخارج على حدود الإسلام ومبادئه. يقول ابن رشيق في معنى الحديث. فإنما هو من علا

8) سورة الشعراء آية : 223.
9) العمدة 1 / 27.
10) نفس المصدر.
11) نفس المصدر 2 / 170.
12) نفس المصدر 1 / 31 / 32.

الشعر على قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن الكريم، ومعنى يريه أي يأكله ويؤذيه وقيل أصاب رئته (13).

ونستنتج من هذا أن موقف الرسول (ص) من الشعر أو موقف الحديث كان مثل موقف القرآن الكريم وإنما زاد على ذلك تفصيلا وإيضاحا فالقرآن يهاجم الشعراء والحديث كذلك يهاجم الشعراء والقرآن يستثني الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا والحديث يستثني هذا الشعر الخير الحكيم الموافق للحق (14).

وتابع الخلفاء الراشدون الرسول (ص) في مواقفهم من الشعر والشعراء وحاولوا تطبيق ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية. ولهذا أراد عمر (رضي) الله عنه أن يقطع لسان الحطيئة لأنه أقذع في هجاء الزبرقان بن بدر، ومع هذا لم يفعل واكتفى بحبسه ثم رق له وعطف عليه وأطلق سراحه بعد أن سمع منه أبياته المشهورة التي يخاطب فيها عمر ويستعطفه حيث يقول ،

ماذا تقول لأفراخ بذي مـــــرخ   زغب الحواصل لا ماء ولا شجـــر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمـــة   فاغفر عليك سلام الله يا عمـــر

والعجيب أن الدكتور داود سلوم أستاذ النقد ينعى على الخليفة الثاني موقفه هذا من الحطيئة خاصة ومن الشعر عامة ويقول ،

---

13) العمدة 1 / 32.
14) المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ، 334.

«وقد يشعر الإنسان في موقف عمر الأخلاقي والديني من الشعر شدة وصرامة لا تمثل ما يريده الإسلام من الشاعر وإنما تمثل شخصيا «متدينا» (15)».

ولا أدري كيف يفسر الأستاذ تناقضه هذا. فالمتدين إنما يستمد أحكامه من الدين الذي يدين به وأظنه يتفق معي بأن عمر كان يدين بدين الإسلام ثم واضح في موقفه من الحطيئة أنه كان يمثل ما يريده الإسلام وما جا بنص حديث رسول الله (ص)، كما يمثل تسامح الإسلام في عفوه عن الحطيئة وإطلاق سراحه. فأين التزمت وأين التشدد ؟

ثم لا يختلف اثنان في أن موقف القرآن والرسول (ص) والخلفاء جميعا من الشعر، هو موقف واحد يمثل فلسفة الإسلام ونظرته إلى الشعر والحياة. ولا يمكن كذلك أن نستثني واحدا منهم لأننا إذا استثنينا واحدا فإن ذلك يعني أن المستثنى منهم يخالف روح الإسلام ومبادئه. ولا نعتقد بأن أيا من الخلفاء الراشدين قد خالف روح الإسلام لا في هنا ولا في ذاك ولكنهم اجتهدوا فمن اخطأ منهم فله أجر ومن أصاب فله أجران.

ولا أرى بأسا أن اذكر لأستاذنا موقفا واحدا من مواقف علي كرم الله وجهه من الشعر حيث يروي عن غالب والد الفرزدق أنه جاء بولده الفرزدق إلى علي وطلب منه أن يسمع لابنه حيث يقول الشعر الجيد. فلم يسمع علي منه وقال له ، علمه القرآن (16).

والملاحظة الأخرى على أستاذنا الفاضل أنه لم يكن علميا ولا موضوعيا في موقفه من عمر وإنما وقع تحت تأثير رواسب التعصب الذي

---

15) الشاعر الإسلامي تحت نظام سلطة الخلافة ، 36.

16) الأغاني (طبعة ساسي) 19 / 9.

دار حول أشخاص الخلفاء والتفاضل بينهم والذي أوقد أواره أعداء هذه الأمة عبر التاريخ (17).

على أنه ينبغي إذا ما أردنا أن نكون موضوعيين وعلميين أن لا نناقش الأشخاص، بل نناقش المبادئ، نناقش المعيار الأخلاقي نفسه، مدى قربه أو بعده من دائرة النقد. أو بعبارة أخرى الوقوف عند الملاحظة التي وقف عندها النقد. وهي أن الفن القولي ينبغي عدم اخضاعه للمقاييس الأخلاقية أو الدينية لأنه لا يمكن أن يعيش في كنف الدين أو الأخلاق كما يقول الأصمعي ، الشعر نكد بابه الشر إذا دخل في باب الخير ضعف. وفي رواية لأن (18).

على أن الأصمعي قد ربط الشعر بالشر وذهب إلى أن الشعر يرقى ويزدهر كلما ابتعد عن الخير. ولهذا فهو يفصل بين الدين والشعر ويراهما عالمين منفصلين.

وواضح أن الأصمعي قد وقع في موقفه هذا تحت تأثير المعيار الأخلاقي أو الديني في نظرته للشعر. وهم يروون عن أحد الرواة أنه قال ، رأى الأصمعي جزءا فيه من شعر السيد. فقال ، لمن هذا ؟ فسترته عنه بعلمي بما عنده فيه. فأقسم علي أن أخبره فأخبرته. فقال ، أنشدني قصيدة منه. فأنشدته قصيدة ثم أخرى وهو يستزيدني ثم قال ، قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول لولا مذهبه ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقته. وفي رواية، قال قاتله الله ما أطبعه وما أسلكه لسبيل

17) الشاعر الإسلامي تحت نظام سلطة الخلافة ، 36 وما بعدها.

18) الشعر والشعراء 1 / 311 والموشح 85 / 90.

الشعراء والله لولا ما في شعره من سب السلف لما تقدمه من طبقته أحد (19).

فواضح أن الأصمعي يحكم على شعر السيد من خلال معتقده الديني ومخالفته لمذهبه.

وكذلك يروى عنه أنه لما سئل عن مزرد. قال ، ليس بدون الشماخ ولكنه أفسد شعره بما يهجو الناس (20).

وكان يقول عن حسان ، شعر حسان في الجاهلية أجود الشعر فقطع متنه في الإسلام (21).

ويروى عنه أنه كان لا ينشد ولا يفسر ما كان فيه ذكر الأنواء لقول رسول الله (ص) ، «إذا ذكرت النجوم فأمسكوا. وكان لا يفسر شعرا يوافق تفسيره القرآن (22).

وعلى هذا الأساس كان يفضل شعر لبيد. ويقول ، ما أحد أحب إلي شعرا من لبيد لذكره الله عز وجل ولإسلامه ولذكره الدين والخير (23).

ويعلق الدكتور إحسان عباس على كلمة الخير التي وردت عند الأصمعي في قوله ، الشعر نكد....).

ويقول ، إن في هذا النص القيم الغريب نجد الأصمعي قسر مجال الشعر على الشؤون الدنيوية التي كانت سائدة في الجاهلية وحدد

---

19) الأغاني 7 / 232.
20) فحولة الشعراء 12.
21) الشعر والشعراء 1 / 311.
22) الكامل ، 3 / 36.
23) الموشح 85.

موضوعاته التي تصلح له ويصلح لها وجعل صفة اللين عالقة بالموضوعات المتصلة بالخير والدين .... ويرى الدكتور إحسان بأن رواية النص غير دقيقة وأنها ترجمة متأخرة بعض الشيء لمفهوم قول الاصمعي وإنما الخير عند الاصمعي يعني «طلب الثواب» الأخروي أو ما يتصل اتصالا وثيقا بالناحية الدينية ويقابل حينئذ دنيوية الشعر واتصاله بالصراع الإنساني في هذه الحياة (24).

على أن الأصمعي يبدو من خلال تفضيله لشعر لبيد بأنه يعترف بأن الشعر يمكن أن يكون في ميدان الخير مثلما يكون في ميدان الشر ولكنه يظل معتقدا بأن الجودة الفنية لا تكون مع الشعر الملتزم جانب الخير. حيث يروي عنه أنه سئل عن شعر لبيد فقال : ليس بفحل. وقال : كان رجلا صالحا وكأنه ينفي عنه جودة الشعر (25).

وسئل عن الذبياني أهو أشعر أم زهير. فقال : ما يصلح زهير أن يكون أجيرا للنابغة (26). مع علم الأصمعي بالتزام زهير وعدم التزام النابغة.

وكذلك كان ينظر بعض النقاد إلى شعر أبي نواس. وكانوا لا يحتجون به لا لعلة فيه ولكن لرفت أبي نواس وفسقه وما عرف عنه من مجون. يقول أبو عمرو الشيباني «لولا ما» أخذ أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره لأنه محكم القول (27).

---

24) تأريخ النقد الأدبي عند العرب (ط 1) 50 / 51 د إحسان عباس.

25) فحولة الشعراء : 15 / (5) فحول الشعراء 9.

26) نفس المصدر 9.

27) طبقات الشعراء : 202.

وعلى هذا الأساس جرت مناظرة بين ابن المعتز وابن الأنباري، ولا بأس أن اذكرها بنصها هنا لاتصالها المباشر بموضوعنا. وهي كالآتي : كتب ابن الأنباري إليه : جرى في مجلس الأمير ذكر الحسن بن هانئ والشعر الذي قاله في المجون وأنشده وهو يؤم قوما في صلاة. وهو أن لكل ساقطة لاقطة. وان لكلام القوم رواة وكل مقول محمول فكان حق شعر هذا الخليع أن لا يتلقاه الناس بألسنتهم ولا يدونونه في كتبهم. ولا يحمله متقدمهم إلى متأخرهم. لأن ذوي الأقدار والاسنان يجلون عن روايته. والأحداث يفشون بحفظه. ولا ينشد في المساجد. ولا يتحمل بذكره في المشاهد. فإن صنع فيه غناء كان أعظم لبليته لأنه إنما يظهر في غلبة سلطان الهوى. فيهيج الدواعي الدنيئة. ويقوي الخواطر الرديئة. والإنسان ضعيف يتنازعه على ضعفه سلطان القوى. ونفسه الأمارة بالسوء. والنفس في انصبابها إلى لذاتها بمنزلة كوة منحدرة من رأس رابية إلى قرار فيه نار. إن لم يحبس بزواجر الدين والحياء أداها انحدارها إلى ما فيه هلكتها.

والحسن بن هانئ ومن سلك سبيله من الشعر الذي ذكرناه شطار كشفوا للناس عوارهم. وهتكوا عنهم أسرارهم. وأيدوا وأبدوا لهم مساويهم ومخازيهم. وحسنوا ركوب القبائح. فعلى كل متدين أن يذم أخبارهم وأفعالهم. وعلى كل متصور أن يستقبح ما استحسنوه. ويتنزه من فعله وحكايته. وقول هذا الخليع : ترك ركوب المعاصي ازراء بعفو الله تعالى. حض على المعاصي أن يتقرب إلى الله عز وجل بها تعظيما للعفو. وكفى بهذا مجونا وخلعا داعيا إلى التهمة لقائله في عظم الدين. وأحسن من هذا وأوضح قول أبي العتاهية :

يخاف معاصيه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب

فأجابه بن المعتز : لم يقل أبو نواس ترك المعاصي ازراء بعفو الله تعالى. وإنما حكى ذلك عن متكلم غيره. والبيت أنشد له بحضرتنا.

لا تحظر العفو إن كنت امرءا حرجا فإن حظرته بالدين ازراء

وهذا البيت يجوز للناس جميعا استحسانه والتمثل به. ولم يؤسس الشعر بانيه على أن يكون المبرز في ميدانه من اقتصر على الصدق ولم يغو بصبوة. ولم يرخص في هفوة. ولم ينطق بكذبة. ولم يغرق في ذم. ولم يتجاوز في مدح. ولم يزور الباطل. ويكسبه معارض الحق. ولو سلك بالشعر هذا المسلك لكان صاحب لوائه من المتقدمين. أمية بن أبي الصلت الثقفي. وعدي بن زيد العبادي. إذ كانا أكثر تذكيرا وتحذيرا ومواعظ في أشعارها من امرئ القيس والنابغة. فقد قال امرؤ القيس :

سموت إليها بعدما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال
فأصبحت معشوقا وأصبح بعلها عليه القتام سيء الظن والبال
يغط غطيط البكر سد خناقه ليقتلني والمرء ليس بقتال

وقال النابغة :

وإذا لمست لمست أجثم رابيا متحيزا بمكانه ملء اليد
وإذا طعنت طعنت في مستهدف رابي المجسة بالعبير مقرمد

وهل يتناشد الناس أشعار امرئ القيس والأعشى والفرزدق وعمر بن أبي ربيعة وبشار وأبي نواس على تعهرهم. ومهاجاة جرير والفرزدق على قذعهم إلا على ملأ من الناس وفي حلق المساجد. وهل يروي ذلك

إلا العلماء الموثوق بصدقهم وقد نفى حسان بن ثابت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فما بلغنا أن النبي (صّ) أنكر ذلك عليه في هجائه حيث يقول :

وأنت ربيط نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقد زعم بعض الرواة أن النبي (صّ) قال للحارث : أنت من خير أهلي. وما نهى النبي (صّ) ولا السلف الصالح من الخلفاء المهديين بعده عن إنشاد شعر عاهر ولا فاجر. ولقد أنشد سعيد بن المسيب وغيره من نظرائه تهاجي جرير وعمر بن لحي فجعل يقول : أكله أكله. يعني أكله جرير ولم ينكر شيئا مما سمعه.

فأجابه ابن الأنباري : قد صدق سيدنا أيده الله في كل ما قال من الأشعار التي عدل قائلوها عن سنن المؤمنين المتقين. ولم أكن أجهل أكثر ذلك إلا أنه لم يخطر ببالي ذكر ما كنت أعرف منه في وقت كتابتي ما كتبت به. وما كل ما يعرف الإنسان يحضره. ولا تتواتى كل وقت خواطره. على أن الذي جرى في هذا الأمر إنما هو على سبيل التعلم والتفهم يذكر الذاكر شيئا قد تقدم صوابه فيحتج له وعليه فيه حجة قد تركها. فيكشف السامع لها غطاه مستبصرا ومذكرا. فإن كان الحق ضالته وجد ما ابتغى. وغنم ما وجد. وإن أنف من الرجوع. واشتد عليه النزوع. جحد ما علم واحتج لما جهل. لأن كل مطالب بباطل لا يخلو من جهل بما يدعي أو جهل بما يعرف ولم يعقد أعز الله الأمير مجلس المناظرة في علم يعطي النظر فيه حقه إلا فاز المرء فيه باستفادة صواب كان

يجهله، ورجوع عن خطأ كان يعتقده، ولست أعز الله الأمير، بمعصوم ومن لم يكن معصوما لم يكن صوابه بمضمون ولا زلله بمأمون...(28).

أما نحن فنخالف ابن المعتز في قوله : ما نهى الرسول (ص) ولا السلف الصالح من الخلفاء المهديين بعده عن إنشاد شعر عاهر ولا فاجر. ونعد هذا كذبا على الرسول (ص) وعلى الخلفاء الراشدين. فلم يذكر عن الرسول (ص) أنه سمع شعرا عاهرا أو فاجرا ولم ينه عنه بل روي عنه العكس (29)

وقد تقدم ذكر ذلك أما سماعه لهجاء حسان. فهو أولا في هجاء الكفار وقد قبل الرسول (ص) هذا وسمعه في بداية الدعوة لأنه السلاح الذي استخدمه الكفار في حرب الرسول (ص) وأصحابه. وثانيا لم يكن فيه مس في الأعراض ولا تعهر ولا فجور وانما كان في الأحساب والأنساب ولهذا أثره العميق في نفوس الكفار حيث يقول الرسول (ص) عن حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل وقال لحسان بن ثابت : أهجم - يعني قريشا - فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام ومعك جبريل روح القدس. والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات (30).

أما بالنسبة للخلفاء الراشدين. فهم جميعا نهوا عن الشعر الفاحش ومما يروي عن عمر أنه تقدم إلى الشعراء ألا يشبب أحد بامرأة إلا جلده (31)

---

28) جمع الجواهر في الملح والنوادر : 40 وما بعدها.
29) انظر مثلا قوله (ص) في امرئ القيس : (هو صاحب لواء الشعراء إلى النار).
30) العمدة : 1 / 30.
31) الأغاني 4 / 356. مسند أحمد :

ومع هذا يبقى النظر إلى الشعر من خلال موضوعه ودلالته الظاهرية دون مراعاة الصورة الفنية وأخذها بنظر الاعتبار في الحكم النقدي كما يظل للمعيار الأخلاقي أثره في تلك الأحكام وهذا الجاحظ يقول ، وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه وكأن الله عز وجل قد البس من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا من التكلف صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة (32).

ونرى الجاحظ أكثر اقترابا من النظرة الفنية حينما يقرر بأن الشعر ضرب من التصوير فيقول ، والمعاني مطروحة وسط الطريق يعرفها العربي والعجمي والحضري والبدوي وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير (33).

أما ابن قتيبة فقد رام تسهيل السبيل في مثل هذا فقال ، مهما مر بك من كلام تنفر عنه نفسك فلا تعرض عنه بوجهك فالقول منسوب إلى قائله والفعل عائد إلى فاعله (34).

ويظل ابن طبطابا واقعا تحت تأثير المعيار الأخلاقي وإن لم يصرح بذلك ولكنه على ما يبدو يرجح صدق المعنى واعتداله. على قبح المعنى. على أنه لم يحدد لنا المراد بقبح المعنى الذي تنفر منه النفس حيث يقول ، وعلة كل حسن مقبول الاعتدال كما أن علة كل

---

32) البيان والتبيين ، 1 / 97 / 98.

33) الحيوان ، 3 / 131.

34) جمع الجواهر ، 5.

قبيح منفي الاضطراب والنفس تسكن إلى كل ما وافق هواها وتقلق مما يخالفه ولها أحوال تتصرف بها فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له وحدثت لها أريحية وطرب. فإذا ورد عليها ما يخالفها قلقت واستوحشت (35).

ولكنه يبدو أكثر وضوحا في قوله ، والفهم يأنس من الكلام بالعدل والصواب الحق الجائز المعروف المألوف ويتشوق إليه ويتجلى له ويتوحش من الكلام الجائر والخطأ الباطل والمحال المجهول المنكر وينفر عنه (36).

على أن قدامة بن جعفر يبدو أكثر وضوحا وتفهما وأبعد نظرا وأقرب إلى روح الشعر إذ يرى بأن النظم في المعنى الشريف مثل النظم في المعنى غير الشريف وكأنه ينظر إلى القيمة الفنية بغض النظر عن الموضوع الذي ينظم فيه. حيث يقول ، ومما يجب تقدمته وتوطيده قبل ما أريد أن اتكلم فيه أن المعاني كلها معرضة للشاعر. وله أن يتكلم منها في ما أحب وآثر من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه. إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة. كما يوجد في كل صناعة من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها مثل الخشب للنجار والفضة للصياغة وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة والرفث والنزاهة والبذخ والقناعة والمدح

35) عيار الشعر ، 10.

36) نفس المصدر ، 14 / 15.

وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة (37).

ثم يعرض بعد ذلك لقول امرئ القيس ،

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضـع فألهيتها عن ذي تمائم محول
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشـق وتحتـي شقها لم يحول

فيقول ، فإني رأيت من يعيب امرئ القيس في قوله ويذكر أن هذا معنى فاحش وليس فاحشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه كما لا يعيب جودة النجار في الخشب مثلا رداءته في ذاته (38).

ويتفق أبو الحسن الجرجاني والصولي على كون الشعر بمعزل عن الدين وأن الكفر لا ينقص من رتبة الشعر ولا يذهب بجودته ولو كانت الديانة عارا وسوء الاعتقاد سببا في تأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعري واضرابهما ممن تناول الرسول (ص) وعاب من أصحابه بكما خرسا وبكاء مفحمين ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر (39).

ويقف مسكوية موقفا مغايرا من الجرجاني والصولي ويصرح برأيه فيما يجره الشعر من ضرر في تربية الناشئين وخاصة ذلك اللون من

---

37) نقد الشعر 65 / 66.
38) نفس المصدر 66.
39) الوساطة 64 وأخبار أبي تمام 173.

الشعر الفاحش المليء بالأكاذيب المشجع على اللذات كبعض شعر أمرئ القيس والنابغة وأشباههما. وكأنه يرد على ابن المعتز في مناظرته مع ابن الأنباري، حيث يقول : ومن لم يتفق له بذلك في مبدأ نشوئه ثم ابتلى بأن يربيه والده على رواية الشعر الفاحش وقبول أكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل اللذات كما يوجد في شعر امرئ القيس والنابغة وأشباههما ثم صار بعد ذلك إلى رؤساء يقربونه على روايتها وقول مثلها ويجزلون له العطية... واشتغل بها عن العادة التي أهل لها فليعد جميع ذلك شقاء لا نعيما وخسرا لا ربحا (40).

ويتفق ابن سنان الخفاجي مع ابن قدامة ويبدو متأثرا به اذ يرى : بأن صناعة التأليف في المعنى الفاحش مثل الصناعة في المعنى الجميل وليس كون المعنى في نفسه فاحشا أو جميلا تأثير في الصناعة وإنما يطلب في كل واحد منها صحة العرض وسلامة الألفاظ على حد سواء (41).

ومن الإنصاف أن نقول بأن الإمام عبد القاهر الجرجاني قد تميز من النقاد القدامى بنظرته إلى بنية الشعر المؤلفة من : اللفظ + المعنى + الصورة. واعتباره الصورة المحصلة النهائية التي يتفاضل على أساسها الشعراء فيما بينهم وهي الإشار الضوئية التي يجب أن يقف عندها الناقد عند إصدار حكمة النقدي على النص الشعري (42).

40) تهذيب الأخلاق ، 49 / 50.

41) سر الفصاحة ، 335 / 336.

42) دلائل الإعجاز ، 368 وما بعدها.

وهكذا يظل الخلاف قائما بين النقاد القدامى ويمتد إلى العصر الحديث ليشمل النقاد المحدثين. فنجد أغلبهم ـ مع الأسف ـ يقع تحت تأثير النظرة السلفية التقليدية. حيث ظلت جمالية الشعر عندهم تكمن في الشكل الظاهري في الألفاظ وفي المعاني وفي دلالتها الظاهرية. مغلبين في أكثر الأحيان القيم الثانوية المرتبطة بالموضوع على القيم الفنية الكامنة في الصورة المختفية وراء الشكل الظاهري، حتى اصبحوا يشكلون مدرسة عرفت بمدرسة الفن للحياة.

على أنه توجد في الطرف الثاني مدرسة الفن للفن. تلك المدرسة التي لا تعتبر أي وجه من النفع أو الأخلاق أساسا جوهريا في الفن.

ويظل محور الخلاف بين النقاد المحدثين يدور حول السؤال المطروح قديما وهو، هل يجوز للشاعر أن يقول في الموضوعات الخارجة على حدود الدين والأخلاق ؟ أو بعبارة أخرى. هل له الحق في أن يقول فيما أحب من فنون القول دون أن يحظر عليه موضوع ما ؟ وإن كان كذلك. فهل يستطيع الشاعر الملتزم أن يبلغ مبلغ الشاعر غير الملتزم ؟

ويحدثنا الدكتور أحمد محمد بدوي حديثا مسهبا يعرض فيه لرأي كلا الفريقين. الفريق الذي يرى ضرورة التزام الشاعر لأن المعاني الحميدة أوسع من أن تضيق أمامه حتى يلتجئ إلى التهاون في تعظيم الله مع اعتقاد هذا الفريق بأن الديانة ليست عارا على الشعر ولا سوء الاعتقاد سببا في تأخر الشاعر ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به.

في حين يرى الفريق الثاني بأن الأخلاق أو الدين لا دخل لها في تقويم الشعر وأن ليس على الشاعر من حرج في أن يعبر عن احساساته وما يختلج في صدره أو يجول في نفسه سواء أوافق الخلق أم خالفه أقره الدين أم لم يقره. فالشاعر حر فيما يقول وعلى سامعه أو قارئه أن يحكم عقله فيما يقبل من آرائه أو يرفض وليس ثمة قيود يقيد بها ما دام يعبر عما يحس.

على أن الدكتور بدوي يبدو منحازا إلى الرأي الثاني حيث يقرر بعد هذا العرض بأن الذين وضعوا هذا المقياس (الأخلاقي) هم من غير نقدة الأدب الذين يزنون الشعر بميزان الفن الخالص. وانما هم طائفة من الحكام ورجال الأخلاق الذين يعنيهم حفظ كيان الأمة وحياطة الجماعة بسياج يصونون عناصرها من التفتت أو الانحلال (43).

ويذهب الدكتور بدوي طبانة إلى أن أحكام هؤلاء وما شابهها من أحكام تقع تحت تأثير الذاتية أو المنفعة وعلى هذا فهي أحكام غير جديرة بالاعتبار وأن الحكم الجدير بالاعتبار هو الحكم الصادر عن العالم الذي استطاع أن يكبح جماح هواه الخاص. الخبير بالأدب الذي راضه ومارسه وتخصص في فهمه ودرس أساليب الأدباء. ومنح القدرة على فهم أسرارهم والنفوذ إلى دخائلهم وإدراك مشاعرهم وساير عواطفهم بفهمه العميق وحسه المرهف وكثرة تجاربه الأدبية وتمتع إلى جانب ذلك بحظ كبير من المعرفة والثقافة والبصر الثاقب الذي يعنيه على إصدار الحكم الصائب (44).

---

43) أسس النقد الأدبي 369 وما بعدها.

44) دراسات في نقد الأدب العربي : 27.

ويرى الدكتور أحمد الشايب بأننا حين نقرر من جهة أن الصبغة الخلقية ليست أساسية في الأدب ونعترف من جهة أخرى أن العواطف الصحيحة ذات صبغة تهذيبية. فمعنى هذا أننا نصر على أن أسمى العواطف ما كان تهذيبيا وأن أسمى أنواع الأدب لا يمكن أن يقاس بمقاييس غير خلقية فحسب مع أن حرية الشاعر ضرورية بشرط أن يثير في نفوسنا عواطف محترمة ولا يخدش القداسة الخلقية أو يدنسها ذلك لأن الشاعر يستطيع أن يصور الرذائل أو الأخطاء مع المحافظة على الصبغة الخلقية الفاضلة وأن الشاعر يمكن أن يجود في فنه ويرتفع به إلى المستوى الرفيع مع ابتعاده عن الرذائل التي لا تدخل أبدا في تكوين الأدب الراقي. فالجور على الفضائل لا يمكن أن يكون أساسا للعظمة الأدبية أو الفنية بعامة.

ويصل الدكتور الشايب بعد هذا إلى القول بوجود صلة بين الأدب والأخلاق من حيث الغاية. فالعواطف الفاضلة من عوامل الأخلاق الكريمة والأسس الخلقية حمى للأدب يقيه السقوط ويحتفظ له بمستوى عال نبيل. فالفضائل تدعو إلى نفسها بآثارها الحسنة والرذائل تنفر منها بنتائجها السيئة الساقطة.

ومع هذا فإن الدكتور الشايب يختتم حديثه هذا برأي احتمالي يقترب فيه من رأي أصحاب المدرسة الجمالية حيث يقول ، المعركة بين الأدب والفضيلة قديمة العهد وستبقى قائمة ما دامت هناك حدود تحرص الأخلاق على التزامها ويحاول الأدب أو الفن كله التحرر منها ومن يدري

فلعل تشبث الأدب بالحرية وصراعه في سبيلها حياة له وجمالا بل لعل جماله في هذا ليس غير (45).

وهنا ما يدعو إلى تحقيقه أصحاب المدرسة الجمالية أو مدرسة «الفن للفن» التي ترى بأن الجمال الحر الذي لا يستهدف أي منفعة أو غاية خلقية هو غاية العمل الفني. ولهذا فإن الفصل بين الصورة والمحتوى ضروري جدا بل يجب أن يستبعد المحتوى من ميدان الحكم الجمالي لأنه نسبي ومحدود في حين يكمن الجمال في الصورة وحدها لأنها هي الخالدة المطلقة (46).

والسؤال الذي يمكن أن يوجه إلى هذا الرأي. هو ، مدى إمكانية الفصل بين المحتوى والصورة حيث يبدو واقعيا من الصعب جدا الفصل التام ولا سيما في الأحكام النقدية لأن عظمة الأدب لا تقرر بالمعايير الأدبية وحدها (47) حيث تختفي وراء الغاية الفنية غايات أخرى وأن بعض الأغراض الشعرية هي بذاتها غاية اجتماعية في بعض الأحوال (48).

ولهذا نظل نعتقد بأن المعيار الأخلاقي سيظل داخلا في تقويم الفن ما دامت هنالك قيم أخرى غير القيمة الفنية يتضمنها الشعر وتشكل محورا من المحاور التي يقوم عليها باعتباره ظاهرة إنسانية.

---

45) أصول النقد الأدبي ، 207 / 209.

46) الأسس الجمالية في النقد العربي 350 وما بعدها.

47) خمسة مداخل إلى النقد الأدبي ، 51.

48) تأريخ النقد الأدبي عند العرب ، د. إحسان عباس ـ ص ، 371.

على أنه ينبغي أن تأتي تلك القيم متأخرة أو ثانوية بالنسبة للقيم الفنية التي تعد هي الأساس في الفن عامة والشعر خاصة.

أما أن تغلب القيم الثانوية على القيم الفنية ويحكم على الفن من خلالها. فإن النقد والحالة هذه يخرج من دائرة النقد الأدبي ليدخل في إحدى الدوائر الاجتماعية أو السياسية أو الدينية أو الأخلاقية.

ومع هذا فإن المعيار الأخلاقي يبقى داخلا في العملية النقدية ولو بصورة نسبية. رغم اتجاه النقد الحديث إلى إبعاد الشعر عن كل المؤثرات الخارجية والتركيز على الصورة الفنية الداخلية المتكونة من تلك العلاقات اللغوية. ذلك أنه من الصعب تجريد الصورة عن إشعاعاتها المعنوية ودلالاتها غير الفنية لا سيما أن النفس الإنسانية هي مصدر الإلهام وهي مصدر الحكم في الفن عامة والشعر خاصة. وأن الشيء الجميل هو الذي يقع في النفس موقع القبول والاستحسان ليس من الناحية الفنية فحسب بل من جميع النواحي التي تثير في النفس دواعي الاستحسان والشعور بالجمال.

ورحم الله الدكتور محمد مهدي البصير حيث يقول ،

قالوا تنوعت الأذواق وانقسمت
في الشعر واختلفت في وصفه الفكر
فقلت أبدعه عندي وأحسنه
ما كان في النفس من إنشاده أثر

الرباط — د. بهجت عبد الغفور

المصادر والمراجع

- أخبار أبي تمام: الصولي - تحقيق خليل محمود عساكر وآخرين - بيروت. د. ت.
- الأسس الجمالية في النقد العربي: الدكتور عز الدين إسماعيل - ط (2) القاهرة - 1968.
- أسس النقد الأدبي عند العرب: الدكتور أحمد أحمد بدوي - ط (1) 1958
- أصول النقد الأدبي: د. أحمد الشايب (7) 1958.
- الأغاني: لأبي فرج الأصفهاني. دار الكتب المصرية وطبعة (ساسي)
- البيان والتبيين: الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون لجنة التأليف والنشر والترجمة القاهرة 1948
- تأريخ الأدب العربي قبل الإسلام: الدكتور نوري حمودي القيسي وآخرين - دار الرشيد بغداد 1979.
- تأريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن: الدكتور إحسان عباس - ط (1) بيروت 1971
- تهذيب الأخلاق: لأبي علي أحمد بن محمد مسكويه - تحقيق دكتور قسطنطين زريق - بيروت 1966
- جمع الجواهر في الملح والنوادر: لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني تحقيق - محمد علي البجاوي - ط 1953
- الحيوان: الجاحظ - تحقيق - عبد السلام هارون لجنة التأليف والنشر والترجمة - 1948.
- خمسة مداخل إلى النقد الأدبي: ت - س اليوت ترجمة الدكتور عناد غزوان وجعفر الخليلي بغداد 1981.
- دراسات في النقد الأدبي العربي من الجاهلية إلى القرن الثالث: الدكتور بدوي طبانة - ط القاهرة 1960.
- دلائل الاعجاز: الجرجاني - دار المعرفة - بيروت 1978.
- سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي - تحقيق عبد المتعال الصعيدي القاهرة 1953.
- الشاعر الإسلامي تحت نظام سلطة الخلافة: الدكتور داود سلوم - بيروت - باريس 1978.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية1944
- الشعر والشعراء: ابن قتيبة تحقيق - أحمد محمد شاكر - دار المعارف بمصر - 1966.

ـ طبقات الشعراء	ابن المعتز، تحقيق ـ عبد الستار أحمد ـ ط (1) دار المعارف بمصر.
ـ طبقات فحول الشعر	ابن سلام، تحقيق محمود محمد شاكر القاهرة 1974
ـ العمــــــدة	ابن رشيق ـ تحقيق ـ محيي الدين عبد الحميد ط 4 ـ 1972.
ـ عيار الشعر	ابن طباطبا ـ تحقيق ـ طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ـ مصر ـ 1956
ـ فحولة الشعراء	الأصمعي ـ تحقيق توري، وتقديم صلاح الدين المنجد ـ ط 1971
ـ الكامل في اللغة والادب	المبرد ـ تحقيق أبو الفضل إبراهيم القاهرة1956
ـ اللســـــان	ابن منظور ـ دار صادر ـ بيروت.
ـ المجتمعات الإسلامية في القرن الأول	الدكتور شكري فيصل ـ بيروت 1978.
ـ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء	المرزباني ـ القاهرة ـ 1343 هـ
ـ نقد الشعر	قدامة بن جعفر ـ تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ـ القاهرة 1980.
ـ الوساطـــــة	الجرجاني ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ـ ط 1951م.

ذكريات
من تاريخ الحركة الثقافية بتطوان (*)

محمد عزيمان

تكرم الأخ العزيز الأستاذ السيد عبد الواحد أخريف المندوب الجهوى لوزارة الشؤون الثقافية بتطوان فدعاني لأن أشارك بكلمة في هذه الأيام الثقافية التي تنظمها مندوبية وزارة الثقافة بتطوان.

وإني سعيد بتلبية هذه الدعوة تقديرا لهذه البادرة الكريمة، بادرة تنظيم أيام ثقافية بتطوان، مؤملا أن تكون هذه البادرة فاتحة عهد جديد تنشط فيه الحركة الثقافية بتطوان وتخرج مما تعانيه من ركود.

وانه لمن دواعي الا بتهاج أن يقترن افتتاح السنة الدراسية الجديدة بأحداث ثقافية هامة بتطوان على رأسها فتح كلية العلوم وكلية الآداب اللتين ستكونان زيادة على مهمتهما الأصلية كمراكز للتعليم العالي

---

1) محاضرة ألقيت بقاعة المكتبة العامة بتطوان، ضمن برنامج الأيام الثقافية التي نظمتها النيابة الجهوية لوزارة الشؤون الثقافية بتطوان، وقد القيت هذه المحاضرة يوم الإثنين 8 نوفمبر 1982.

الجامعي منارتي اشعاع ثقافي. وأن وجود المآت من الطلبة الجامعيين بتطوان. ووجود نخبة من الأساتذة الجامعيين من رجال العلم والأدب بهذه المدينة لمن شأنهما أن يخلقا بها جوا جامعيا. وينشطا الحركة العلمية والفكرية والثقافية فيها. خصوصا والاستعدادات جارية لفتح دار الثقافة وتجديد نشاط اذاعة تطوان الجهوية.

وكل هذا يبشر بالخير ويحمل على التفاؤل ويجعلنا نتوقع انطلاق حركة ثقافية خصبة نشيطة في هذه الديار.

وبهذه المناسبة السعيدة مناسبة أيام تطوان الثقافية وما اقترن بها من أحداث ثقافية هامة أردت أن أستعيد أمام حضراتكم بعض ذكريات عن الماضي القريب للحركة الثقافية بتطوان لربط الحاضر بالماضي من جهة. ولتقوية الأمل بنجاح الجهود المبذولة في تنشيط الحركة الثقافية. لأننا باستعراضنا لبعض مظاهر النشاط الثقافي الذي عرفته تطوان في ماضيها القريب سندرك أن تطوان تتوفر على تربة صالحة. ومناخ ملائم. وبنية تحتية جيدة يمكن أن تقوم فوقها حركة ثقافية زاهرة بحول الله.

جمعية الطالب المغربية :

وإنه لمن الصدف الجميلة أن تقترن هذه الأيام الثقافية باحياء جمعية الطالب المغربية لذكرى مرور نصف قرن على تأسيسها. ففي ذلك رمز لارتباط الحاضر بالماضي فقد اقترن اسم جمعية الطالب منذ تأسيسها بحركة ثقافية هامة بتطوان. وكان لهذه الجمعية دورها في تنوير الأفكار. ونشر الثقافة. وبث الروح الوطنية وذلك منذ سنة 1932.

المجمع العلمي المغربي :

وقبل تأسيس جمعية الطالب بست عشرة سنة أي في سنة 1916 تأسس المجمع العلمي المغربي الذي كان يضم نخبة من العلماء ودعاة الاصلاح. وأصدر سنة 1917 أول جريدة عربية بتطوان هي جريدة «الاصلاح» التي كان يقوم بتحريرها العلامة السلفى المرحوم السيد الحاج محمد العربي الخطيب. وكان من أعضاء المجمع العلمي العلامة المرحوم السيد الحاج أحمد الرهوني الذي انكب على كتابة تاريخ تطوان ووضع كتابه الجامع «عمدة الراوين في أخبار تطاوين» الذى توجد منه نسخة خطية بالمكتبة العامة والذى نؤمل أن تتاح الفرصة لطبعه ونشره لتعم الاستفادة من هذا المرجع الهام.

مدرسة الصنائع الوطنية :

وكان من أعضاء المجمع العلمي المرحوم السيد الحاج عبد السلام بنونة. وكان له دوره في جريدة الاصلاح. كما كان له دوره بصفته محتسب تطوان والمشرف على الحرف والصناعات في إنشاء مدرسة الصناعات الوطنية للمحافظة على الفنون والصناعات التقليدية التطوانية. هذه المدرسة التي أصبحت من معالم تطوان ومن مفاخرها بما قامت به من دور كبير في احياء الصناعات والفنون المغربية الأصلية.

وقد أسست هذه المدرسة سنة 1916 ومرت بعدة مراحل. وتم بناء بنايتها الحالية الواقعة بباب العقلة سنة 1928. وقد اقترن اسم هذه المدرسة باسم الفنان الاسباني ماريا نوبر توتشي الذى تولى ادارتها من سنة 1930 واستمر على رأس هذه الادارة إلى أن توفي بتطوان سنة

1955. وكان الفنان برتوتشي وهو ابن غرناطة مولعا مفتونا بالفن المغربي والصناعات المغربية بصرف حياته كلها في خدمة الفن المغربي واحياء الصناعات المغربية والمحافظة على طابعها الأصيل. وتلقت المدرسة تحت ادارته درجة عالية من الازدهار. وجمع فيها نخبة الصناع المهرة في الجلد والفضة والنحاس والخشب وتزويق الخشب والزليج والزرابي... الخ. وكانت وظيفة المدرسة أن تحافظ على استمرار الصناعات التقليدية بتعليمها للأجيال الناشئة من الصناع من جهة، وأن تحافظ على نقائها وعلى طبيعتها الأصلية دون تشويه أو تبديل أو تغيير. وقد قام معلمو المدرسة وصناعها بزخرفة بناية المدرسة نفسها حتى جعلوا منها معرضا حيا لروائع الفن التطواني والصناعة التطوانية. كما قاموا بكثير من أعمال الزخرفة في القصر الخليفي بالمشور وفي بناية الإقامة العامة التي أصبحت اليوم مقر القنصلية الاسبانية وخلدوا بذلك روائع الفن التطواني في هذه البنايات. كما شاركت المدرسة بمعروضاتها في كثير من المعارض الدولية حيث كانت معروضاتها دائما موضع الإعجاب.

مدرسة الفنون الجميلـــة :

وإذا كانت تطوان مدينة لبرتوتشي بما بذله من جهود في احياء الصناعات الوطنية والمحافظة عليها، فهي مدينة له كذلك ـ وهو الرسام العبقري الذي أبرز في صوره الرائعة جمال الطبيعة المغربية وصور الحياة المغربية في المدن والقرى بروح الشاعر وعين العاشق وريشة الفنان ـ هي مدينة له بانشاء مدرسة الفنون الجميلة لحقل المواهب المغربية

الناشئة في ميدان الرسم والنحت والزخرفة وتكوين جيل من الفنانين التشكيليين أصبحت لهم مكانتهم المرموقة في ميدان الفن. ويعتبر الأستاذ محمد السرغيني وهو تلميذ برتوتشي أول فنان مغربي في الشمال تخرج من مدرسة عليا للفنون الجميلة هي مدرسة سان فرناندو بمدريد وهو الذي تولى بعد استقلال المغرب مختلف المهمات التي كان يقوم بها برتوتشي مثل ادارة مدرسة الصنائع الوطنية ومدرسة الفنون الجميلة والمتحف المغربي ولا يزال إلى اليوم على رأس ادارة مدرسة الفنون الجميلة بتطوان.

وكانت بتطوان قاعة خاصة للعرض يعرض فيها الفنانون أعمالهم وتشجعهم الادارة بطبع دليل المعرض على نفقتها في حلة فنية جميلة. وبطبع الدعوات وتوزيعها وبشراء بعض اللوحات المعروضة على سبيل التشجيع وبحضور الشخصيات الرسمية في حفلة التدشين. وقد أهملت هذه القاعة مدة طويلة وأرجو أن يحل النزاع القائم حول الجهة التي هي تابعة لها وأن يعاد فتحها أمام الفنانين وأمام الجمهور لتعود لأداء الوظيفة الثقافية التي أعدت من أجلها.

المعهد الموسيقـــي :

وعناية تطوان بالموسيقى الأندلسية معروفة مشهورة. فالأندلسيون المؤسسون لمدينة تطوان الحالية حملوا معهم من الأندلس تراثهم الموسيقي وظلوا محافظين عليه على مر الزمن. ولا يزال اسم محمد بن الحسين الحايك التطواني يذكر كلما ذكرت الموسيقى الأندلسية. وكانت مجالس الولي الصالح سيدى عبد السلام بن ريسون كما كانت الزاوية

الحراقية بمثابة معاهد موسيقية. وفيها تخرج أكابر رجال هذا الفن الذين حافظوا عليه ونشروه. وعندما كان الفنان المرحوم سيدى محمد الموذن محتسبا لتطوان عمل على ادخال الموسيقى الأندلسية في برنامج تعليم المعهد الموسيقى الذي أسسه بعض الاسبانيين في ذلك العهد. والذى كان لا يهتم الا بالموسيقى الأوربية. وتألف سنة 1929 مجلس لرعاية هذا المعهد كان سيدى محمد الموذن أحد أعضائه. وقبل ذلك بعشر سنوات قام العالم الموسيقي الاسباني أنطونيو بوسطلو Bustelo بتكليف من اللجنة العليا للآثار الفنية والتاريخية بجمع ما أمكن جمعه من نوبات وصنائع الموسيقى الأندلسية وكتابتها على (النوتة) يعاونه في ذلك الفنانان محمد الشودرى وعبد السلام الفقاي. وقد أتم هذا العمل سنة 1928 ولكنه لم ينشر مع الأسف ولا تزال أصوله حسبما في علمي محفوظة بالمعهد الموسيقي بتطوان إلى الآن.

وفي سنة 1940 وجه نخبة من رجال الثقافة والفن بتطوان مشروعا إلى المقيم العام يتعلق بانشاء معهد للموسيقى.

وقد وقع هذا المشروع بالنيابة عن جميع هواة الفن السادة الحاج محمد داود والحاج محمد بنونة ومحمد ابن الأبار وعبد السلام الصردو وأحمد العلوى المريبطو وعبد الله الحراق - وقد أسفر ذلك عن انشاء المعهد الموسيقي بتطوان تحت ادارة سيدى أحمد ابن الأمين العلمي. وفتح المعهد أبوابه في دار الحاج محمد الطريس بزنقة القائد أحمد سنة 1942. وكان من أساتذته الفنان مولاى أحمد الوكيلى.

وفي سنة 1956 أسندت ادارة المعهد إلى الفنان الكبير الأستاذ محمد العربي التمسماني الذى لا يزال على رأس ادارة المعهد إلى الآن.

وانتقل المعهد في السنوات الأولى بعد الاستقلال إلى بنايته الحالية بالحي المدرسي. ومنذ تأسس هذا المعهد وهو يتابع أداء رسالته الفنية. وقد أصبح جوق المعهد التطواني على رأس أجواق الموسيقى الأندلسية بالمغرب. وأصبح مديره الأستاذ التمسماني. والأستاذ به السيد عبد الصادق شقارة علمين بارزين من أعلام الموسيقى الأندلسية.

الصحافـــة :

وقد عرفت تطوان في ميدان آخر هو ميدان الصحافة نشاطا كبيرا فظهرت فيها جريدة «الاصلاح» التي أشرت إليها. وأصدر أستاذنا الجليل الحاج محمد داود مجلة «السلام» سنة 1933 وهي أول مجلة ثقافية حرة بالمغرب. وكانت ملتقى أفكار النخبة المغربية المثقفة. وأصدر الأستاذ الطريس جريدة «الحياة» لسان الكتلة الوطنية بشمال المغرب. واللسان العربي للحركة الوطنية في الشمال والجنوب لأن كتلة الجنوب كانت ممنوعة من إصدار جريدة بالعربية. وبذلك كانت «الحياة» في الواقع لسان الوطنية في الشمال والجنوب، ومنبرا للدفاع عن حقوق المغرب، ومدرسة للتوعية والتثقيف.

وأصدر الشيخ المكي الناصرى - أثناء اقامته بتطوان - مجلة «المغرب الجديد» ولكنه لم يضع اسمه على المجلة. وجعلها مجلة علمية لخدمة الثقافة المغربية كما كتب على غلافها. وكان الشيخ المكي الناصرى والأستاذ الطريس وسيدى علال الفاسي وسيدي محمد الحسن الوزاني وغيرهم يكتبون فيها بامضاءات مستعارة.

وأصدر الأستاذ أحمد مدينة مجلة «الأنوار» وجعلها مجلة فنية أدبية كما أصدر الأستاذ الحسن المصمودى مجلة «المعرفة» مجلة أدبية ثقافية. وأصدر الأستاذ محمد الصباغ مجلة «المعتمد» مجلة شعرية بالعربية والاسبانية. وأصدر الأستاذ محمد الطنجي مجلة «الارشاد الديني» مجلة اسلامية ثقافية. وأصدر السيد محمد المراكشي مجلة «الأنيس» مجلة ثقافية فنية. وأصدر الدكتور تقي الدين الهلالي مجلة «لسان الدين» مجلة ثقافية جامعة. وأصدر السيد أحمد بلقات مجلة «النبراس» مجلة ثقافية أدبية.

كما كان يصدر بتطوان عدد كبير من الجرائد كجريدة «الريف» لسيدى التهامي الوزاني. وجريدة «الحرية» للأستاذ الطريس وكان من محرريها الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة الآن - ثم أصدر الأستاذ الطريس جريدة «الأمة» وأصدر الشيخ المكي الناصرى جريدة «الوحدة المغربية».

وهناك جرائد أخرى كثيرة كانت تصدر بتطوان مثل جريدة «الشهاب». و«المغرب الحر» وجريدة «الصباح» و«الأخبار» و«النهار» وغيرها.

وقد اختفت الآن كل هذه الصحف والمجلات - وفي الوقت الحاضر تصدر بتطوان كما تعلمون جريدة «الوحدة الكبرى» للأستاذ على الريسوني وجريدة «صوت الأمة» للأستاذ الحبيب الخراز وجريدة «النور» للأستاذ اسماعيل الخطيب.

وقد نظمت المندوبية الاقليمية لوزارة الأنباء بتطوان سنة 1978 معرضا خاصا بصحافة تطوان هنا في هذه المكتبة العامة.

وصدرت عن نيابة الثقافة بتطوان سنة 1953 مجلة «تمودة» وهي مجلة متخصصة في الأبحاث المغربية كانت تصدر بالاسبانية مع ملخص

للأبحاث بالعربية وكان في مجلس تحريرها من المغاربة الاستاذان سيدى عبد الله كنون والسيد محمد ابن تاويت كما كنت أنا أيضا أحد أعضاء هذا المجلس. وكان لهذه المجلة ملحق أدبي يسمى «كتامة» باللغتين العربية والاسبانية وكان من المشرفين عليه الأستاذ محمد الصباغ - وقد أدمجت مجلة «تمودة» بعد الاستقلال في مجلة «هسبريس» التي كان يصدرها معهد الدراسات المغربية بالرباط وأصبح الاسم الجديد للمجلتين المدمجتين «هسبريس تمودة».

وعندما صدرت مجلة «تمودة» بالاسبانية. سنة 1953 فكر بعض العاملين في الحقل الثقافي بتطوان من الباحثين المغاربة في اصدار مجلة شبيهة بها تهتم بالدراسات المغربية والأندلسية وتصدر باللغة العربية. ولكن هذه الأمنية لم تتحقق إلا بعد الاستقلال. إذ تبنت وزارة التربية الوطنية إذ ذاك مشروع انشاء مجلة «تطوان» للأبحاث المغربية الأندلسية وتكونت هيئة تحريرها من وزير التربية الوطنية الأستاذ محمد الفاسي رئيسا ومن محمد عزيمان نائب الوزارة في شمال المغرب إذ ذاك نائبا للرئيس ومن الأستاذ محمد ابن تاويت مدير معهد مولاى الحسن سكرتيرا ومن الأستاذ عبد اللطيف الخطيب خليفة للسكرتير وقائما بأعمال الترجمة. ومن الأعضاء الأساتذة عبد الله كنون ومحمد المنوني وابراهيم الكتاني والتهامي الوزاني وعبد الرحيم جبور وماريانو أريباس. وصدر العدد الأول من مجلة تطوان سنة 1956. ومنذ العدد الثالث الصادر سنة 1958 أصبحت مجلة تطوان تابعة لكلية الآداب بالرباط - وكانت كل من مجلتى (تمودة) و(تطوان) تصدران بيليوغرافية سنوية بالاسبانية بالنسبة لتمودة وبالعربية بالنسبة لتطوان لاعطاء معلومات عن كل ما

ينشر أثناء العام من كتب وأبحاث تتعلق بموضوع المجلتين. وكان المشرف على اعداد البيبليوغرافية العربية هو الأستاذ محمد الصباغ.

البحث العلمـــي :

وفي ميدان البحث العلمي والتاريخي عرفت تطوان نشاطا مهما تجلى في الأعمال التي قام بها معهد مولاى الحسن للأبحاث المغربية ومعهد فرنكو للدراسات الاسبانية العربية والمكتبة العامة بتطوان ومصلحة الآثار ومفتشية الفنون الجميلة وغيرها من المؤسسات.

وبالقاء نظرة على الأعمال التي قامت بها كل مؤسسة من هذه المؤسسات يمكن أن تتكون لدينا صورة عامة عن النشاط الذى عرفته تطوان في ميدان البحث والدراسات التاريخية والتنقيب عن الآثار وفي ميدان التأليف والترجمة والنشر.

معهد مولاى الحســـن :

وقد أنشيء معهد مولاى الحسن سنة 1937 تحت اسم المعهد الخليفي مولاى الحسن للأبحاث المغربية وأسندت ادارته إلى الشيخ المكي الناصرى الذى استمر على رأس ادارته إلى سنة 1948. ثم أسندت ادارته إلى الأستاذ سيدى عبد الله كنون. وعندما عين الأستاذ كنون عاملا على طنجة بعد الاستقلال أسندت ادارة المعهد إلى الأستاذ محمد ابن تاويت.

وقام المعهد بنشر عدد من المؤلفات الهامة مثل : (أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض) للمقرى - وترجمة كتاب (الحضارة العربية

الاسلامية في القرن الرابع الهجرى) تأليف المستشرق آدم متز وترجمة كتاب (تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين) تأليف يوسف اشياخ وترجمة الدكتور عبد الله عنان ـ ونشر المعهد كتاب (دليل مؤرخ المغرب) للعلامة المرحوم عبد السلام بن سودة. كما نشر كتاب (لباب المحصل في أصول الدين) لابن خلدون. وكتاب (العلوم والأدب والفنون في عهد الموحدين) للأستاذ محمد المنوني.

ونشر المعهد للأستاذ عبد الله كنون : (رسائل سعدية) و(تحقيق ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث). وقام المعهد بنشر سلسلة «ذكريات مشاهير رجال المغرب» لسيدى عبد الله كنون. ونشر المعهد كذلك كتاب (الفلاحة لابن بصال) بتحقيق الدكتور مياس ومحمد عزيمان.

جائزة مولاي الحسن :

وكان من اختصاص المعهد تنظيم جائزة مولاى الحسن لتشجيع الأبحاث العلمية والتاريخية ـ ويلاحظ أنه نص على تنظيم هذه الجائزة في ظهير تأسيس المعهد سنة 1937 وقد أعلن عن هذه الجائزة لأول مرة سنة 1948 وهي جائزة مفتوحة أمام الباحثين في العالم العربي كله. وتقرر أن تنظم كل سنة. وأن يعلن في كل سنة عن الموضوعات المعروضة على الباحثين ـ وقد فاز بجائزة سنة 1948 الفقيه السيد محمد التطواني من سلا عن كتابه (لسان الدين بن الخطيب من خلال كتبه) والأستاذ عبد العزيز بن عبد الله عن كتابه (الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب) وقام المعهد بطبع الكتابين.

وفاز بجائزة سنة 1950 الأستاذ المصرى عبد العزيز عبد المجيد عن كتابه (ابن الأبار حياته وكتبه) وقد طبعه المعهد أيضا.

وفاز بجائزة سنة 1952 الأستاذ المصرى محمد عبد الرحيم غنيمة عن كتابه (تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى) وطبعه المعهد كذلك وفاز بجائزة سنة 1953 الأستاذ الحاج محمد داود عن كتابه (مختصر تاريخ تطوان) الذى طبعه المعهد أيضا وزيادة على نشاط المعهد في ميدان النشر وتشجيع البحث فقد قام بتكوين مكتبة مختصة في الموضوعات الاسلامية والمغربية باللغة العربية واللغات الأجنبية وصور بعض المخطوطات الموجودة في مكتبة الاسكوريال. كما صور عددا من الوثائق التاريخية الموجودة في دور الوثائق باسبانيا. ووضع ذلك كله تحت تصرف الدارسين والباحثين - ومن المؤسف ماآل اليه معهد مولاى الحسن في الوقت الحاضر. فقد اختفى من الساحة الثقافية ولم يبق منه إلا مكتبته القديمة في شقة مؤجرة يكاد يجهل وجودها جمهور المثقفين.

معهد فرنكــــو :

ونشر معهد فرنكو للدراسات الاسبانية العربية عدة مؤلفات حول موضوعات مغربية وأندلسية بالعربية والاسبانية مثل (كتاب الكليات) لابن رشد ورحلة الوزير الغسال المعروفة ب (نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد). ونشر كذلك رحلة الوزير الغساني المعروفة ب (رحلة الوزير في افتكاك الأسير). ونشر (تحفة القادم) لابن الأبار. ونشر (نبذة العصر في أخبار بني نصر). كما نشر كتاب (الأبحاث السامية في المحاكم الاسلامية) للفقيه المرير.

وكما كان معهد مولاى الحسن ينظم جائزة مولاى الحسن فقد كان معهد فرنكو ينظم جائزة فرنكو للأبحاث المغربية باللغة الاسبانية.

وكانت الفكرة في جائزة فرنكو أن تكون وسيلة لاعداد تاريخ كامل للمغرب في جميع عصوره؛ فكان موضوع الجائزة في سنة 1949 متعلقا بمغرب ما قبل التاريخ وقد فاز بها أستاذان من جامعة برشلونة لويس بيركوت Luis Pericot ومرتين الماكرو Martin Almagro . ونشر البحث الفائز ضمن منشورات معهد فرنكو.

وفي نطاق هذه السلسلة نشر المعهد كتاب الدكتور خوان فرنيط Vernet من جامعة برشلونة عن فترة الفتح وانتشار الإسلام. وكتاب الدكتور خثنطو بوش Jacinto Bosch . الأستاذ بجامعة سرقسطة عن عهد المرابطين وكتاب الدكتور Ambrosio Huici Miranda عن الامبراطوية الموحدية . ولم يتحقق مع الأسف المشروع كاملا باعداد تاريخ جامع للمغرب في جميع العصور.

جائزة المغرب للشعر والنثر :

وعلى ذكر جائزة مولاي الحسن وجائزة فرنكو لا يفوتني أن أشير إلى جائزة أخرى كانت تنظم بتطوان هي جائزة المغرب «للشعر والنثر بالعربية» وجائزة «مرويكوس» للشعر والنثر بالإسبانية.

وقد أنشئت هذه الجائزة سنة 1953 وفاز بجائزة الشعر في نفس السنة الأستاذ إبراهيم الالغي وبجائزة النثر الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي. كما فاز بهذه الجائزة في سنوات تالية الأستاذة آمنة اللوه والأستاذ محمد الطنجاوي . وقد نشرت جميع هذه الأعمال الفائزة.

المكتبة العامة بتطوان :

ومن المؤسسات التي كان لها دور كبير في النشاط الثقافي بتطوان هذه المكتبة العامة التي نجتمع اليوم في رحابها.

كانت توجد بتطوان قبل الحماية خزانة الجامع الكبير التي كانت تضم مجموعة من الكتب بينها بعض المخطوطات النادرة. وكان بعض تلك الكتب مهدى من سلاطين المغرب كوقف على الخزانة لينتفع بها طلاب العلم. وبعضها مما كان أهل الفضل يحسبونه من الكتب على خزانات العلم بالمساجد والزوايا.

وكتب خزانة الجامع الكبير توجد الآن بالمقر القديم للمعهد الديني العالي بحومة الملاح البالي بعد أن ضمت إليها مجموعة من الكتب التي اقتناها المعهد الديني العالي. وبعضها اقتناها الأستاذ الطريس من مصر عندما كان مديرا للأحباس سنة 1935 وقدمها للمعهد الديني أما المكتبة العامة الحالية فقد أخذت نواتها تتكون مع بداية الحماية من الكتب التي اجتمعت في دار الاقامة العامة الاسبانية مما اقتنى ليكون مرجعها في الموضوعات التي كانت تهم سلطات الحماية في ذلك الوقت. ومما أهدى من طرف الخواص إلى المقيم العام - ولما كبر حجم هذه المجموعة نقلت سنة 1929 إلى معهد الدروس المغربية في الطابق الأرضي من البناية الواقعة بساحة الحسن الثاني. حيث توجد الآن مفتشية الضرائب واعتبرت تابعة لمعهد الدروس المغربية - وأخذت هذه المكتبة تنمو ببطء إلى سنة 1939 وهي السنة التي تولى فيها الاشراف عليها السنيور كواسطابينو Guastavino الذي ارتبط تنظيم المكتبة ونموها باسمه من ذلك التاريخ إلى أن غادر المغرب بعد

الاستقلال ليتولى فيما بعد إدارة المكتبة العامة بالعاصمة الإسبانية ـ وخلفه في إدارة المكتبة العامة بتطوان المرحوم الأستاذ أحمد المكناسي الذي عمل سنين طويلة مع كواسطابينو كمدير للقسم العربي بالمكتبة وبعد وفاة الأستاذ المكناسي سنة 1965 أسندت إدارة المكتبة إلى الأستاذ المهدي الدليرو إلى أن انتقل إلى منصبه الجديد في مكتب تنسيق التعريب بالرباط فأسندت إدارة المكتبة إلى مديرها الحالي الأستاذ عبد الغفور الناصر.

كان مجموع رصيد المكتبة العامة سنة 1939 لا يتعدى 4500 كتاب. ولكن المكتبة أخذت تنمو بإطراد. وأصبحت لها شخصيتها المستقلة عن معهد الدروس المغربية. وميزانيتها الخاصة التي تستطيع بها تنمية رصيدها ـ وقد امتاز القسم الأوربي في مكتبة تطوان بأهمية رصيده. المتعلق بالموضوعات الإسلامية والمغربية بمختلف اللغات الأوربية ـ أما القسم العربي فقد تكون في بداية الأمر من بعض الكتب المهداة من الخواص. ومن اقتناء المكتبات الخاصة التي خلفها بعض العلماء مثل مكتبة الفقيه ابن الصديق ومكتبة الفقيه سيدي أحمد الزواق ومكتبة الفقيه سيدي الحسن العلمي قاضي شفشاون وغيرها من المكتبات الخاصة ثم أخذ هذا القسم ينمو بالشراء والاقتناء وعن طريق التبادل.

وعند استقلال المغرب كان القسم العربي يتوفر على نحو 7000 كتاب منها 950 مخطوط. أما القسم الأوربي فكان يضم نحو 18.000 كتاب ـ وفي الوقت الحاضر تضم المكتبة أكثر من 60.000 كتاب منها في القسم العربي نحو 26.000 (منها 2.400 مخطوط) وفي القسم الأوربي نحو 34.000.

وفي سنة 1945 انتقلت المكتبة العامة إلى البناية التي أعدت لها خصيصا داخل بناية نيابة التعليم واستمرت في مقرها هنا إلى حوالي سنة 1960 إلى أن اقتنت الدولة هذه البناية الحالية من أجل المكتبة وانتقلت إليها منذ نحو عشرين سنة.

وتشتمل المكتبة العامة على الأقسام الآتية :

قسم الكتب بفرعيه العربي والأوربي. وقسم الوثائق التاريخية. وقسم الصحف والدوريات. وقسم الصور الفتوغرافية. وقسم الخرائط.

ولقسم الوثائق التاريخية الذي يضم أكثر من 22.000 وثيقة أهمية خاصة لأنه يضم وثائق النائب السلطاني الحاج محمد الطريس (نحو 15.000 وثيقة) التي اهتم بها الباحثون والمؤرخون. وقد وضع الأستاذ المكناسي والأستاذ مصطفى الكوش فهرسا لمراسلات السلطان مولاي الحسن الأول مع الطريس. كما وضع الأستاذ المهدي الدليرو والأستاذ محمد الغازي الرويفي فهرسا لوثائق في عصر السلطان مولاي الحسن.

أما قسم الصحف فيضم مجموعات وأعدادا من الصحف بالإسبانية والعربية يرجع تاريخ أقدمها إلى سنة 1822. ومن أهم مجموعات هذاالقسم مجموعة رويث أورساتي Ruiz Orsatti المشتملة على مقتطعات من الصحف الإسبانية في الموضوعات المغربية الصادرة بين سنة 1900 وسنة 1940 وتشتمل على 165 جزء في كل جزء 300 صفحة. وقد وضعت لهذه المجموعات فهارس حسب السنوات وحسب الموضوعات. وكان من العاملين الأوائل بهذا القسم الأستاذ محمد الصباغ والأستاذ محمد بن عزوز حكيم.

وأما قسم الصور فمهمته أن يجمع ويحافظ على الصور الفتوغرافية المتعلقة بالمغرب من النواحي التاريخية والحضارية. وشرائها من أصحاب المجموعات الخاصة. وكان المصورون المحترفون ملزمين بأن يقدموا إلى هذا القسم نسخة من كل صورة يلتقطونها في المناسبات والأحداث العامة ويؤدي لهم ثمنها. وقد نظمت هذه الصور التي تجاوز مجموعها 36.000 صورة ووضعت لها الفهارس التي تسهل على الباحثين العثور على الصورة التي يريدونها في أقرب وقت.

وبالمكتبة قسم للخرائط التاريخية يضم مجموعة هامة من الخرائط القديمة المتعلقة بالمغرب.

بالمكتبة قسم لتوزيع المطبوعات وتبادلها توضع تحت تصرفه المطبوعات التي تصدر عن المؤسسات الثقافية ومعاهد البحث في تطوان وهو الذي يتولى توزيعها على المراكز العلمية والثقافية في الداخل والخارج ويتبادل بها مع الجامعات ومراكز البحث والهيآت العلمية في الخارج مطبوعاتها ومنشوراتها ليمكن بهذه الطريقة إغناء المكتبة العامة بالكتب والدوريات التي تصدر في مراكز البحث في الشرق والغرب.

وقد عمل الأستاذ السيد محمد العربي الخطابي - إذا لم تخنى الذاكرة - فترة من الزمن في هذا القسم كما أشرف على قسم النشاط الثقافي في نيابة وزارة التعليم بتطوان فترة أخرى بعد الاستقلال.

عيد الكتاب :

وحديث الكتب والمكتبات يثير في النفس ذكرى عادة جميلة عرفتها تطوان منذ سنة 1940 وهي عادة إقامة عيد سنوي للكتاب تقام فيه سوق للكتاب تكون بمثابة معرض يعرض فيه أصحاب المكتبات

التجارية بضاعتهم وتباع في ذلك اليوم بأثمان مخفضة. كما تقام في ذلك اليوم معارض لنفائس المخطوطات أو للكتب المتعلقة بموضوع معين أو للصحف والمجلات أو للوثائق التاريخية. ويكون يوم عيد ثقافي تلقى فيه الأحاديث والمحاضرات الثقافية بحضور الشخصيات الرسمية ورجال العلم والأدب ويشارك فيها الأساتذة والطلبة.

وحبذا لو وقع احياء هذا العيد على الصعيد الوطني لما له من مغزى ثقافي وحضاري كبير.

معرض الزهور :

وكما اختفى عيد الكتاب بمغزاه الثقافي والحضاري فقد فقدت عادة أخرى جميلة من العادات التي عرفتها تطوان منذ سنة 1941 وهي عادة إقامة معرض للزهور يعرض فيه هواة الزهور وكذلك المؤسسات العامة التي تتوفر فيها الحدائق كما يعرض باعة الزهور المحترفون أجمل ما عندهم من أنواع الزهور ونباتات الزينة.

وكان المشاركون يتوافدون على هذا المعرض من مختلف نواحي الشمال من المدن والقرى ويتنافسون في الحصول على الجوائز التي تمنح في هذا المعرض الجميل.

الآثـــــــار :

وننتقل إلى مظهر آخر من مظاهر النشاط الثقافي الذي عرفته تطوان لنتكلم على الجهود التي بذلت في ميدان التنقيب عن الآثار والمحافظة على المعالم الأثرية وصيانة التراث الحضاري للبلاد.

ومن الوثائق الطريفة في هذا الباب ظهير خليفي مؤرخ في 15 رمضان عام 1331 هـ موافق 18 غشت 1913م منشور في العدد رقم 13

من الجريدة الرسمية للمنطقة جاء فيه : ـ وأنا أترجم عن النص الإسباني إذ ليس بين يدي النص العربي.

خدامنا الأرضين الباشوات والقواد في هذه المنطقة.

يعلم من ظهيرنا هذا اننا لما لنا من الاعتناء الخاص بكل ما خلفه أسلافنا من آثار تدل على عظمتهم وتمسكهم بالدين وحبهم للعلوم والفنون. ولحرصنا على المحافظة على تلك الآثار لتكون عبرة للمعتبر ومثلا يحتذ به الخلف عن السلف فقد قررنا ما ياتي :

المادة الأولى : توضع تحت رعاية المخزن لصيانتها والمحافظة عليها :

الآثار القديمة السابقة للإسلام. وقصور أسلافنا المنعمين. والمآثر الدينية الإسلامية من المساجد والأضرحة والمدارس وخرائب المدن القديمة والأبراج والأسوار. وبصفة عامة كل بناية لها صفة تاريخية أو فنية كيفما كانت الحالة التي توجد عليها الآن.

وكل هذه البنايات سواء كانت ملكا للمخزن أو للأحباس يمنع تفويتها حتى يصدر قرار بتصنيفها ـ أما الأملاك الخاصة فإن مالكيها لا يمنعون من التصرف فيها بالبيع والكراء على شرط ألا تستعمل فيما يضر بالمحافظة عليها. كما يمنع القيام بأي أشغال فيها تعرضها للخطر أو تغير صورتها الأصلية ـ ويمنع مالكو البنايات المجاورة لها من القيام بأي أشغال في أملاكهم تعرض البنايات التاريخية للخطر أو تعرض صورتها الأصلية للتشويه.

المادة الثانية : يستطيع المخزن أن يقوم على نفقته بعد اعلام المالك بالإصلاحات التي تتطلبها صيانة الملك الخاص الذي له صبغة

أثرية. وإذا سبب القيام بتلك الأعمال أي ضرر للمالك فإنه يكون له الحق في تعويض يقدر قيمته الخبراء.

المادة الثالثة : توضع كذلك تحت رعاية المخزن كل قطعة فنية أو أثرية مثل التماثيل والأعمدة وقطع القيشاني والكتابات التاريخية ـ وبصفة عامة كل ماله صبغة فنية أو قيمة تاريخية ويمنع اتلاف ذلك ونقله من مكانه وبيعه للخارج إلا بإذن خاص.

ونأمر خدامنا رجال السلطة بالسهر على تنفيذ ذلك والسلام».

كان هذا الظهير هو اللبنة الأولى لحركة التنقيب عن الآثار وصيانتها والمحافظة عليها.

وفي سنة 1919 تكونت اللجنة العليا للآثار الفنية والتاريخية تحت رئاسة الوزير الصدر. وأنشئت لها فروع في الأقاليم والمجالس المحلية. وكان من أعضائها الفقيه الحاج أحمد الرهوني وزير العدلية والفقيه سيدي محمد الزواق الكاتب الأول بالصدارة والحاج عبد السلام بنونة محتسب تطوان وغيرهم زيادة على الفنيين الإسبانيين وعلى رأسهم برتوتشي. وجعلت مهمتها تنفيذ مقتضيات الظهير المشار إليه سابقا. وكلفت بأن تحصى وتصنف المآثر التاريخية والفنية. كل لجنة فرعية في دائرتها وان تصورها تصويرا فتوغرافيا. وأن تجعل كل لجنة فرعية من القطع الفنية والأثرية التي تجمعها ومن الكتابات والنقود القديمة التي تعثر عليها. ومن الصور الفتوغرافية للمعالم والآثار ـ أن تجعل من كل ذلك نواة لمتحف محلى يقام في البلدية. ويوضع دليل بجميع محتويات ذلك المتحف المحلي يقدم إلى اللجنة العليا المركزية لتضع الدليل الأثري العام. كما جعل من مهمة اللجنة العليا واللجان المحلية أن تحافظ على

الطابع الأصيل للمدن المغربية العتيقة وأن تمنع القيام بكل ما يشوه أصالتها وجمالها .

وتحت رعاية هذه اللجنة العليا للآثار ابتدأت أعمال الحفريات في تمودة سنة 1921. هذه الحفريات التي أثبتت أن مدينة تطوان عريقة في القدم ترجع إلى حوالي القرن الرابع قبل الميلاد. وأن تطوان القديمة أو تمودة كانت على مسافة 5 كيلومترات من تطوان الحالية على بداية الطريق الحالية المؤدية إلى شفشاون في موقع خصب وعلى شاطىء نهر مرتين الذي كان صالحا للملاحة. وكانت تمودة مدينة بحرية تتصل بالعالم الخارجي عن طريق البحر من شاطىء مرتين. كما كانت في ملتقى الطرق المؤدية إلى بلاد الريف وشواطىء البحر الأبيض. كما كانت تتصل عن طريق واد رأس بسواحل المحيط الأطلسي. وكانت مدينة مغربية خالصة محافظة على صبغتها المغربية المتأثرة بالحضارة القرطاجنية إلى أن أحرقها الرومان بصمودها في وجه الغزو الروماني سنة 40 بعد الميلاد. وأقاموا فوق انقاض جزء منها حصنا رومانيا استمر إلى سقوط الامبراطورية الرومانية.

وقد استمر أعمال الحفريات في تمودة منذ سنة 1921 وعثر فيها على مجموعة مهمة من الآثار والنقود والأدوات المنزلية كانت مع الآثار الأخرى التي جمعت من حفريات لكسوس في العرائش ومن الحفريات الأخرى في أماكن مختلفة من هذه الأقاليم الشمالية نواة المتحف الأثري الحالي بشارع محمد بن حسين الذي دشن سنة 1940. ويعد من أهم المتاحف المغربية بما يحتويه من الآثار الهامة عن تاريخ هذه الأقاليم الشمالية قبل الإسلام وتحت رعاية اللجنة العليا للآثار الفنية والتاريخية

أيضا. وتنفيذا للمهمة التي طوقت بها من جمع القطع الفنية والتاريخية والحضارية التي تمثل الحياة المغربية والحضارة المغربية. وبفضل النشاط الذي قام به برتوتشي أيضا عضو هذه اللجنة ومفتش الفنون الجميلة في هذا الميدان أمكن جمع مجموعة من القطع الصالحة لتكوين نواة لمتحف يمثل الحياة المغربية والتطوانية خاصة في عاداتها وصناعاتها وأسلوب حياتها. ففتح متحف مؤقت في دار بنونة بزنقة المقدم سمي في ذلك الحين «بالمنزل المغربي» إذ كان صورة لمنزل مغربي تقليدي بأسلوب بنائه وأثاثه ومعروضاته. ثم نقل هذا المتحف بعد ذلك إلى لصقالة بباب العقلة حيث يوجد الآن بعد أن تنامت مقتنياته وأصبح يضم مجموعة هامة من الملابس التقليدية والأدوات المنزلية القديمة والزرابي والأثاث والآلات الموسيقية والسروج والمصابيح... إلخ.

سادتي الأفاضل :

هذه ذكريات عن بعض مظاهر نشاط الحركة الثقافية في تطوان في الفترة التي عايشت فيها هذه الحركة - وقد قصرت كلمتي هذه تقريبا على النشاط الذي قامت به المؤسسات التابعة لوزارة الشؤون الثقافية مؤملا أن تبذل هذه الوزارة مزيدا من العناية والاهتمام بهذه المؤسسات وتمدها بوسائل العمل اللازمة. لتقوية نشاطها حتى تقوم بدورها الكامل في خدمة الحركة الثقافية. ولم أتعرض لتفاصيل النشاط الثقافي الذي قامت به الهيآت الوطنية والمؤسسات الثقافية الحرة والجمعيات الأدبية وأفراد العلماء والباحثين لأن ذلك موضوع واسع

يتطلب حديثا خاصا ولم أتعرض كذلك للنشاط الذي عرفته تطوان في ميدان التعليم لأننا بصدد الحديث عن الثقافة.

ومن هذا العرض السريع يتجلى أن لتطوان رصيدها في الميدان الثقافي وأنها تتوفر على مؤسسات ثقافية هامة. وان لدى سكانها تعلقا طبيعيا بالعلم والثقافة والفن.

وإذا استطاعت تطوان في ظروف لم يكن فيها أمرنا بأيدينا. ولم نكن نتوفر فيه على ما نتوفر عليه اليوم من خريجي الجامعات ومن رجال العلم والأدب والفن - إذا استطاعت تطوان في ذلك الماضي القريب أن تضم ذلك النشاط الثقافي الذي استعرضنا بعض مظاهره - فيجب أن تكون اليوم وقد قطعت بلادنا ما قطعته من مراحل التقدم. وأصبحت تطوان مدينة جامعية تضم نخبة كريمة من رجال العلم والأدب. وتضم طليعة من الشباب في التعليم الثانوي والجامعي متلهفة للعلم والثقافة والإطلاع. وتضم عددا من الجمعيات الأدبية والثقافية - يجب أن تكون تطوان اليوم أكثر قدرة على أن تنطلق انطلاقة ثقافية جديدة لتسترد نشاطها الفكري وتحافظ على مكانتها الثقافية وتسهم بنصيبها في بناء صرح الثقافة المغربية - وأرجو الله تعالى أن تكون هذه الأيام الثقافية بداية لهذه الانطلاقة المباركة. وفاتحة عهد جديد زاهر في تاريخ الحركة الثقافية بتطوان والسلام عليكم ورحمة الله.

تطـوان　　　　محمد عزيمان

أبو نواس و رينوار يرسمان المستحمات وابنُ الرّومي يذرفُ دمعَ المشيب

مصطفى القصري

لو أنك قرأت شعرا لأبي نواس في متجردة تستحم لا يزيد على ستة أبيات. ولم تكن تعرف من هو قائل هذا الشعر لحسبت في الحين أنه شاعر عصري شغوف بفن الرسام أوغست رينوار. وأنه بذلك الشعر إنما أراد أن يمجد عبقرية الفنان الانطباعي الفرنسي الشهير في رسم متجرداته المستحمات. فإذا تبين لك في النهاية بأن قائل ذلك الشعر هو الحسن بن هاني. الذي اشتهر في تاريخ الأدب العربي بأبي نواس والذي رسم لوحة لمتجردة تستحم في القرن التاسع الميلادي أي قبل أزيد من ألف سنة من وجود رينوار بدأت تشك هل اطلع الرسام الفرنسي العالمي الشهرة على الأبيات الستة المذكورة وبدأ يرسم لوحاته مستلهما منها نماذجه.

أرجو من القارئ ألا يلقي نظرة على آخر هذا المقال وألا يشرع في قراءة الأبيات ليتعجل الاستمتاع بها حتى يطلع على بعض

المعلومات عن فن رينوار وطرق رسمه للألواح التي تساوي اليوم في السوق العالمية أكثر من مليوني دولار للوحة الواحدة. فقد تكون متعة مضاعفة إذا هو صبر حتى يأتي على قراءة السطور التالية.

وقف رينوار ضد المدرسة الأكاديمية وانتصر للطبيعة في بداية عهده بفنه. وهو مختص في رسم المتجردات المستحمات. ولقد مهر في تزويج اللون الأسود بالرمادي والأبيض وتوأمة هذه الألوان وملاءمتها في ألواحه في حركة شبه موسيقية كلوحة «شرفة المسرح» التي توجد اليوم بمتحف بلندن.

وتعتبر هذه اللوحة كأعظم إشادة بجمال الأنوثة ، تظهر فيها المرأة في مقدم اللوحة بينما رفيقها مرسوم بصفة مبهمة مؤخرا عنها لا يظهر بوضوح كظهورها هي. وتظهر مهارة رينوار في تناول لون السواد بتقنية خارقة. هذا اللون الذي كان يقول عنه أنه ملك الألوان حيث يعارض في الرسم بينه وبين بياض الصدرة وبشرة المرأة التي تكاد لا تلمسها من كثرة رقتها وشفافيتها. وتبرز هذه التقنية في لوحته «مرقص طاحونة لاجاليت» الموجودة في متحف الانطباعية بباريس و «الأرجوحة» و «فطور أصحاب الزوارق» التي توجد في واشنطن.

يقول النقاد عن هذه اللوحات بأنها أعياد للنور واللمعان. وبأن هذه التقنية تتلخص في الحصول على فعل حركة النور على الوجوه والملابس معا للتعبير عن «الأضواء والظلال التي تبعثها الشمس من خلال الأغصان». وتذكرني الملاحظة هذه بأبيات من شعر أخر قالها المتنبي في وصف شعب بوّان ملاحظا حركة الشمس من خلال أغصان الشعب على أعراف الخيل التي كانت تحمله إلى عضد الدولة البويهي :

غدونـا تنفـض الأغصـان فيها على أعرافهـا مثـل الجمـــان
فصرت وقد حجبن الشمس عني وجئن من الضياء بما كفانيـي
وألقى الشرق منها في ثيابـي دنانيـرا تفـر مـن البنــــان

يا ترى ما كان يكون رد فعل رينوار والنقاد لو قرأوا هذه الأبيات ؟ قال رينوار عن فنه : «ينبغي أن تكون اللوحة قبل كل شيء محببة للنفوس تكتسي الحسن ويشع منها الفرح. فيكفي ما في الدنيا من إزعاج وقلق حتى نزيدها نحن بدورنا إزعاجا آخر وقلقا» وكان يقول عن نفسه : « إنني أتعارك مع صور أشخاصي إلى أن تصبح هي والمنظر طرفا واحدا» وكا يقول كذلك : « إنني أرتب موضوعي كما أشتهي. ثم أشرع في تصويره كما يفعل الطفل الصغير. فليس لي قواعد ولا طرق عمل معينة. إنني أشاهد جسما متجردا فأنظر ملايين اللوينات تترفرف متفارقة. فأبحث منها عن التي تجعل بشرة المرأة تحيا وترتج وتتموج على لوحتي فأختارها لها».

والآن أنا وأنت أيها القارئ. تعال معي نستمتع لحظة بأبيات أبي نواس بعد أن عرفنا طريقة رينوار في أعماله الفنية لترى كيف أن الأرواح جنود مجندة ولو فرقت بينها الحقب والقرون والمسافات والأبعاد.

اقرأ شعرا كأنما رينوار هو الذي كتبه لتشاهد من خلاله لوحة فنية كأنما أمسك أبو نواس ريشة رينوار لتصويرها.

نضـت عنهـا الثياب لصب ماء فورد وجههـا فرط الحيـــاء
وقابلت الهـواء وقد تعـــرت بمعتـــدل أرق مـــن الهـــواء
ومـدت راحـة للمـاء منهـــا الى مـاء معـد فـي إنـــاء

فلما أن قضت وطـرا وهمـت على عجل الى أخذ الـرداء
رأت شخص الرقيب دلى التداني فأسبلت الظـلام دلى الضيـاء
فغـاب الصبح منها تحت ليـل وظـل الماء يقطـر فوق مـاء

أما ابن الرومي فإنه أمسك بدوره ريشته ليرسم لوعته وليبكي جارية حسناء ليس بالدموع ولا بالدماء. بل بمعان أخرى أشد احتراقا من مرارة الدمع وفوران الدم. وأكثر لوعة: وإن كانت الدمعة في حد ذاتها تعبيرا صادقا عن الحب الخالص والوفاء الصادق.

فقد يكون الضحك سخيفا. ولن تجد الدمعة سخيفة أبدا. دمعة على خد ممثلة حسناء في مشهد مؤثر من فلم حزين قد تبكي لها عشرات الملايين من المشاهدين عبر العالم. ولربما يبكي لها العالم كله عند مشاهدة متلفز من نوع «دالاس» أو «الجذور» تنزل دمعة على لحية رجل شريف يذرفها على فقد ولد أو صديق قد يكون لها من الجلال والإكبار والإعظام. أرفع مكان في نفوس الناس مهما كانت قساوة القلوب. انظر إلى وجه عظيم من العظماء وتخيله يذرف دمعة من جفنه فماذا تساوي عظمته وما معنى لسلطانه وجاهه أمام تلك القطرة الصغيرة التي تتكون في جفنه سخينة ثم تنحدر إلى خده كعصارة من قلبه المنفطر.

وقد لا يبكي الإنسان دموعا من عينيه. ولكنك تشعر بتلك الدموع المختفية حشمة أو وقارا أو صمودا وتجلدا تنحدر في صدره إلى قلبه لتحفر فيه حفرا وتخدده أخاديد كما يفعل الماء في الحجر الصلد.

وقد تنفذ المعاني التي يمكن للبحر أن يلهمها للمتأمل في عظمته. ولا تنفذ معاني قطرة من الدمع في نفس متدبر في عظمتها غائص في آفاق بحارها لما تمليه عليه من عبر وتسطر من حكم وآيات.

وقد يغمس شاعر رقيق قلمه في مداد الدمع ليسطر من لواعج قلبه ما يعجز مداد المحابر على تحبيره ولو كان هذا الحبر مثل البحر أو أكثر من البحر مددا.

كان الرومان عند وفاة عزيز عليهم يذرفون دموعهم عليه ويجمعونها في قارورة مستطيلة صغيرة كقرط مستطيل مقعر. ويضعونها في قبر الميت ترحما عليه وتعبيرا عن محبتهم له وهول مصابهم لفقدانه.

والإنسان يبكي دمعا. وقد يبكي دما في صورة مجازية تستعار ليعبر بها عن فرط المصيبة التي أصابته وهول الأسى وعمق الشجن الذي ابتلى به. ولكنني لم أكن أعلم أن المرء قد يبكي غير هذا وغير ذاك. حتى طالعت قصيدة من أجمل مرثيات الشاعر ابن الرومي. وهي في نظري أجمل وأصدق قصيدة قالها في حياته. فهي تنساب عذوبة ورقة وصدق تعبير. كساها صاحبها حلة لن تبلى على مر السنين والأيام. وهي وإن كانت في هذا المستوى من الحسن تكاد تكون مجهولة في أوساط القراء لقلة تناول الناس شعر هذا الشاعر اللهم إلا ما جاء على لسانه من هجاء. فهي في ديوان الشاعر يتيمة الدهر في الدهر. وهي في رثاء «بستان» المغنية التي لا نعرف عنها للأسف الشديد سوى أنها كانت جارية لأم علي بنت الراسبي الذي كان عظيم الثروة وجيها عند خلفاء بني العباس.

وحتى لو كنا لا نعرف عن بستان إلا هذا لكفتنا معرفة بها تلك القصيدة التي وصفها بها ابن الرومي وخلدها فيها لسعادة جميع الأدباء الذين قد لا يعرفونها. والذين إذا تحملوا مشقة البحث عنها وعثروا عليها فسيجدون كنزا من أعظم كنوز الأدب العربي ثراء وجمالا.

فبعد أن يتعجب ابن الرومي من فعل الدهر في كل زين له يزدان به. هذا الدهر المولع في تصرفه وفي الاعتداء على نفسه يسلبها حلتها ويبقى عاريا من الحبر. يتحسر الشاعر على ثلاثة أمواة هريفت بموت بستان:

«ماء شباب ونعمة مزجا بماء ذاك الحياء والخفر»

ثم يقسم أنه لو عقرت أجمل الغواني الكاسيات حول قبرها وعقرت صيد الملوك هم كذلك ثم سقيت تربة الفقيدة بدمائهم لما شفا ما في الفؤاد من لوعة وحرقة. وبعد ذلك ينتحب ويندب حظه في أسلوب كأسلوب النائحات يكرر اسم بستان في بداية كل بيت من خمسة أبيات ولا يشفي غليله المعنى الذي يبتكره فيزيد فيه أو يبعده ليجعل مكانه معنى أعمق وأشرف وأغلى. ولنستمع إلى هذا العويل والندب والصراخ المفتت للأكباد:

بستان يا حسرتا على زهر فيك من اللهو بل على ثمر
بستان لهفي لحسن وجهك والاحسان صارا معا إلى العفر
بستان أضحى الفؤاد في وله يا نزهة السمع منه والبصر
بستان ما منك لامرىء عوض من البساتين لاولا البشر
بستان أسقيت من مدامعنا الدمـ ـع وأعقبت عقبة المطر

ولن نتطرق إلى ما نريده من هذه القصيدة وهو وصف ابن الرومي لبكائه على بستان إلا بعد ذكر بيتين لم يسبق لي أن قرأت أرق منهما وأذكى وأمتع. يتوجه فيهما ابن الرومي إلى بستان فيقول:

يا بشرا صاغه المصور من نور على سنة من الفطر
بل من شعاع العقول حين ترى الغيب بعين الذكاء والعبر

فالله تعالى لم يصنع بستان فقط من النور. بل صاغها من شماع العقول. ولم يكف الشاعر ذلك حتى ارتفع إلى معنى أعلى وهو أن هذه العقول قادرة على رؤية الغيب. بل إنها تراه من فرط الحدس بعين الذكاء والاعتبار واستخلاص التجربة. ولكم يعجبني تكرار هذا البيت والتغني به وتصور معناه وتوازن مبناه.

إذ مشيكم مذكري غناءكم   مشي الهوينا سواكن البقر

وفيما يلي الأبيات الموعود بها لأختتم بها بدون أي تعليق. تاركا للقارئ حلاوة استكشاف هذه المعاني وإعطاء الأبعاد التي يريد أن يعطيها إليها بكل حرية مع ملاحظة أن الشاعر انتقل وارتفع من معنى إلى آخر سبع مرات ابتداء من معنى الدمع. يقول مخاطبا تلك التي «انحفر» لها القبر «غير محتفر» ليضمها في أحضانه .

أبكيك بالدمع والدماء بل التسهاد بل بالمشيب في الشعر بل بنحول العظام محتقرا ذاك وإن كان غير محتقر بل باجتناب الشفاء بل بتوخي السقم بل بما يتقي من الضرر.

لا أسأل الله فيك حسن مصطبر. فإنه عنك لؤم مصطبر.

الرباط   مصطفى القصري

الإعلام الثقافي

دورة الأمانة العامة
للمراكز والهيآت العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية
(فاس - 21 - 26 فبراير 1983)

في إطار تعزيز الروابط العلمية والصلات الثقافية بين جناحي الوطن العربي، وباشراف ومشاركة وزارة الشؤون الثقافية في المملكة المغربية.

انعقد بمدينة فاس في الفترة المتراوحة ما بين 21 / 26 فبراير 1983 لقاء دورة الأمانة العامة للمراكز والهيأت العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي إلى جانب ندوة الروابط بين دول الخليج العربي والجزيرة العربية والمغرب، بمشاركة باحثين مغاربة وباحثين يمثلون المراكز والهيآت العلمية في كل من المملكة العربية السعودية، والجمهورية العراقية، ودولة الكويت، وقطر والبحرين وأبي ظبي، واليمن.

وبهذه المناسبة ألقى الدكتور سعيد ابن البشير خطابا قيما عند افتتاح أشغال هذا اللقاء، وفيما يلي :

نص خطاب السيد وزير الشؤون الثقافية الدكتور سعيد ابن البشير

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه.

السيد الأمين العام

السيد عامل صاحب الجلالة

حضرات السادة الأفاضل الأمناء والأساتذة

إن السعادة لتغمرنا ونحن نستقبلكم في بلدكم المغرب، فعلى الرحب والسعة حللتم بين إخوانكم وفي دياركم. وإنه ليشرفني ويسعدني في آن واحد أن أرحب بكم باسم حكومة صاحب الجلالة الحسن الثاني، أيده الله وباسم الشعب المغربي. وأسأل الله لكم التوفيق والسداد في دورتكم الخاصة «بالمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، التي نرحب بانعقادها في فاس العاصمة العلمية للمملكة المغربية.

وإننا لنبتهج بتعدد مظاهر النهضة والتطور بمنطقة الخليج العربي والجزيرة العربية في عصرنا الحالي وبتنوع مجالاتها الثقافية والحضارية. وأبرز ما يعزز هذا التطور قيامه على أسس علمية متينة تعد المراكز العلمية من أهم أسسه الفاعلة.

أيها السادة :

لعل من أبرز مميزات عصرنا ما أخذه المجال الثقافي من مكانة مرموقة في العلاقات الدولية. ولا شك أن الدول ذات اللغات والحضارات المختلفة تستهدف في علاقاتها الثقافية تأمين التفاهم فيما بينهما. كما أن كل دولة تسعى إلى ضمان إشعاعها الثقافي. مما يؤثر ولا شك على المجالات الأخرى. الاقتصادية والاجتماعية منها بصفة خاصة.

وإذا كان هذا الاتجاه على النحو الذي ذكرناه هو الذي يطبع علاقات الدول ذات الحضارات والثقافات المختلفة وأحيانا المتباينة فإن الاتصال الثقافي بين الدول العربية الإسلامية يأخذ بعدا آخر ومفهوما يختلف عما هو عليه في العلاقات الدولية عامة.

ذلك أن الثقافة بالنسبة إلينا رصيد مشترك، فهي التي تضم القيم الإسلامية والحضارية التي نتميز بها عن غيرنا، وهي التي تكون أساس وحدتنا في حياتنا الفكرية والاجتماعية والحضارية.

وإنه لجدير بنا والثقافة العربية الإسلامية تقوم بكل هذه الأدوار الهامة أن نأخذها كعنصر من عناصر القوة والتماسك والانصهار . وكأداة للتأثير على الحضارات الأخرى. ونقول بالمناسبة إن الثقافة في البلاد العربية ينبغي أن تضطلع بالدور الرئيسي في علاقاتنا المشتركة وفي

تأثيرنا على الثقافات الأخرى كما ذكرت، ذلك أن أمننا الحضاري مرتبط بالدرجة الأولى بالأمن الثقافي. فلا يمكن أن تزدهر الدول العربية الإسلامية، ولا يمكن أن نؤمن التأثير على هذه الحضارة وعلى الثقافات الأخرى إلا إذا ضمنا في بلادنا هذا الأمن الثقافي، وهذا التميز على الحضارات الأخرى الذي لن نصل إليه إلا بالمحافظة على لغتنا الوطنية العربية، وكذا بالمحافظة على المضامين الحضارية لهذه اللغة. هذا سبيلنا ولا يمكن مرة أخرى أن نضمن وجودنا بين الأمم والثقافات، وبالتالي لا يمكن أن نضمن استقلالنا الثقافي وأمننا الحضاري إلا إذا اتبعنا هذا السبيل، ولا شك أن اجتماعنا هذا هو خير دليل. وحتى نقوم بدورنا إن شاء الله كأمة لها تاريخها الحافل، ولها مستقبلها المستمد قوته من أصالتنا وماضينا الثقافي والحضاري. ولكن هذا لن يتأتى إلا إذا تضافرت جهودنا الفكرية في الوطن العربي وتوحدت نظرتنا إلى مفاهيم قيمنا المستمدة من حضارتنا الإسلامية في أصالتها، وفي تفتحها على مستجدات عصرنا.

وهذا ما يستلزم دراسة تراثنا الحضاري على امتداده والتشبع به بروح الحركية التي تفسح له مجال الانسجام مع التطورات التي يعرفها المجتمع كجسم تتجدد فيه الحياة باستمرار فينمو الفكر بدوره بعطاءات مستمرة ومثمرة.

من هذا المنطلق، يسعد وزارة الشؤون الثقافية بالمملكة المغربية أن تحتضن هذه الدورة، دورة الأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، وأن تحتضن في نفس الوقت ندوة حول العلاقات العلمية والتاريخية بين المملكة المغربية

ودول الخليج والجزيرة العربية.

فمن شأن هذا اللقاء المزدوج أن يزيد في تمتين الروابط التي تجمعنا والتي تكون حصننا ومناعتنا ضد التفكك الفكري وما يتبعه من سلبيات في المجالات الأخرى.

إن جناحي الوطن العربي في حاجة إلى هذه العلاقات والصلات للمزيد من التعاون والتفاهم والتآخي.

حضرات السادة الأفاضل :

إذا كان من أهداف المراكز والهيآت العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، أن تعمل على خدمة تاريخ المنطقة أولا وتاريخ العالم العربي والإسلامي ثانيا عن طريق دراسة التراث العربي والإسلامي وتحقيقه ونشره، فإن بلدكم المغرب يتميز بتراثه العربي الإسلامي الذي يمثل حصيلة أربعة عشر قرنا. فمنذ أن أشرقت أنوار الرسالة الإسلامية الخالدة على هذه الربوع، عزز المغرب الجبهة الحصينة للجناح الغربي من الوطن العربي والإسلامي والمنطلق الأساسي للدعوة الإسلامية في جنوب أوربا وغرب إفريقيا. ولأجل ذلك حافظ المغرب على مقومات التاريخ العربي والأندلسي والإسلامي الذي تزخر به كل منطقة من مناطقه المختلفة.

ومجموع حصيلة تراثنا في المشرق والمغرب يكون المادة الأساسية للدراسة والبحث ويساعد على التفكير الجدي لكتابة تاريخنا الإسلامي والعربي كتابة علمية نزيهة تستهدف إبراز الحقيقة التاريخية باعتبار أن تاريخنا المشترك حافل بالأمجاد وليس بحاجة إلى أي مبالغة.

حضرات السـادة :

نجتمع بفاس وقد مرت فترة غير قصيرة على النداء الذي وجهه المدير العام لليونسكو إلى العالم لإنقاذ مدينة فاس التي تعد معلمة إنسانية لا تحتاج إلى تقديم. إن تاريخ بناء مدينة المآثر العظيمة يرجع إلى أواخر القرن الثاني للهجرة على يد مؤسس الدولة الادريسية المولى ادريس بن عبد الله، ومنذ انشائها وفاس تقوم بدورها العلمي في العلاقات التي ربطتها مع الشرق والغرب وإفريقيا. والأمل معقود على المراكز العلمية بالخليج العربي والجزيرة العربية في التجاوب مع هذا النداء خاصة وان بمدينة فاس تراثا من المخطوطات التي نعمل الآن على ترميمها وتصويرها خدمة للثقافة العربية الإسلامية وحفاظا على تراثنا المشترك.

حضرات الاخوة الأعزاء :

اهتماما من وزارة الشؤون الثقافية بدورتكم الخاصة وبمعرض مطبوعات مراكز الدراسات الخليجية. استدعت نخبة من إخوانكم الأساتذة المغاربة للمشاركة في الندوة الثقافية التي ستعمل بحول الله على إبراز الروابط الأخوية ما بين الخليج العربي والجزيرة العربية والمغرب.

وستكون فرصة لربط اتصال أقوى بين الاخوة للمزيد من التعاون والإنتاج العلمي.

أيها الاخوة :

يسعدني مرة أخرى باسم حكومة صاحب الجلالة **الحسن الثاني**، المثقف الأول لهذه البلاد والساهر الأمين على حضارتنا وأمجادنا الثقافية.

أن أجدد الترحيب بكم في بلادكم وأسأل الله لأعمال دورتكم كامل التوفيق والنجاح. والسلام عليكم ورحمة الله.

د. سعيد ابن البشير

تظاهرات ثقافية وفنية احتفالا بعيد العرش المجيد

احتفالا بالذكرى الثانية والعشرين لجلوس صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني، نصره الله على عرش أسلافه المنعمين، نظمت وزارة الشؤون الثقافية برنامجا ثقافيا وفنيا بهذه المناسبة السعيدة، اشتمل على معارض ثقافية وفنية ومحاضرات وحفلات موسيقية وعروض مسرحية للكبار والصغار، وأشرطة سينمائية استمر طوال شهر مارس، وذلك بمدن : الرباط، سلا، العيون، السمارة، بوجدور، تازة، الحسيمة، فاس، تاونات، ميسور، الدار البيضاء، ابن سليمان، قرية حطان، ابن أحمد، أزمور، الجديدة، أبي الجعد، سيدي بنور، وادي زم، اخريبكة، بوجنيبة، مكناس، مولاي ادريس زرهون، تطوان ، أصيلة، وشفشاون.

وفيما يلي بيان بتفاصيل البرنامج السالف الذكر.

الثلاثاء فاتح مارس 1983 :

الرباط : ـ تدشين معرض الأعمال الفنية للرسام بوسرحان بن سالم ببهو الوزارة استمر المعرض إلى غاية 15 منه.

تطوان : ـ حفلة فنية كبرى احياها جوق المعهد الوطني للموسيقى بتطوان تخللها إلقاء قصائد شعرية وكلمات أدبية بمناسبة عيد العرش المجيد في الساعة السادسة والنصف بمقر دار الثقافة.

- تدشين معرض الرسم الزيتي بقاعة العرض بدار الثقافة لمجموعة من أساتذة مدرسة الفنون الجميلة.

أصيلـــــــة : - تنظيم معرض الكتاب المغربي بالمكتبة العامة استمر المعرض إلى 15 منه.

قرية حطان : - إلقاء محاضرة بعنوان منجزات **الحسن الثاني**، للأستاذ محمد بركة بقاعة ثانوية قرية حطان في الساعة السادسة والنصف.

الدار البيضاء : - تنظيم معرض صور مدينة الدار البيضاء بقاعة دار الشباب بقرية الجماعة ابتداء من 28 فبراير إلى 5 مارس 1983.

الأربعاء 2 مارس 1983 :

العيـــــــون : - حفلة موسيقية متنوعة احياها المعهد الموسيقي بالقنيطرة في الساعة السادسة والنصف بقاعة مسبح المسيرة الخضراء.

الربـــــاط : حفلة موسيقية احياها جوق الملحون بمسرح محمد الخامس. على الساعة التاسعة ليلا.

ابـن أحمـد : - إلقاء محاضرة بعنوان منجزات **الحسن الثاني**، للأستاذ محمد بركة بقاعة الأفراح بمدينة ابن أحمد.

قريـة حطـان : - عرض مسرحية (أسرار الدوار) من تشخيص فرقة النصر بقاعة مدرسة حطان في الساعة الثامنة مساء.

الخميس 3 مارس 1983 :

مكنـــــاس : - تقديم مسرحية للأطفال تحت عنوان (الرحلة) بالمعهد البلدي للموسيقى بمكناس على الساعة الثالثة والنصف.

العيـــــون : - سهرة موسيقية متنوعة احياها جوق المعهد الموسيقي بالقنيطرة في الساعة الثامنة مساء.

الربـــــاط : - سهرة موسيقية كبرى احياها الجوق السانفوني التابع للوزارة. بقاعة مسرح محمد الخامس في الساعة 9 ليلا.

الجمعة 4 مارس 1983 :

الربـــاط : ـ افتتاح معرض للرسوم الزيتية الذي نظمته سفارة إيطاليا بباب الرواح ابتداء من 4 إلى 8 مارس 1983.

أزمـــور : ـ تنظيم صبحة للأطفال قدمت خلالها جمعية المنار مسرحية شجرة الحي بدار الشباب في الساعة العاشرة صباحا.

الجديـــدة : ـ احياء سهرة موسيقية كبرى من لدن جوق العشاق التابع للنيابة الجهوية لوزارة الشؤون الثقافية بقاعة المسرح البلدي بالجديدة في الساعة الثامنة والنصف.

أبي الجعد : ـ سهرة موسيقية مع مجموعة النغمة بقاعة دار الشباب في الساعة الثامنة مساء.

مكنـــاس : ـ عرض مسرحية للأطفال (الرحلة) بالمعهد البلدي للموسيقى بمكناس في الساعة الثالثة والنصف.

السبت 5 مارس 1983 :

مولاي ادريس زرهون : ـ احياء حفلة موسيقية أندلسية بمولاي ادريس زرهون على الساعة الخامسة مساء.

الدار البيضاء : ـ سهرة موسيقية كبرى أحياها جوق العشاق التابع لنيابة الشؤون الثقافية بمقر عمالة ابن مسيك سيدي عثمان في الساعة السابعة والنصف.

الجديـــدة : ـ عرض مسرحية (الشركة لفرقة مسرح الدائرة في الساعة الثامنة والنصف مساء بقاعة المسرح البلدي بالجديدة.

أبي الجعد : ـ عرض مسرحية أسرار الدوار لفرقة النصر بقاعة دار الشباب في الساعة الثامنة مساء.

ابن أحمـــد : ـ عرض مسرحية زهرة البرنوصي لفرقة فتح المسرحية بقاعة دار الشباب في الساعة الثامنة والنصف.

الحسيمـــة : ـ سهرة موسيقية لطرب الملحون احياها جوق محمد بركام بسينما الكبير.

الأحد 6 مارس 1983 :

مكنـــــــاس : - احياء حفلة موسيقية متنوعة بقاعة المدرسة الوطنية للموسيقى في الساعة 6 مساء.

الدار البيضاء : - صبيحة للأطفال عرضت خلالها مسرحية الرحلة لميمو الزبراري وصلاح بسينما المدينة بعمالة سيدي عثمان في الساعة العاشرة صباحا.

ابن أحمـد : - سهرة موسيقية متنوعة كبرى احياها جوق العشاق بقاعة الأفراح بمدينة ابن أحمد في الساعة الثامنة مساء.

ابن سليمان : - مسرحية الرحلة لميمو الزبراري وصلاح الدين في الساعة 4 بعد الزوال.

- عرض مسرحية مقامات بديع الزمان الهمداني لفرقة فتح بقاعة دار الشباب في الساعة 8 مساء.

سيدي بنور : - صبيحة للأطفال عرضت خلالها جمعية المنار مسرحية شجرة الحي في الساعة 10 صباحا بدار الشباب.

وادي زم : - سهرة موسيقية متنوعة مع مجموعة نجوم النغمة في الساعة 8 مساء بقاعة دار الشباب.

بوجـــدور : - سهرة موسيقية متنوعة أحياها جوق المعهد الموسيقي بالقنيطرة في الساعة 8 ليلا بقاعة الأفراح.

الاثنين 7 مارس 1983 :

خريبكـــة : - سهرة موسيقية كبرى أحياها جوق العشاق التابع للنيابة الجهوية للشؤون الثقافية بالبيضاء في الساعة 8 مساء بقاعة الأفراح.

مكنـــــاس : - محاضرة للدكتور محمد حجي في موضوع : (معركة وادي المخازن وأثرها الحاسم في وقف الزحف الصليبي بالأكاديمية الملكية العسكرية.

فـــــــــاس : ـ حفلة متنوعة من الطرب الأندلسي وطرب الملحون أحياها جوق المعهد الوطني بفاس برئاسة الحاج عبد الكريم الرايس في الساعة 6 مساء. بقاعة سينما أمبير.

الثلاثاء 8 مارس 1983 :

الربـــــاط : ـ محاضرة للأستاذ محمد ابن البشير في موضوع الطفل والاعلام في الساعة 6 و 30 دقيقة مساء بقاعة المحاضرات بالوزارة.

خريبگـــة : ـ عرض مسرحية (الشركة) لفرقة مسرح الدائرة في الساعة 8 مساء بقاعة الأفراح بمدينة خريبگة.

مكنـــــاس : ـ حفلة من طرب الملحون أحياها طلبة وأساتذة المدرسة الوطنية للموسيقى بمكناس في الساعة 6 و 30 دقيقة مساء بقاعة النطاق الثقافي.

الأربعاء 9 مارس 1983 :

تاونـــات : ـ حفلة من طرب الملحون أحياها جوق الفنان محمد بركام بقاعة دار الشباب في الساعة 7 مساء.

بوجنيبـــة : ـ محاضرة في موضوع « الإنسان والبيئة الطبيعية للأستاذ محمد بركة مع عرض شريط سينمائي في الموضوع بقاعة دار الشباب في الساعة 7 مساء.

الخميس 10 مارس 1983 :

الربـــــاط : ـ حفلة من الرقص والتعبير الجسدي نظمها المعهد الوطني للموسيقى والرقص بالرباط. في الساعة 6 و 30 د. مساء بقاعة المحاضرات بالوزارة.

بوجنيبـــة : ـ سهرة موسيقية متنوعة أحيتها مجموعة نجوم النغمة في الساعة 8 مساء بقاعة دار الشباب.

الجمعة 11 مارس 1983 :

ميــــــور : ـ حفلة من طرب الملحون أحياها جوق الملحون بفاس برئاسة الفنان الحاج عبد الكريم كنون في الساعة 6 و 30 د. مساء بقاعة دار الشباب.

بوجنيبــــة : ـ عرض مسرحية (أسرار الدوار) لفرقة النصر في الساعة 6 و 30 د. مساء بقاعة دار الشباب.

السبت 12 مارس 1983 :

ســــلا : ـ محاضرة في موضوع «الإسلام والمجتمع» للدكتور أحمد الخمليشي بعد صلاة العصر بالمسجد المحمدي بحي السلام.

قرية حطان : ـ سهرة موسيقية أحيتها مجموعة نجوم النغمة في الساعة 7 مساء بقاعة ثانوية حطان.

الأحد 13 مارس 1983 :

مكنــــاس : ـ عرض مسرحية (الشركة) لفرقة مسرح الدائرة بقاعة سينما الريف في 10 صباحا.

الربــــاط : ـ حفلة من مسرح العرائس، عرضت خلالها فرقة العرائس التابعة للوزارة مسرحية «الديك المغرور» في الساعة 10 صباحا بقاعة المحاضرات بالوزارة.

الإثنين 14 مارس 1983 :

الربــــاط : ـ حفلة من موسيقى الجاز أحياها الفنان جواكيم كوين في الساعة 8 مساء بقاعة الوزارة.

الدار البيضاء : ـ تدشين معرض الفنون التشكيلية للرسام الهندوز الصغير برواق المسرح البلدي

الثلاثاء 15 مارس 1983 :

الربــــاط : ـ محاضرة بعنوان «نظرة الفنان» يلقيها الأستاذ مارك لوبو في الساعة 6 و 30 د. مساء بقاعة المحاضرات بالوزارة.

الأربعاء 16 مارس 1983 :

مكنـــــــاس : ـ محاضرة بعنوان ، قالب الميزان في النوبة الأندلسية ألقاها الأستاذ عبد العزيز ابن عبد الجليل بقاعة مركز تكوين المعلمات.

السبت 19 مارس 1983 :

خريبكــــة : ـ تدشين معرض الرسامين الخوادري والنفراوي بقاعة مجمع الصناعة التقليدية استمر المعرض إلى غاية 25 مارس.

الأحد 20 مارس 1983 :

الربـــــاط : ـ حفلة من مسرح العرائس قدمت خلالها فرقة العرائس التابعة للوزارة مسرحية «الديك المغرور» مع ألعاب ومسليات في الساعة 10 صباحا بقاعة الوزارة.

الجمعة 25 مارس 1983 :

أبي الجعد : ـ تدشين معرض الكتاب المغربي بقاعة دار الشباب استمر المعرض إلى غاية 30 منه.

السبت 26 مارس 1983 :

الدار البيضاء : ـ محاضرة عن المسرح المغربي يلقيها الأستاذ عبد الكريم ابن الرشيد. بقاعة دار الشباب بقرية الجماعة.

الأحد 27 مارس 1983 :

قرية حطان : ـ عرض شريط سينمائي عن السرك في العالم بقاعة دار الشباب في الساعة 10 صباحا.

بوجنيبة : - عرض شريط سينمائي عن السرك في العالم بقاعة دار الشباب في الساعة 6 مساء.

الثلاثاء 29 مارس 1983 :

الرباط : - عرض أشرطة سينمائية صينية في الساعة 6.30 مساء بقاعة المحاضرات بالوزارة.

الأسبوع الثقافي التونسي بالمغرب

توطيدا للروابط العريقة، والعلاقات الأخوية والثقافية المتينة التي تربط المملكة المغربية بالجمهورية التونسية الشقيقة، نظم بالمغرب أسبوع ثقافي تونسي افتتحه مساء الاثنين 28 جمادى الأولى 1403 موافق 14 مارس 1983 بمسرح محمد الخامس - الدكتور سعيد ابن البشير وزير الشؤون الثقافية، ووزير الثقافة التونسي الأستاذ البشير ابن سلامة.

وقد بذلت وزارة الثقافة التونسية مجهودات مشكورة لتقديم هذه التظاهرة الثقافية إلى الشعب المغربي تقديما يدعم الأواصر التاريخية والحضارية المتأصلة بين البلدين الشقيقين، وعينت للاشراف عليها نخبة من ذوي الكفاءات في مختلف الميادين، كالأدب والموسيقى، والمسرح، والسينما، والفنون الشعبية والتشكيلية.

كما أن وزارة الشؤون الثقافية عملت - من جهتها - على إشاعة هذا البرنامج الثقافي في عدد كبير من المدن المغربية، وكان محتويا على سهرات موسيقية، ومحاضرات، وعروض مسرحية وسنمائية، ومعارض للكتب والفنون التشكيلية.

حضر حفلة تدشين هذا الأسبوع بعض أعضاء الحكومة المغربية، ورجال السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي إلى جانب مجموعة كبيرة من الشخصيات الثقافية والصحافية والعلمية.

وأثناء حفلة الافتتاح ألقى الأستاذ البشير ابن سلامة وزير الثقافة التونسي خطابا قيما افتتح به نشاط الأسبوع الثقافي التونسي بالمغرب وفيما يلي :

خطابُ السيّد وزير الشؤون الثقافية التونسي الأستاذ البشير ابن سلامة

إنه لشعور بالفخر يتملكني والإحساس بالعزة يملأ جوانبي عندما نشهد اليوم في هذا الجمع الكريم افتتاح الأسبوع الثقافي الرابع بالمملكة المغربية الشقيقة. وانه لشرف عظيم أحظى به وأنا أشرف مع صديقي العزيز الدكتور سعيد ابن البشير لأول مرة على تظاهرة ثقافية تونسية بهذا البلد العريق في الحضارة والثقافة.

واني لمعتز كذلك أنا وأعضاء الوفد الثقافي المرافق لي بوجودنا على أديم هذه الأرض العربية الإسلامية العريقة في المجد، المعروفة بكرم الوفادة وحسن الضيافة أرض انصهار الحضارات وبناء الثقافات .

اننا لسنا غرباء على الشعب المغربي العظيم. ولا نطمح إلى التعريف بإنتاجنا الثقافي ولو كان جديدا متجددا فنحن على صلة متينة مستمرة بأبناء هذا الجزء من المغرب الكبير وهم في تطلعهم إلينا وتعاطفهم معنا أشد الناس معرفة بنا وأكثرهم تواصلا وتجانسا وإنما جئنا نصل الرحم ونمتن الأواصر ونعمق الحوار.

وان الذي ربط بيننا ليس فقط هذا التاريخ الواحد ولا الحضارة الفرد والتوجه الثقافي المتجانس وإنما هذه العزيمة التي تحدو كلا من صاحب الجلالة **الحسن الثاني**، وصاحب الفخامة الرئيس **الحبيب بورقيبة**، وجل السياسيين والمفكرين والعاملين في حقول الثقافة والآداب والفنون في بلدينا وتطمح إلى أن تصبح ثقافتنا تماثل ثقافات العالم غزارة وتجددا وتحاورها في أمهات معضلات العصر باحثة عن الطريق الكفيلة بتخطي أزماته والاهتداء إلى أقوم المسالك المنفذة للبشرية الرازحة تحت كابوس التنازع والتصارع والتناحر.

ان التظاهرات المدرجة في نطاق هذا الأسبوع يصادف تقديمها البدء في تنفيذ استراتيجية جديدة للعمل الثقافي في بلادنا ومع ذلك فهي لا تمثل إلا عينات من هذه الاستراتيجية الجديدة غايتها محاولة رسم ملامح الإنتاج والإبداع الثقافيين في تونس خلال السنوات الأربع الأخيرة أي طيلة الفترة الزمنية التي مرت منذ انعقاد الأسبوع الثقافي التونسي الذي نظم بالمغرب في سنة 1979.

واني لا أخفي عليكم أننا لا قينا مصاعب كثيرة في تأليف محتويات هذا الأسبوع لأننا أردناه متكامل الأطراف متعدد الجوانب مختلف الأوجه وفي نفس الوقت حديث المضمون. وان أصبنا في جمع عدد ضاف من التظاهرات يعكس واقعنا الثقافي الراهن فإننا لم نتوصل إلى تقديم الجديد المنتظر إلا في بعض المواد المعروضة كمعرض المنسوجات الحائطية للفنان محمد نجاح المعروضة أمامكم أو بعض عناوين المنشورات وربما يتمثل الجديد بالأخص في العروض المسرحية

التي ستقدمها الفرقة المسرحية القارة لمدينة سوسة وهي واحدة من فرقنا الجهوية الناشطة خارج العاصمة وان أشرت إلى هذا العمل فذلك لأن المسرح التونسي غاب عن المغرب طيلة السنين الثمانية التالية فأردنا أن يكون هذا الأسبوع مناسبة سانحة للتعريف بما جد في حقل الإبداع المسرحي في تونس خاصة على المستوى الجهوي. وإلى جانب فرقة سوسة سيكون للجمهور المغربي موعد آخر مع المسرح التونسي حيث ستشارك لأول مرة فرقة مسرحية تونسية في المهرجان الوطني لمسرح الهواة المغربي الذي سيقام بالرباط بدءا من 20 مارس المقبل. وقد حرصنا على إرسال فرقة من فرق مسرح الهواة في تونس ووفد عن الجامعة القومية لمسرح الهواة للتباحث مع زملائهم المغاربة في إبرام اتفاقية تعاون وتبادل بينهم.

اننا نسعى دوما أن يكون لنا في تونس سياسة ثقافية متينة. تنطلق من المبادىء والاتجاهات العامة التي ارتضاها شعبنا لنفسه كمقومات أساسية وركائز راسخة في تاريخه المجيد وعلى مدى تطور حضارته العربية الإسلامية العتيدة ولئن ضمت هذه السياسة أركان العمل الثقافي من هيكل أساسي تجهيز وتكوين إنتاج فهي تعتمد غايات مرتبطة ارتباطا عضويا بغايات سائر النشاطات القومية. ذلك أن اعتقادنا راسخ بأن العمل الثقافي هو عنصر من عناصر العمل التنموي القومي لا سبيل إلى تجزئته أو فصله عن مخططات التنمية الشاملة.

وهذا لا يتم إلا إذا اعتبرنا أن تحقيق التنمية الثقافية لا يقتصر على وزارة الثقافة وحدها ولا ينحصر في مهمات هذه الوزارة بمفردها بل

بالتعاون مع كل القطاعات الأخرى التربوية والتكوينية والعمرانية والصحية والتجارية والاقتصادية والصناعية والفلاحية. فالثقافة ليست بالنسبة إلينا ـ حكرا على وزارة الشؤون الثقافية بل يجب أن تكون هم الجميع وحقلا للعمل المتكامل وفرصة للتعاون والتضامن. ومن هذا المنطلق ركزنا محاولاتنا على نظرة جديدة تقول بإدخال الثقافة في الدورة الاقتصادية للبلاد وتعتبر أن الثقافة يستقيم أمرها ويشتد عودها إذا لم نول عناية أوفر بالصناعات الثقافية وتطورها التطوير المتماشي مع الصناعات الأخرى ومع تقدم المجتمع.

انه عندما نروم تحليل مجتمعنا تحليلا ضافيا، علميا، نجد أنفسنا أمام مجتمع يتسم بالتغير المستمر المفروض علينا فلا قدرة لنا على تطويعه وفقا لما نرتضيه من تحول في سلوكنا وفي أنماط عيشنا. فالمقاييس والأذواق والقيم تتبدل وتتنوع حسب طقوس جديدة ونواميس حديثة تغلغلت فينا بالرغم من محاولات تكييفها وصهرها في بوتقة المقومات الأساسية لذاتيتنا الثقافية. وهكذا فنحن نشعر كلنا بأننا ـ أمام هذا التيار العارم ـ مهددين في كياننا استلابا وتشويها.

وحرصا منا على أن يكون مجتمعنا قادرا على التصدي إلى هذه الآفة ارتأينا أنه يجدر تجاوز الجدل النظري والإقدام على إدخال العمل الثقافي في مرحلة الإنجاز الفعلي والتخطيط المستقبلي. وقد صرح سيادة الوزير الأول الأستاذ محمد مزالي عند افتتاحه لأعمال الدورة الأولى للمجلس الأعلى للثقافة أنه «ينبغي على كل مسؤول سواء كان وزيرا أو واليا أو مسؤولا في خلية حزب أو في منظمة قومية أو في هيكل بلدي

أو في مؤسسة اقتصادية أن يعطي للثقافة حقها ويعتبرها شيئا ضروريا كالخبز لحياة الإنسان وشرطا لازدهار الشعب التونسي وكرامة المواطن التونسي. فلا بد من اقحام البعد الثقافي مثل البعد الرياضي في عقلية المسؤولين وتصورهم وسلوكهم وبالتالي تستطيع الخروج من الانحطاط الذي ورثناه عن القرون الخوالي».

وهكذا فإن الجدلية الكبرى التي تواجهنا هي أن نبقى نحن ، أصالة وتوافقا مع ذاتنا المنصهرة في تاريخنا الماضي والحاضر ونتجه إلى العالم المعاصر تجانسا وانسجاما وهضما لكل مأتيه وتجاوبا مع متطلباته.

هي اذن المعادلة الصعبة التي تتطلب منا وضوح الرؤية واليقظة الكاملة لمعالجة كل مظاهر حياتنا في التربية والسلوك والمعاش ذلك أن النهضة الثقافية المرتقبة قد مهد لها انتشار التعليم على أوسع نطاق ومحاربة الأمية ومكافحة تعنتها وما حققناه في هذه المجالات يعتبر عملا عظيما حيث أننا خصصنا طيلة العشريتين السالفتين مايزيد عن ربع الميزانية لتربية النشىء وتعليمه وتكوينه. تكوينا مناسبا لاحتياجات بلادنا وما زلنا نعطي شؤون التربية هذه المنزلة. ولكن هذا المجهود التربوي لا يأتي أكله إلا إذا وازاه منذ البدء بذل ثقافي يعتمد على تربية فنية تفرضها تنمية المدارك الأدبية والفنية والعلمية للإنسان وصقل مواهبه وتسخيرها للصالح العام.

وهذا معناه أننا نطمح إلى ثقافة واعية ومسؤولة بعيدة كل البعد عن كل ما من شأنه أن يخل بالتفكير القويم الثابت وينزل بالإبداع الفني إلى دركات لانرضاها. نحن نسعى إلى جعل الثقافة حقا من حقوق

المواطن ولكن الثقافة التي نريد هي تلك التي تستوفي كل المقومات النظرية والعلمية البانية لمجتمع سليم الخالقة لكل الدوافع الإيجابية ليكون البشر خلاقا حرا كريما منسجما مع عصره.

ولذلك كان أوكد الواجبات. عندنا النهوض بالصناعات الثقافية والرهان على أن في تطويرها فرص لتجاوز الركود الإبداعي ولمواجهة هيمنة الانماط الثقافية الأجنبية. ومن بين هذه الصناعات أوكلنا أهمية فائقة إلى الصناعات السينمائية وكذلك صناعة الكتاب وتحسين هياكل نشره وإحكام طرق توزيعه. وهذا ليس إلا عينة مما نقبل عليه من عمل جدي يشاطرنا الرأي فيه صديقي الدكتور سعيد ابن البشير وزير الثقافة بالمغرب الشقيق.

ان هذا الجهد الذي نقوم به لنشر الثقافة في ربوع البلاد التونسية بالاعتماد على الهياكل الأساسية الكافية وتجهيزها وتأطيرها ودفع الخلق والإبداع الفكري والفني فيها لا يستقيم أمره إذا لم يوازه تعاون ثقافي دولي مثمر ومتكافىء مع كل الدول الشقيقة والصديقة التي تربطنا بها صلات وعلاقات أخوة وود صادق المقصد. وتعاون مقام على التقدير المتبادل.

ولا غرابة أن يكون عملنا في ميداني التبادل والتعاون الثقافيين معتمدا على اتجاهين إثنين ،

أولهما: تفتح خصوصياتنا الثقافية على الأصالة النابعة من الثقافة الأم. الثقافة العربية الإسلامية السائدة في الوطن العربي الذي تربطنا به لغة واحدة ودين واحد وحضارة مشتركة.

وثانيهما: التحاور مع ثقافات العالم الأخرى والأخذ منها بما يثري إبداعاتنا إيمانا منا بأنه لا تزكو الثقافة ولا تزدهر إلا بالحوار بين الحضارات والتقارب بينها حتى يسود العلاقات بين البشر والوئام والسلام.

وان هذا الذي نشهده اليوم من مآسي في فلسطين المحتلة بما يقوم به الكيان الصهيوني من أعمال يندى لها جبين الإنسانية لينبني أساسا على استغلال جهل شعوب الغرب لحضارتنا وشعوبنا وامعان وسائل الاعلام في تعميق الهوة بين الثقافات لاغتنام الفرص وتعديدها لتأليب العالم علينا.

وان من أوكد ما يتعين علينا القيام به في ميدان الثقافة أن تتضافر جهودنا للعمل على أن يبلغ صوت ثقافاتنا شعوبنا العربية الإسلامية عاليا وأن نقوم في نطاق المغرب العربي بالمجهود الأمثل لربط الصلة مع العالم الغربي للخروج من هذه الحلقة المفرغة التي ما تزال تحكم الطوق حولنا.

وان ما يقوم به في نطاق المغرب العربي الكبير في هذه الأيام قادة أقطار إفريقيا الشمالية ليبشر بكل خير تقوية للأواصر وشدا للصفوف وتحقيقا للنهضة التي تتطلع إليها شعوبنا جميعا.

انني متيقن أن هذه التظاهرة الثقافية تقدم من جديد خدمة جليلة لتمتين العلاقات بين شعبينا وتوطيد التبادل الثقافي بين المفكرين والمبدعين والفنانين بمختلف اختصاصاتهم في بلدينا.

وان الاستقبال اللطيف الذي حظيت أنا والوفد المرافق لي من قبلكم لهو أبرز دليل على المكانة المميزة التي تولونها للثقافة التونسية في المغرب الشقيق.

فاسمحوا لي أن أعبر لكم أصالة عن نفسي وباسم كافة أعضاء الوفد المرافق لي في ختام كلمتي هذه عن أحر عبارات الشكر لكم. ولأعضائكم لما بذلتموه من جهود لتنظيم هذا الأسبوع وما أبديتموه من عناء فائق لاحتضانه.

البشير ابن سلامة

وبعد ذلك أجابه الدكتور سعيد ابن البشير وزير الشؤون الثقافة بالخطاب التالي :

خطاب
السيد وزير الشؤون الثقافية
الدكتور سعيد ابن البشير

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيد المرسلين

معالي الأخ والصديق الأستاذ البشير ابن سلامة وزير الشؤون الثقافية.

أصحاب المعالي الوزراء

أصحاب السعادة السفراء

الاخوة أعضاء الوفد التونسي الشقيق
أيها السادة الأفاضل

لعل الثقافة من أبرز العناصر التي تؤثر في العلاقات بين الدول عامة وبين الدول الشقيقة بصفة خاصة. وان نظرة سريعة نلقيها على علاقاتنا توضح بجلاء مدى ثبات وعمق بصمات التاريخ الثقافي عبر الجسر الذي أقمناه بيننا منذ العهد الإسلامي الأول الذي وصل بين جامع القرويين وجامع القيروان فوصل بين الفكر المغربي والفكر التونسي وجمعهما في منهج الحياة ومنهجية التفكير.

فمرحبا بك أيها الأخ الوزير وبالاخوة الذين رافقوك. حللت في بلادك وبين إخوانك لتسهم بدورك في هذا التواصل الفكري الذي أرسى قواعده في عقولنا وقلوبنا. حللت بيننا بشيرا بخلاصة الإشراقات الفكرية للوطن الشقيق.

اننا نود أن نعبر لكم باسم حكومة جلالة الملك عن سعادتنا وغبطتنا بهذا اللقاء الأخوي المتميز لأننا نرى فيكم البلد العزيز والشعب الكريم الذي نكن له بالغ الوفاء والمودة والتقدير. نلتقي لنحول زمن اللقاء إلى احتفال وأرض اللقاء الخصبة إلى حقل زرعه التواصل ببذور المودة والاخاء. نلتقي في احتفال الصفاء والبهجة والجمال لنقطع في اتجاه بعضنا أشواطا جديدة في تعميق وحدة الفكر.

معالي الأخ الوزير :

منذ حوالي سنة نظمنا أسبوعا ثقافيا مغربيا في الديار التونسية العزيزة تلمسنا فيها عن كتب روعة الاستقبال الأخوي ومدى الأشواط

التي قطعتها تونس في نهضة شاملة تأخذ الثقافة أساسا لها واطلعنا على المكاسب والمنجزات التي تحققت في المجال الثقافي بصفة خاصة بفضل كفاحكم ووضوح الرؤية الثقافية لديكم أيها الأخ العزيز.

وها نحن نلتقي في أسبوع ثقافي تونسي وقد حف بعيدين وطنيين ، عيد العرش الذي مازلنا نعيش أيامه المجيدة والذي يرمز إلى نضال ملك يعيش مع شعبه في كفاح مشترك من أجل العزة والكرامة وعيد استقلال تونس الذي تشرئب إليه الأعناق وتتطلع إليه النفوس مستعرضة الكفاح الوطني من أجل الاستقلال ونضال البناء في سبيل إرساخ قواعد هذا الاستقلال.

وهل إنتاج الفكر في هذا الأسبوع إلا ثمرة من ثمرات هذا الاستقلال ؟

معالي الأخ الوزير ، لعل الأسبوع الثقافي التونسي جاء ليبارك العيدين وما يحملان بالنسبة للشعبين من معاني الكرامة وإرادة الاتصال المستمر. استجابة لتاريخ عرف كيف ينسج الخيوط الفكرية وكيف يعد للمستقبل أسس وحدة المغرب العربي. هذه الوحدة التي يلعب فيها الفكر دور الروح للجسد. ولقد أخذ شعبانا بقيادة القائدين الكبيرين جلالة الملك الحسن الثاني، وفخامة الرئيس المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة، سبيل هذه الوحدة بروح الجد وبالوسائل الفاعلة فأخذت المشاريع الثقافية تقيم الجسور بين العقول وتنظم الحوار فينطلق منه النور المرشد لكل هذا الشباب المتحمس المتطلع إلى كيان ثقافي يحافظ فيه على الأصالة ويضمن به الأمن الثقافي الحضاري فيتحقق الإسهام في

الحضارة الإنسانية بعطاء متميز، يكون ثمرة التعبير عن شخصية مستقلة فكرا ورأيا، متفتحة في نفس الوقت على الحضارات الأخرى.

اننا حين نبتهج بهذه الأيام الثقافية فإن الأمر لا يتعلق فقط بفرحة لقاء الاخوة، ولكن أيضا لأن نظرتنا إلى الثقافة وإلى منهجية العمل الثقافي نظرة واحدة تنعكس آثارها على المجالات الأخرى فيحصل الاطمئنان إلى مستقبلنا المشترك.

معالي الأخ الوزير والصديق العزيز :

اننا نتتبع باهتمام جهودكم ومساعيكم في مجال السياسة الثقافية فلا نزداد مع مرور الأيام إلا اعتزازا بما حققتموه أو خططتموه.

وان مصدر ابتهاجنا أننا ننهل من حوض واحد تتجمع فيه ينابيع الأصالة الفكرية المستمدة من قيمنا الروحية والوطنية. هذه القيم التي لاتقبل إلا ما ينسجم وينصهر مع مكوناتها. اننا نلتقي معالي الأخ في الالتزام بالأصالة ورفض الذوبان في الثقافات التي لاتعكس اهتمامات مجتمعنا. وهكذا نتجنب الاستلاب الفكري ونحقق ارتباط الفئة المثقفة بالمجتمع الذي تعكس قضاياه وتتفاعل معه أخذا وعطاء. انها بكلمة واحدة ثقافة هادفة وانه فكر لايعيش بالخيال المجرد والنظريات المستوردة ولكنه يعيش في تحركه وإنتاجه من المعطيات الوطنية سواء ما يتعلق منها بالتراث أو ما استجد في حركة الفكر والمجتمع.

معالي الأخ الوزير :

ان تكريمكم لهذا الأسبوع الثقافي بحضوركم الشخصي يفسح لنا

المجال لمزيد التعمق في علاقاتنا الثقافية وفيما ينبغي القيام به مستقبلا وفاء للعهد الذي قطعناه على أنفسنا لتطوير أواصر الفكر بين شعبينا. وإذا كان الحب وليد المعرفة فعلينا أن نعرف بعضنا البعض بتبادل إنتاج فكر السابقين والمعاصرين ولا شك أن رجال الفكر بصفة عامة يتطلعون إلى الوثائق والكتب والمصنفات التي ستساعدهم على التحليل والمقارنة للأخذ والعطاء، مما يجعل المفكرين الوطنيين في التقاء وتفاعل مستمرين. واننا نطمح إلى أن ندرس معا السبل الكفيلة بإيصال الفكر والرأي إلى كل متطلع وهذا يقتضي البحث في الطرق العملية للوصول إلى هذه الغاية التي تستلزم من جهة أخرى العناية بقضية الطبع والنشر.

ومن جانب آخر فإذا كان الإنسان أساسيا لكل عمل ناجع فإن ميادين الثقافة تستوجب تكوين الأطر وهذا ما حدا بنا في المغرب إلى إعداد نصوص تشريعية لإنشاء مؤسسات تكوين الأطر وصقل المهارات في ميادين علوم الآثار والتراث وعلم المكتبات والمسرح والموسيقى. وهذا إذن مجال آخر يفتح باب التعاون ويضيف لبنة أخرى إلى صرح البناء الثقافي المشترك.

هذه سبيلنا. ولن أطيل عليكم معالي الأخ فالمقام يقتضي الإيجاز. فلعلها تكون في تصورها وأهدافها قد استجابت لتطلعا القائدين العظيمين جلالة الملك **الحسن الثاني**، أعزه الله. وفخامة الرئيس المجاهد الأكبر. **الحبيب بورقيبة**، لقد أسهما معا إسهاما كبيرا في صنع تاريخ بلادهما الحديث وما زالا يوجهان برأيهما السديد ويكافحان بإرادتهما الراسخة من أجل إسعاد شعبيهما وتحقيق الوحدة الوطنية في وحدة الفكر وأصالة الاتجاه.

معالي الأخ الوزير والصديق العزيز.

يسعدني أن أرحب بكم وبالاخوة المرافقين مرة أخرى وأن أعرب لكم عما نكنه لكم من محبة وتقدير كبيرين.

وان المحادثات التي بدأناها صباح اليوم ويتابعها الوفدان التونسي والمغربي وما اتسمت به من توافق في الاتجاه ومن إرادة المزيد من التعاون والمنجزات المشتركة لتبعث على التفاؤل والارتياح بالنسبة لعلاقتنا التي بها نبني مجتمع الغد في ظل الأصالة والوئام والسلام عليكم ورحمة الله.

د. سعيد ابن البشير

البرنامج العام للأسبوع الثقافي التونسي بالمغرب

الإثنين 28 جمادى الأولى 1403 (14 مارس 1983)

مدينة الرباط : - في الساعة 6 ونصف عشية بمسرح محمد الخامس :

- افتتاح الأسبوع الثقافي التونسي بالمغرب.
- تدشين معرض الكتاب التونسي.
- تدشين معرض الفنون التشكيلية.
- حفلة شاي.

الثلاثاء 29 جمادى الأولى 1403 (15 مارس 1983)

مدينة تطوان : - في الساعة 6 ونصف عشية بدار الثقافة .
- تدشين معرض الكتاب التونسي من لدن معالي وزير الشؤون الثقافية الأستاذ البشير ابن سلامة والدكتور سعيد ابن البشير وزير الشؤون الثقافية

مدينة القنيطرة : - في الساعة 6 ونصف عشية بسينما «بلاص» .
- عرض سينمائي لشريطي :
«عزيزة» لعبد اللطيف بن عمار
«تناطح الأكباش في تونس» لعلي منصور.

مدينة شفشاون : - في الساعة 6 ونصف عشية بقاعة الشبيبة والرياضة .
- محاضرة للدكتور جعفر ماجد في موضوع :
«أبو القاسم الشابي»

مدينة مكناس : - في الساعة 6 ونصف عشية بقاعة المعهد البلدي .
- محاضرة للأستاذ نور الدين صمود في موضوع :
«الشعر التونسي المعاصر شكلا ومضمونا».

مدينة الرباط : - في الساعة 9 ليلا بمسرح محمد الخامس :
- سهرة فنية تحييها الفرقة القومية للفنون الشعبية.

مدينة الدار البيضاء : - في الساعة 9 ليلا بالمسرح البلدي :
- الفرقة المسرحية القارة بمدينة سوسة تقدم مسرحية : «قمرية».

الأربعاء 30 جمادى الأولى 1403 (16 مارس 1983)

مدينة سلا : - في الساعة 6 ونصف عشية بقاعة الأفراح .
- محاضرة للدكتور جعفر ماجد في موضوع :
«أبو القاسم الشابي»

مدينة الرباط : - في الساعة 9 ليلا بمسرح محمد الخامس .
- عرض مسرحية «قمرية».

مدينة الدار البيضاء : - في الساعة 9 ليلا بالمسرح البلدي ،
- سهرة فنية تحييها ،
- الفرقة القومية للفنون الشعبية.

الخميس فاتح جمادى الثانية 1403 (17 مارس 1983)

مدينة الرباط : - في الساعة 6 ونصف عشية بقاعة الفن السابع ،
- عرض سينمائي لأشرطة ،
«ظل الأرض» للطيب لوحيشي.
«القيروان» لعبد اللطيف ابن عمار.
«الملحمة البربرية» لعبد الحفيظ بوعصيدة.
- في الساعة 9 ليلا بمسرح محمد الخامس.
- سهرة فنية تحييها الفرقة القومية للفنون الشعبية.
ترأس الحفلة. الأستاذ البشير ابن سلامة والدكتور سعيد ابن البشير.

الجمعة 2 جمادي الثانية 1403 (18 مارس 1983)

مدينة الرباط : - في الساعة 6 ونصف عشية بمسرح محمد الخامس ،
- عرض مسرحية «الفلقة»

مدينة سلا : - في الساعة 6 ونصف عشية بقاعة الأفراح ،
- محاضرة للأستاذ نور الدين صمود في موضوع «الشعر التونسي المعاصر شكلا ومضمونا.

مدينة مراكش : - في الساعة 9 ليلا بسينما «بلاص» ،
- سهرة فنية تحييها الفرقة القومية للفنون الشعبية.

السبت 3 جمادى الثانية 1403 (19 مارس 1983)

مدينة الجديدة : - في الساعة 9 ليلا بالمسرح البلدي ،
- عرض مسرحية «الفلقة».

الترشيح للجائزة العربية التقديرية للتربية والثقافة والعلوم

تعلن وزارة الثقافة أن دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بخصوص الترشيح للجائزة العربية التقديرية للتربية والثقافة والعلوم، التي توصلت بها الوزارة من اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم (يونسكو ـ أليسكو) ص. ب 420 ـ الرباط، بأن الترشيحات يجب أن تقدم للجنة المذكورة مباشرة أو عن طريق إحدى المؤسسات الحكومية أو الجمعيات.

تدعو المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الجهات العربية التالية :

- المجامع العلمية واللغوية.
- الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث والدراسات.
- المؤسسات الثقافية والعلمية مثل الاتحادات والروابط والجمعيات ترشيح من تراه مستحقا للجائزة العربية التقديرية في مجال الثقافة.

أ) تتألف الجائزة من :

- مكافأة نقدية لا تقل عن خمسة عشر ألف دولار أمريكي.
- مسكوكة ذهبية عليها شعار المنظمة وسنة منحها.
- شهادة باسم الفائز يوقعها المدير العام للمنظمة.

ب) ويشترط في منح الجائزة ما يلي :

- تمنح الجائزة للمرشح الفائز تقديرا لمجموع أعماله أو جهوده في مجال الثقافة ويراعى في نتاج المرشح :

أن يكون هذا النتاج في مجموعه محققا للقيم القومية والإنسانية مستجيبا لأهداف المنظمة ورسالتها.

- أن يكون متميزا بالجدة والأصالة وفيه إضافة إلى المعرفة.
- أن لايكون المرشح قد حصل على جوائز عن الأعمال المقدمة نفسها.

ج) ترسل الترشيحات إلى العنوان التالي :

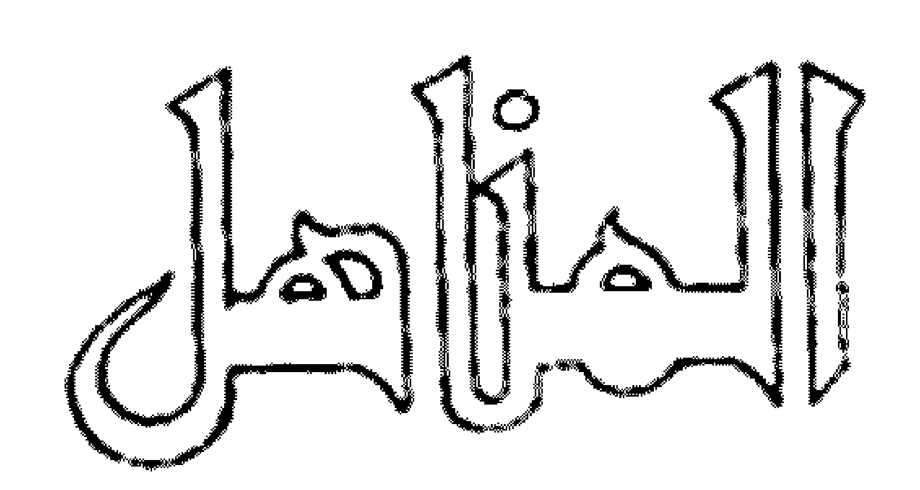
(الأمانة العامة للجامعة العربية التقديرية) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ص ـ ب : 1120 القباضة الأصلية ـ تونس ـ الجمهورية التونسية.

وتكون مصحوبة بنبذة عن السيرة العلمية للمرشح، وتقرير عن نتاجه وسبع نسخ على الأقل من كل عمل من أعماله المرشحة ويشترط أن تكون مطبوعة ومنشورة باللغة العربية أو مسجلة.

وتقبل الترشيحات بداية من صدور هذا الإعلان لغاية : يونيه (حزيران) 1983 وما يصل منها بعد هذا التاريخ، لا يلتفت إليه.

رقم الإيداع القانوني 6 / 1974

مطبعة فضالة ـ المحمدية (المغرب)

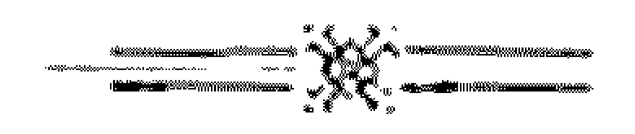


تصدرها :

وزارة الشؤون الثقافية

زنقة غاندي ـ الرباط ـ المغرب

التلفون : 93 / 92 / 318.91



AL - MANAHIL

Publication du

MINISTERE DES AFFAIRES CULTURELLES

Rue Ghandi - Rabat (Maroc)

Tél : 318-91/92/93

مطبعة فضالة ـ المحمدية (المغرب)